مجلة
المصدر
The Source
مجلة علمية محكمة
العدد (3)
ديسمبر 2016
جامعة العبقرية
Genius University
تصدر عن جامعة العبقرية
جمهورية مصر العربية
الترقيم الدولي : 978-977-724-024-6
www.geniusuniv.com
رقم الإيداع : 2014/14700 .
9 789777 240246

هيأة التحرير

رئيس التحرير

- د.عطا بركات، جامعة العبقرية بمصر.

مدير التحرير

- د. أحمد الهادي رشراش أستاذ مشارك، كلية اللغات– جامعة، طرابلس – ليبيا .

رئيس اللجنة العلمية

- د. مليكة ناعيم أستاذة مؤهلة (مشارك)، كلية اللغة العربية، جامعة القاضي عياض، مراكش.

أعضاء هيأة التحرير

- أ. د. ضياء غني لفتة العبودي ، بروفسور، كلية التربية ، جامعة ذي قار، العراق.
- أ. د. يحيى جبر، مدير دائرة المعارف جامعة النجاح الوطنية، فلسطين .
- غزلان هاشمي، أستاذة جامعية، جامعة الشريف مساعدية، الجزائر .
- د. خالد كاظم حميدي وزير الحميداوي : كلية الشيخ الطوسي الجامعة، العراق .

المدقق اللغوي

- د. فايز الكومي

أعضاء الهيأة العلمية الاستشارية لمجلة المصدر

- أ. د.أحمد يحي علي، جامعة عين شمس، مصر.
- د. سناء شعلان، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، الأردن.
- أ.د.شريف بموسى عبد القادر من جامعة أبي بكر بلقايد ــ تلمسان ــ الجزائر.
- د.رشا عبد الله الخطيب ، الجامعة العربية المفتوحة – الأردن.
- د. فايز أحمد محمد الكومي: جامعة الخليل وجامعة القدس، فلسطين.
- د. رافد مطشر السعيدان، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ذي قار.
- د. عز الدين بن محمد الناجح عدالة ، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة تونس – تونس.
- د. فاطمة السلامي، كلية اللغة العربية، جامعة القاضي عياض، المغرب.
- د. سعيد العوادي، كلية اللغة العربية، جامعة القاضي عياض، المغرب.
- د. محمد فجال، أستاذ مشارك، جامعة الملك سعود، السعودية.
- د. ساجدة مزبان محمد، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، العراق.
- د. أحمد قادم، كلية اللغة العربية، جامعة القاضي عياض، المغرب.
- د. هشام فتح، كلية اللغة العربية، جامعة القاضي عياض، المغرب.

هيأة تحكيم العدد الثالث

- أ.د منتصر عبد القادر الغضنفري، جامعة الموصل / العراق.
- أ.د. فاضل التميمي، جامعة ديالي، العراق.
- أ.د. حبيب مونسي، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر.
- أ.د. خالد بن عبد الكريم بسندي، جامعة الملك سعود، السعودية.
- أ.د يحي جبر، جامعة النجاح، فلسطين.
- د. محمد البدوي، جامعة سوسة، تونس.
- د. محمد فرجي، كلية اللغة العربية، المغرب.
- د. عز الدين الناجح، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية/ تونس.
- د. فايز الكومي، أستاذ بجامعتي الخليل والقدس، فلسطين.
- د. عبد القادر بنفرح، كلية الآداب سوسة، تونس.
- د.أسماء معيكل، جامعة حلب، سورية.
- د. فريدة المصري، جامعة طرابلس، ليبيا.
- د. عبد الحق بلعابد، جامعة قطر، الجزائر
- د. هيفاء مجادلة، أكاديمية القاسمي، فلسطين.
- د. هاني آل يونس، جامعة الحمدانية، العراق.
- د. عزت عدنان أحمد، جامعة زاخو، العراق.
- د. علي خلف حسين العبيدي، جامعة ديالي، العراق.
- د. شاكر حسين دمدوم، جامعة ذي قار العراق.
- د .محمد عمر مروان، جامعة طرابلس، ليبيا.
- د. رحماني زهر الدين، جامعة محمد البشير الابراهيمي، الجزائر.
- د.جلال شنتة جبر ال بطي، جامعة ذي قار، العراق.
- حجازي محمد أحمد الدعاجنة، جامعة الخليل، فلسطين.
- د.حسين عليوي ناصر الزيادي، جامعة ذي قار العراق.
- د. هيثم حميد الجاسم، جامعة ذي قار العراق.

أهداف المجلة وشروط النشر

تنشر مجلة المصدر للعلوم الإنسانية البحوث والدراسات باللغتين العربية والانجليزية ، وتتعامل مع الإنتاج العلمي المبتكر، بعد عرضه على لجنة المجلة العلمية لتتبنى قرارا ينص على قبول البحث أو رفضه، ثم يحال البحث بعد الموافقة المبدئية إلى لجنة تحكيم تختارها هيأة التحرير.

تهتم المجلة بالقضايا العلمية التي تتوافر فيها الأصالة والابتكار والواقعية ، وتكون المعالجات المطروحة في البحث الذي تقبله المجلة بمعزل عن التقليد ، يضاف إلى ذلك إتباع المنهجية السليمة وفق أسس البحث العلمي الحديث، ثم الاهتمام بالتوثيق العلمي مع الحرص على الأمانة العلمية في طرح المعالجات .

تحرص المجلة وهيأة التحرير فيها على اللغة السليمة وأسلوب الباحث في عرض إنتاجه وتسويق فكرته وترغيب القارئ في متابعة أحداث البحث .

مجلة المصدر مجلة دولية نصف سنوية محكمة، ولا ينشر فيها بحث دون تحكيم بقرارين: قرار داخلي من هيأة المجلة ومجلس إدارتها ، وقرار لجنة المحكمين ، ويتم عرض البحث على محكمين اثنين، كل محكم منهم له قراره ، وبناء على قرارات المحكمين يتم قبول البحث أو عدم قبوله أو قبول البحث مع التعديل .

ولا يحق للباحث الناشر أن ينشر بحثه بعد الموافقة عليه في مجلة أخرى ويوقع على تعهد خطي بذلك.

وعلى كل باحث يرغب في النشر قراءة نشرة المجلة وقواعد النشر فيها ، لأن المجلة متميزة، كما يوحي بذلك عنوانها، في أن موضوعاتها من صفوة الموضوعات ولا تنشر كلاما لا فائدة فيه.

تنشر المجلة الأبحاث العلمية في المجالات الأدبية، والعلوم الإنسانية والاجتماعية ومجالات الاقتصاد والإدارة والعلوم التربوية واللغوية والإعلام ، إلى غير ذلك من العلوم التي تعالج وقائع أدبية وإنسانية واجتماعية .

التسليم:

يتم إرسال البحث إلى سكرتير المجلة على أن يكون البحث خاضعا لقواعد النشر في المجلة ، وألا يزيد البحث عن ثلاثين صفحة ، بما في ذلك الهوامش والمراجع والجداول والأشكال والمواقف ، مع مراعاة الترقيم والأشكال وفق ما ورد في المعالجات.

أولاً : قواعد النشر:

1- تقبل المجلة الإنتاج العلمي للباحثين باللغتين العربية والانجليزية.

2- كل بحث يرغب صاحبه في نشره يخضع للتحكيم حسب الأصول المتبعة في التحكيم العلمي للبحوث والدراسات.

3- ضرورة إتباع الأصول العلمية في البحث العلمي .

4- توثيق المصادر والمراجع لكل صفحة في المتن وفق قواعد البحث العلمي.

5- ضرورة ضبط النصوص المقتبسة بالشكل التام والكامل.

6- على الباحث مراعاة التسلسل والتدرج في الأسلوب أثناء عرض المعالجات أي أن يبدأ في عرض فكرته من خلال موضوعات جزئية مترابطة تسمى موضوعات البحث أو عناصر البحث.

7- ألا يزيد البحث عن ثلاثين صفحة من الحجم العادي (A4).

8- لا يجوز نشر البحث في مجلة أخرى بعد قبوله وتحكيمه من قبل لجان التحكيم.

9- أن يكون البحث من إعداد الباحث وابتكاره وألا يكون مستلا من رسائل علمية أو مؤلفات علمية

10- لا يحق للباحث أن يطلب رفض النشر بعد التحكيم .

11- على الباحث أن يلتزم بالشكل المطلوب حسب أسس البحث العلمي الحديث وهي:

ملخص البحث بالعربية والانجليزية – المقدمة – التمهيد – عرض المعالجات – النتائج – التوصيات – الخلاصة – قائمة المصادر والمراجع .

12- يتم إشعار أصحاب البحوث التي وصلت إلى المجلة خلال أسبوع من تسلمها ، وينص الإشعار على قرار من رئيس هيأة التحرير بصلاحية البحث أو عدم صلاحيته خلال مدة لا تتجاوز شهرين من تاريخ وصوله.

13- يعد قرار هيأة التحرير قرارا حاسما لأنها ترتكز على قرار لجنة علمية وقرار مجلس الإدارة .

ثانياً :كتابة البحث:

1- يقوم الباحث بكتابة البحث بوساطة برنامج Word 2003 أو Word 2007 .

2- يكتب متن النص حجم Simplified Arabic14 .

3- الهامش في الحواشي السفلية من كل صفحة بحجم 12عادي Simplified Arabic.

4- العناوين الرئيسة حجم الخط 18 اسود .

5- العناوين الفرعية حجم الخط 16 .

ثالثاً :التوثيق :

يشير الباحث في حاشية البحث إلى أمور هامة خاصة في توثيق المراجع العربية بذكر:

اسم المؤلف ، اسم الكتاب ، رقم الصفحة ، سنة النشر ، والمحقق، الطبعة، البلد ، دار النشر بالترتيب،

إذا كان هناك ثلاثة مؤلفين يشير الباحث إلى الاسم الأول والآخرين للمؤلف الأول ويكتب بعده : وآخرون .

أما إذا كان المرجع أجنبياً فيكتب الباحث الاسم الأول والأخير واسم الكتاب ورقم الصفحة وسنة النشر ، أما في حالة الرجوع إلى الدوريات فيتم التوثيق بالاسم الأول والأخير واسم البحث واسم الدورية والمجلد والعدد ورقم الصفحات وسنة النشر .

أما توثيق الرسائل الجامعية فيكتب الباحث : إسم مقدم الرسالة ، عنوان الرسالة ، ماجستير أو دكتوراه ، الجامعة المانحة والسنة ، وأما إذا رجع الباحث إلى بحث أو مقال فيكتب : اسم المؤلف ، عنوان البحث أو المقال المجلد أو العدد ، الصفحات ، بلد النشر واسم الناشر ، سنة النشر .

وهذه التوثيقات في الحواشي السفلية يجب أن تدرج في قائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث قبل الملاحق إذا كانت هناك ملاحق .

رابعاً : أولية النشر :

يراعى في أولوية النشر من قبل هيئة التحرير :

1- البحوث التي تم تحكيمها والموافقة عليها.

2- تاريخ وصول البحث .

3- نوعية البحث .

4- علاقة البحث بالقضايا العلمية الراهنة .

5- البحث المميز في نتائجه وعلاقته بالواقع .

خامساً : ملاحظات :

1- يعبر البحث عن فكر صاحبه ولا يمثل رأي المجلة.

2- اختيار البحوث لعدد معين من أعداد المجلة يخضع لاعتبارات فنية خاصة بالهيأة.

3- يحق لرئيس هيأة التحرير رفض البحث إذا كان مخالفاً لقواعد النشر أو منشورا بأي جهة كانت.

4- يرفض البحث إذا كان بعيداً عن أسس البحث العلمي والمستوى المطلوب.

5- المجلة لا تدفع مكافآت مقابل البحوث المنشورة .

6- يُعطى الباحث نسخة واحدة من المجلة في حالة نشر بحثه-نسخة PDF -.

سادساً : الكتابة

يقوم الباحث بكتابة البحث وفق قواعد النشر المذكورة ويبوب بحثه على النحو الآتي:

- كتابة اسم المجلة
- العنوان
- كتابة اسم الباحث
- الملخص باللغتين العربية والانجليزية بما لا يزيد عن 200 كلمة.
- الترقيم المتسلسل داخل أقواس والتأكد من المراجع في المتن مع ضرورة ذكرها في القائمة

تستخدم أرقام للجداول متسلسلة تختلف عن المتن وينبغي أن تكون معنونة

المراسلات:

البريد الالكتروني: Source@geniusuniv.com

الهاتف الثابت: 0020502389930

الهاتف المحمول: 00212600060899

محتويات العدد

الافتتاحية

هيأة التحرير 2

أولاً – الدراسات اللغوية :

– الثراء الصوتي فِي القرآن– سُوْرَة الزَّلْزَلَةِ أنموذجا
دة. عزة عدنان أحمد عزت 12
– التّعيينُ وَجهَةُ الْخطَابِ فِي الْعَرَبِيَّةِ
هاني البطّاط.....33
– بين فعل الترجمة وإدراك المعنى
عبد القادر بن فرح 56

ثانياً – الدراسات الأدبية :

– صورة الجسد في رواية عابر سرير لأحلام مستغانمي.
د. سعيد سهمي 69
– سردية (البطولة والمقاومة) في مجموعة (تقاسيم الفلسطيني) للروائية سناء شعلان
أ.م.د.حسنين غازي لطيف 88
– مكونات البنية السردية في قصص الأطفال.
د. سوسن البياتي 107

ثالثا- الجغرافيا

– الخصائص المعمارية للمسكن الريفي في الأندلس والمغرب وتلمسان
(دراسة مقارنة من خلال بعض النماذج)
د.محمد رابح فيسة.....150

رابعا- التاريخ

– أحداث الخليل عام 1929م والعنف الصهيوني.
د. نعمان عاطف عمرو 172

خامسا- الإدارة

- أسباب ضغوط العمل لدى رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم
في جنوب الضفة الغربية وطرق علاجها"
د. سمير سليمان الجمل 201

الافتتاحية

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمد سيد الكائنات .

أما بعد؛

فَيَسُرُّ هيأة تحرير مجلة المصدر الإلكترونية العلمية المحكمة، التي تصدرُ عن جامعة العبقرية بمصر، أنْ تضع بين أيدي المتلقين المهتمين بالعلوم الإنسانية العدد الثالث من المجلة، الذي احتوى على مجموعة من الأبحاث العلمية القيمة.

وقد تنوّعت أبحاث هذا العدد وتوزّعت على اللغة والأدب والنقد والتاريخ والجغرافيا والترجمة والإدارة، وشارك فيه باحثون وأكاديميون من المغرب والجزائر وتونس والعراق وفلسطين.

وقام بتحكيم الأبحاث نخبة من الخبراء والأساتذة من المغرب والجزائر وتونس وليبيا ومصر والعراق وسورية وفلسطين والسعودية والأردن.

وإذ نضع بين أيديكم هذه الأعمال العلمية القيمة، يسعدنا أن نستقبل أبحاثكم ودراساتكم للأعداد القادمة، ونرحب بملحوظاتكم ومقترحاتكم ونقدكم البناء الهادف؛ لضمان استمرارية المجلة، والارتقاء بمستواها العلمي والفكري.

هيأة التحرير

الدراسات اللغوية

الثراء الصوتي في القرآن- سُوْرَة الزَّلْزَلَة أنموذجا

د. عزة عدنان عزت

جامعة زاخو العراق

ملخص

تناولَ الباحثونَ على اختلافِ مذاهبِهم العلميَّة طيلة قرون عديدة القرآن الكريم بالدراسة والبحث الصوتي والظواهر الصوتية كالإعلالِ، والإبدالِ، والإقلابِ، والغُنَّةِ، والوقفِ وغيرها، أمّا دراسة دلالة الأصوات ومناسبتها السياق اللغَويّ فلم تكن شاملة، بل كانت ذَوقيَّة، ترى منها شذرات هنا وأخرى هناك، أمّا بحثنا هذا فقد تناول دلالة الأصوات والإعجاز الصَوتِيّ من خلال إحصاء عدد الأصوات الملفوظة لا المكتوبة فضلا عن المقاطع الصَوتِيّة وانسجامها بالمعنى.

تَصِفُ سورةُ الزلزلةِ أهوالَ اليوم الآخر بنوعيه: الماديّ في مشاهد الطبيعة، والحسِّيّ في داخل الحسِّ الإنسانيِّ، وقد عُبِّرَ عنه من خلال التغييرات الصَوتِيّة في السورة، ابتداءً بتغيير نوع المقاطع الصَوتِيّة في فواصل السورة مع تغيير مجموعاتها الثلاثة فضلا عن عددها، ثم من خلال النظر في صفات أصوات السورة، فنرى تفوُّق الأصوات المجهورة على الأصوات المهموسة بشكل كبير جداً، مُمَثِّلة ما نسبته(67.5%)، فتناسب هذا الجهر وحال الأرض ساعة الزلزلة، وما يحدث فيها من أهوال تُرى وتسمع بكل وضوح، ويبدو هذا بشكل واضح في الآية الثانية التي تصوِّر الأرض وقد انشقت عنها فجوات تقذف ما ضُمَّ من أثقال؛ لأنَّها احتوت على أصوات شديدة وصلت نسبتها إلى ما يقارب الـ(54.5%)، وهي نسبة عالية جداً، ولاسيَّما أنَّ عدد الأصوات الشديدة لا يتجاوز الثمانية فقط في اللغة العربيّة، فتعزَّزت بهذا علاقة الجهر والشدة بالمعنى المقصود في السورة، وهكذا يرينا إنعام النظر في آيات القرآن الكريم مالا يمكن أن نراه في أيِّ نصٍّ أدبيٍّ من بلاغة، لِما فيه من إعجاز صوتيٍّ ابتداءً بنسب صفات الأصوات، مرورا بنوع المقطع الصَوتِيّ(مفتوح، أو مغلق، قصير، أو طويل)، وأثرِ ذلك في الإيقاع الصوتي، ثم النظر في الصيغة الصرفيّة التي لا يمكن أن تتغير إلّا وتتسبب بتغيير صوتي في زيادة الأصوات، أو نقصانها، أو إبدالها، وانتهاء بالمعنى المعجميّ الداخل تحت المستوى الدلالي وما له من أثر كبير في تغيير الأصوات فضلا عن أثر التركيب النحويِّ الدلاليِّ ولاسيَّما المتعلق بالفاصلة، بتوحُّدها، أو اختلافها، أو تفرُّدها.

phonological richness in the holy Quraan

Al-ZalzalahSuratas a model of analysis

Thesuggestive pictorial semantic of the terms differs to the receiver according to the difference of the general epicury frame and the personal acquire experiences,as well as the differences of one language inhabitants explanation for the natural sounds with the difference of generations,times,and social circumstances. The effect that the term impress on the receiver be numerous according to the plurality of the affected receiver. Hardly you can find two humans who has the same sense of meaning and response,so judgments will be different for the differences of ability to understand,and because of what we earn of experiences for the terms and its semantics ; we will be able to predict the semantics or part of it when hearing terms that we never hear before and knows nothing about it. That is to be called (term inspired). When looking at the Holy Koran verses and sura,it shows what we can not see in any other literature work of rhetoric or even a phonetic miracle on the level of sound either according to its quality or number,and on the level of the phonetic section according to its class (opened,closed,short or tall),and on the level of conjugation formula or the dictionary meaning and the semantically structure,as well as the comma either if it is merge,difference or alone. And in the sura of earth quack (Al-Zalzala),we found a description to the horrible of the day of Resurrection with two types,The material one which represented by the nature spectacle and the second one is the sense inside the human sense,God expresses it through the phonetic changes in the sura beginning with the phonetic section types change between the commas of the sura,with the change of its three collections besides its numbers; then through the looking of the sura phonetic descriptions which reveal the curtain of its content,so we can see that low sounds was just (31) sounds, the heavy ones was (33), and the high sounds was much more than the low ones for having (110) sounds represented the average of 67.5%,this state fits with the state of the earth at the earth quick time,andwhats happened on it of disasters and whats hearing of destroying sounds. That is obviously clear in the second verse which describing this huge planet showing wholes and throwing its content of heavy stones that has heavy sounds,its rate was about 54,5% Clearly this was a high rate specially that heavy sounds in Arabic is not more than eight, and that inheritance the relation between high and heavy sounds in the intended meaning of the sura.

مدخل: تأثير الأصوات اللغوية والمقاطع الصوتية

للقرآن الكريم تأثير عجيب، هزَّ كيان المشركين، وزعزع إيمانهم بأصنامهم وقيمهم الجاهليّة، فلانوا حين سمعوه يُتلى، بعد أنْ كانت قلوبُهم غلفاً، وبعد أنْ أخذتهم العزَّة بالإثم كلَّ مأخذ[1]، ولاسيّما أنَّ الخصيصة التي تبهر الناظرين في اللغة العربيَّة تكمن في تفاصيل الأصوات، والمعاني في تركيب الألفاظ، وأثر الحروف في تقوية المعنى، والانسجام بين أصوات الحروف التي تتركب منها الألفاظ ودلالاتها، فلكلِّ لفظة أصواتها التي يثير كلُّ صوت فيها إحساسا خاصا فينا[2].

ويبدو أنَّ الارتباط بين المبنى الأحرفي والمعنى، حاصلٌ في حكاية الأصوات، إلا أنَّه يضعف كلَّما خضعت الأصول والكلمات إلى عمليّات العقل والتجرّد[3]، وما محاولات ابن جنّي وغيره لربط الإيقاع الداخليّ لموسيقى الألفاظ بنوع من الإيقاع الخارجي للمعاني، أو ربط جرس صوت الحرف بالدلالة[4] إلاّ بسبب نوع من الإحساس المبهم بجانب سحريٍّ في اللغة[5].

وتختلفُ الدلالة التصويريَّة الإيحائيَّة للألفاظ عند المتلقِّين لاختلافِ الإطارالذوقيّ العام والخبرات المكتسبة الخاصَّة[6] فضلا عن تغيّر تفسير أبناء اللغة الواحدة للأصوات الطبيعيَّة بتغيِّر الأجيال والأزمان والظروف الاجتماعيَّة[7].

وبسبب ما نكسبه من كثرة التجارب مع الألفاظ ودلالتها، نتمكَّن من التنبّؤ بالدلالة أو بجزء منها لدى سماع ألفاظ لم تسمعْ من قبل، ولم يُعلم عنها شيءٌ، وهذا ما يسمَّى بوحي الألفاظ[8]، ولاسيَّما أنَّ لصوت الحرف في اللغة العربيّة إيحاء خاصا يدل على المعنى، ويثير في النفس جوًّا يهيئ لقبول المعنى ويوجِّه إليه، ويوحي به[9]، فكلُّ الكلمات مزوَّدة بطاقة

---

(1) التفسير الأدبي والإعجاز، احمد مطلوب، 49(بحث)ضمن كتاب الإعجاز القرآني.
(2) في النقد الأدبي، شوقي ضيف، 129.
(3) الألسنية العربية (مقدمة، الأصوات، المعجم، الصرف)، ريمون طحان، 102.
(4) ينظر: اللغة بين العقل والمغامرة، مصطفى مندور، 30.
(5) اللغة بين العقل والمغامرة، 160.
(6) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، مجيد عبد الحميد ناجي، 56.
(7) من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، 146.
(8) من أسرار اللغة، 121.
(9) فقه اللغة وخصائص العربية، محمد الباكير البرازي، 26.

روحيَّة[1]، أمّا إن كانت أصواتها متلائمة وذات طبيعة صوتيَّة موسيقيَّة، فإنَّها تضفي على المفردة حسنا يؤدّي إلى حسن وقعها في سمع المتلقيِّ[2]، فأيُّ تغيير في جزء من الأجزاء يحتِّم تغيّرا في المستويات، فَسِرُّ الجمالِ يكمن في الارتباط الدقيق بين الفكرة والألفاظ[3]، ولايكون هذا الارتباط عبثا لغوياً بل صلة خفيّة بين العقل والأداة الصَوتِيّة، تربط الألفاظ بدلالاتها عن طريق ما وراء المعنى المعجميّ[4]، وكم حاول الشعراء القدماء أن يبيّنوا عن فكرهم وانفعالهم عن طريق ألفاظهم، ومحاكاة هذه الألفاظ بجرسها الصَوتِيّ للصوت الطبيعيّ أو الحركة أو الانفعال الذي ينقلونه، وأكثروا من ترداد بعض الحروف كقافية، واهتمّوا بالسكنات والوقفات، لإظهار جمال اللفظ أو إيضاح المعنى[5]؛ لذلك كادت معظم الاتجاهات في الدراسات الصَوتِيّة أنْ تجمع على أهميّة الأنوموتوبيا(ANOMATOPOETIC)، وهي فنٌّ محاكاةٍ، يستلهم المعنى من أصوات الكلمات، ليكون التشكيل الصَوتِيّ دالّاً على المضمون، وهو يعتمد الخيال والرأي الذاتيّ على الأغلب[6].

وإن ظنَّ بعض الدارسين أنَّ خيال الأدباء قد يكون هو المسؤول عن وحي الأصوات[7] بسبب موثوقيّة الصلة بين الألفاظ والدلالات نتيجة الربط بين مجموعة من الألفاظ المتشابهة المتقاربة بمجموعة من المعاني المتشابهة أو المتقاربة[8]، فإنَّ المحاكاة الصَوتِيّة تُعَدُّ وسيلة تعبيريَّة مهمَّة لا تكاد تخلو منها لغة، وقد تأتي على مستوى الكلمة المفردة إذا اشتملت على صوت أو أكثر يحاكي الحدث فتُعرف باسم(المحاكاة الأولية)، وقد تمتدُّ إلى جزء من السياق وتتوزَّع على عدد من مفرداته لتصوِّر في مجموعها الحدث تصويراً عامّاً، وهذه تعرف بـ (المحاكاة الثانويَّة)، وهي أعمق أثرا، وأدلُّ على جماليات الاستخدام اللغَوِيّ[9].

---

(1) اللغة بين العقل والمغامرة، 31.

(2) الإيقاع أنماطه ودلالاته في لغة القرآن الكريم دراسة أسلوبية دلالية، عبد الواحد زياد اسكندر، 107.

(3) النقد الجمالي وأثره في النقد العربي، روز غريب، 111.

(4) ينظر: اللغة بين العقل والمغامرة، 97-98.

(5) عضوية الموسيقى في النص الشعري، عبد الفتاح صالح نافع، 22.

(6) ينظر: جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف، 9 و58 و222 واللغة بين العقل والمغامرة، 131.

(7) من أسرار اللغة، 149.

(8) دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، 72.

(9) من صور الإعجاز الصوتي في القرآن، محمد السيد سليمان، 77، وينظر: الأسس النفسية، 41 و73.

مجلة المصدر The Source

وإن اشترط النقّاد العرب اللفظ الرقيق للمعنى الرقيق، واللفظ الجزل للمعنى القويّ الرصين[1]، فإنَّ "الوقوع على الألفاظ الدالّة، الموحية المناسبة، ذات الوقع الصَوتِيّ المنبِّه، هو هبة لا يوهبها إلاّ مَن يتمتَّع بحدس عظيم وحساسيَّة مرهفة في الاختيار"[2]، ويتعدَّد الأثر الذي يتركه اللفظ على المتلقيّ بتعدّد الذات المتلقِّية المتأثِّرة[3]، فتتفاوت الأحكام نتيجة تفاوت القدرة على الفهم[4].

وإنعام النظر في آيات القرآن الكريم وسوره، يرينا ما لا يمكن أن نراه في أيِّ نصٍّ أدبيٍّ من بلاغة، بل إعجاز صوتيٍّ على مستوى الصوت من حيث صفته، أو عدده، وعلى مستوى المقطع الصَوتِيّ[5]من حيث نوعه (مفتوح[6]، مغلق[7]، قصير، طويل)، وعلى مستوى الصيغة الصرفيّة، أو المعنى المعجميّ، أو المستوى النحويّ، والتركيبيّ الدلاليّ، فضلا عن الفاصلة بتوحُّدها، أو اختلافها، أو تفرُّدها.

ولابدَّ قبل الدخول في تأثير المقاطع الصَوتِيّة ودلالاتها من إعطاء فكرة عامّة عنها، فالمقطع الصَوتِيّ: هو وحدة صوتيَّة مكوَّنة من صوتين على الأقلّ، ومن ثلاثة على الأكثر في درج الكلام، ومن أربعة في حالة الوقف، وقليلاً في حالة الوصل، لا يبدأ بحركة[8]، بل "بصامت يتبعه صائت وينتهي قبل أوَّل صامت يرد متبوعا بصائت"[9] ومقاطع العربيّة خمسة[10]: مقطع قصير مفتوح (ص ح)، ومقطع طويل مفتوح (ص ح ح)، ومقطع طويل

---

(1) ينظر: النقد الجمالي، 132.

(2) عضوية الموسيقى، 7.

(3) مقالات في الأسلوبية، 46.

(4) الأسس الجمالية في النقد العربي عرض وتفسير ومقارنة، 79.

(5) يرمز للصامت في المقطع الصوتي(الحرف)بـ(ص)، وللحركة القصيرة(ح)، وللحركة الطويلة(ح ح)، وهناك من يرمز للصامت(ح)بوصفه الحرف الأول لكلمة(حرف)، وللحركة(م)بوصفها الحرف الأول لكلمة(مصوت)

(6) المقطع الصوتي المفتوح هو الذي ينتهي بحركة وهو نوعان قصير يرمز له بـ(ص ح)وطويل يرمز له بـ(ص ح ح).

(7) المقطع الصوتي المغلق هو ما انتهى بصامت أو صامتين، وهو قد يكون(ص ح ص)، أو(ص ح ح) أو(ص ح ص ص).

(8) التصريف العربي، 77.

(9) ينظر: أبحاث في أصوات العربية، 8-11.

(10) ينظر: فصول في فقه اللغة، رمضان عبد التواب، 170.

مجلة المصدر The Source

مغلق (ص ح ص)، ومقطع مديد مغلق (ص ح ح ص)، ومقطع مزيد مغلق(ص ح ص ص)، (هذا ينبغي أن يرد في بداية البحث، أو على الأقل الإشارة إلى تفصيله في هذا الموضع المتأخر) وهناك من يقسم المقطع نوعين: مفتوح ومغلق، ليتفرع بعدها إلى الأنواع الأخرى[1].

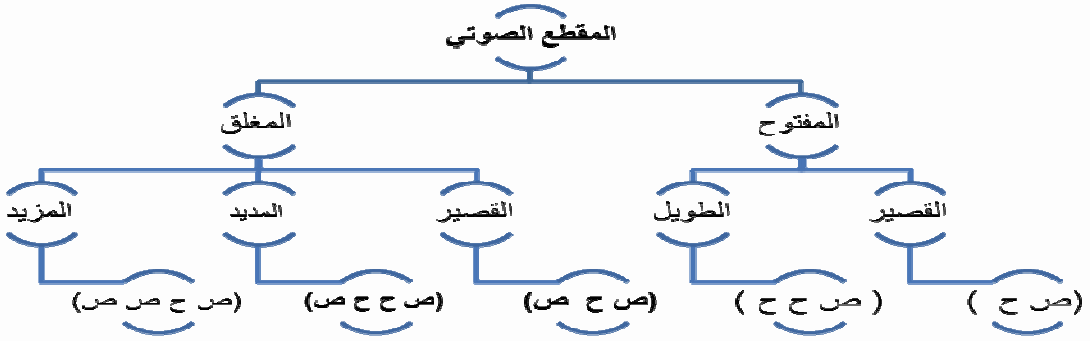

خصوصيَّة السورة القرآنيَّة

لكلِّ سورةٍ قرآنيَّةٍ خصوصيَّةٌ تختلف عن غيرها، في موضوعها أو أسلوبها أو هدفها أو غير ذلك، وإنعام النظر في المستوى الصوتي يذهلنا حقّا، ففي(سورة المطففين) مثلا نرى ما يَرْسم التطفيف من خلال تكرار لفظتي: (ويل ويوم) وتوزيعها فيها، ومقاطعها الصَوتِيّة المختلفة، أو عدد الآيات التي تتحدَّث عن كل فريق، بل من خلال ما تتحدَّث عنه الآيات، إذ تتحدَّث فقرة عن تصرُّفات الكفَّار وحالهم في الدنيا والآخرة، وتتحدَّث الأخرى عن حال المؤمنين في الآخرة فقط، ناهيك عن التطفيف الذي يُلمح في الألفاظ الأخرى من خلال الزيادة في بعضها والنقصان في الأخرى كما في: (اكتالوا)، و(يستوفون)، و(كالوهم)، والاسم الظاهر (الناس)، ثم الضمير (هم) بدلاً عنه، ومن ثَمَّ إلى توزيع المقاطع الصَوتِيّة في السورة، حيث خلت آيات من المقطع الطويل المفتوح (ص ح ح)، واحتوت آيات أخرى على أكثر من مقطع مديد (ص ح ح ص)، وهو مقطع نادراً ما يرد وسط الكلام، بل إنَّه لم يرد في القرآن الكريم أكثر من (118) مرَّة في القرآن الكريم كلّه[2]، باستثناء وروده في الفواصل وحصوله على أعلى النسب، وكانت نسبته تقارب الـ(73%) وعزَّزت الفاصلة ذلك، حيث انتهت ثلاث آيات منها بالواو والميم، وهي الأخرى فاصلة نادرة، لا يكاد يتجاوز ورودها في القرآن الكريم ستّاً وثلاثين مرّة، وأخيراً رسمت قراءة (بل ران على قلوبهم) صورة وجوب الحذر في الميزان

(1) ينظر: علم اللغة العام، 186.

(2) ينظر: المَقْطَعُ الصَّوتِيُّ المَدِيْدُ المُقْفَلُ بِالصَّامِتِ – دِرَاسَةٌ إحصَائِيّة صَوتِيَّةٌ فِي القُرآنِ الكَرِيم، د. عزّة عدنان أحمد عزّت، 89 – 94

من خلال السكت على اللام، وتسكينها فضلاً عن صوت اللام المنحرف، وصوت الراء التكراري، المعبرين عن حركة الميزان قبل الاستقرار[1].

وفي (سورة الضحى) نرى ما يربط سبب نزول السورة بزمن نزولها ونزول الوحي بها من خلال عدد كلماتها، وعدد آياتها، وعدد مقاطعها الصَوتِيّة التي أشارت إشارة خفيّة إلى الزمن الحقيقيِّ الذي سينقطع فيه الوحي تماماً، فعدد المقاطع الصوتية في السورة مئةَ وأربعة عشر مقطعاً صوتيّاً، وهو عدد سور القرآن التي متى ما انتهت انتهى نزول الوحي، يعزِّز ذلك أنَّ سورة الضحى هي السورة الوحيدة في القرآن الكريم بهذا العدد من المقاطع الصَوتِيّة، فضلاً عن ذلك فإنَّ ارتفاع نسبة المقطع المفتوح (ص ح) إلى (51.7%) يعبِّر عن عدم سكون الوحي، أمّا عدد كلماتها، فيتطابق وسن الرسول (صلى الله عليه وسلم) التي بلغها حين بُعث رحمة للعالمين، أو عدد الأيّام التي فتر فيها الوحي عنه، وأمّا عدد آيات السورة فيتطابق وتسلسل السورة في النزول إذ كانت السورة الحادية عشرة[2].

وفي سورة العاديات[3]، كشف الإيقاع اللغَوِيّ الذي كان يكمن في التراكيب النحوية فضلا عن المقاطع الصَوتِيّة، من حيث كونها مفتوحة، أو مغلقة، طويلة، أو قصيرة عن الانسجام الكبير بين المستويات اللغوية للوصول إلى المعنى، فتبدو السرعة والبطء، أو الوقع الذي يحاكي الموضوع، فهو أشبه بالموسيقى التصويرية، فترسم قلَّة الممدود، وتوالي الحروف المتحرِّكة، حركة الخيل في عدوها ووقع حوافرها[4]، ويعبّر التساوي في عدد الفواصل مقطعاً مقطعاً، وفي طول القرائن عن جوِّ الغارة في القسم الأوَّل، وكان في انتهاء الآيات بالألفاظ (صبحاً، قدحاً، صبحاً، نقعاً، جمعاً) ما يناسب مقام الزجر والوعيد، فكانت هذه الألفاظ، كأنَّها قذائف، تُختم بها الآيات قصيرة المدى[5]، والجدول التالي يوضح ذلك:

(1) ينظر: التطفيف في سورة المطففين – دراسة صوتية، د. عزّة عدنان أحمد عزّت، 12

(2) ينظر: سورة الضحى – دراسة صوتية، د. عزّة عدنان أحمد عزّت، 93

(3) ينظر الإيقاع في سورة العاديات، د. عزّة عدنان أحمد عزّت، 6

(4) ينظر: البناء الصوتي في البيان القرآني، 27.

(5) جماليات المفردة، 231 وينظر: الجناس في القرآن، 165.

الآية	نوع صوت المد	حرف روي الفاصلة	الموضوع	عدد المقاطع في الآية	نوع المقاطع في الفاصلة	نوع المقاطع في الفاصلة
1	آ	ح	**الخيل**/ جملة اسمية	7	ص ح ح	مفتوح
2	آ	ح		7	ص ح ح	
3	آ	ح		7	ص ح ح	
4	آ	ع	أثر **الخيل**/ جملة فعلية	7	ص ح ح	مفتوح
5	آ	ع		7	ص ح ح	
6	و	د	**الانسان** مع ربه ان + (اسمها) (اسم)	12	ص ح ح ص	مغلق
7	ي	د	**الانسان** مع نفسه ان + (اسمها)(ضمير)	12	ص ح ح ص	
8	ي	د		12	ص ح ح ص	
9	و	ر	**القيامة**/ جملة فعلية فاعلها اسم موصول (ما)	15	ص ح ح ص	مغلق
10	و	ر		8	ص ح ح ص	
11	ي	ر	**النتيجة**/ جملة اسمية ان + (اسمها)(اسم)	14	ص ح ح ص	مغلق

وبدا واضحاً في (سورة الكافرين) التي قسمت ثلاثة أقسام، تغيّر الفاصلة والمقطع والروي لتغيّرها، ثم بدت المفاصلة في العبادة من خلال تعاقب الفاصلة، فضلاً عن تسلسل

صوائت المقطع الصَوتِيّ الطويل المفتوح (ص ح ح) أو حتى المقطعين الصَوتِيّين، المفتوح الطويل (ص ح ح) والمفتوح القصير(ص ح ح ص) في فاصلتها.

وتبدو محاولة اقتلاع الانحراف من جذوره وأعماقه حيث ورد صوت (اللام) في أداة النفي (لا)، أمّا صوت (العين) فلم يرد إلّا في كلمات العبادة: (أعبد، تعبدون، عابدون، عابد، عبدتم)، ناهيك عن حصول السورة على أعلى نسبة للأصوات المجهورة في جزء عَمَّ كلّه وهي (90.7 %)وأعلى نسبة للأصوات الشديدة وهي (32 %)؛ لتعزيز إعلان عبادة الله على الملأ بقوة وشدة، وهذا كلّه يتّسق وابتداء السورة بفعل الأمر (قل)، ويأتي أخيراً حصول السورة على أقلِّ نسبة للأصوات المستعلية في جزء عَمَّ وهي (1.03 %)؛ ليعبّر عن منزلة الكافرين المتدنية أيّما تعبير[1].

ويُرى في عدد أصوات (سورة اللهب)ومقاطعها الصَوتِيّة زيادة أو نقصانا ما يصوّر أبا لهب، وامرأته، وماله، وصوَّرت المقاطع الصوتية القصيرة (ص ح + ص ح ص) بضرباتها القويّة، وأصواتها الشديدة شدّةَ التهديد الإلهي وقوَّته، وعزَّزت ذلك الأصوات المجهورة التي انتهت بها أغلب المقاطع الصَوتِيّة المغلقة، وإنْ بدا ارتباط الفاصلة بما قبلها من معنى في كلّ آية من آياتها، بل وعودة كل فاصلة على ما قبلها من فواصل، فقد لوحظ ارتباط السورة صوتيّاً بما قبلها، وما بعدها بشكل عبّر فيه اختلاف الفاصلة من خلال نوع المقطع المنتهية به عن معناها في هذه السورة، وفي التي قبلها على الرغم من اتفاقها في حرف رويّ الفاصلة[2].

ولوحظ التوحيد في (سورة الإخلاص)[3] من خلال التفخيم والترقيق في صوت اللام، فقد ابتدأت السورة بفعل الأمر (قل) الذي اتبع بالضمير (هو)[4] فأفاد فائدة صوتية عززت الفائدة اللغَوِيّة –في إرادة التعظيم والتفخيم[5]– تتمثل في أن(واو) الضمير (هو) مفتوحة، فاستوجب أن تكون لام لفظ الجلالة مفخمة بعدها، أما لام (قل) فساكنة، ولو حذف الضمير لكسرت اللام لالتقاء الساكنين، ولو كسرت اللام لرققت (لام) لفظ الجلالة فيقال (قلِ الله) بالترقيق وهذا حتماً لا يتناسب وأغراض السورة وسبب نزولها، الوحدانية ونفي التعدد في الآية الأولى، وإثبات الكمال ونفي النقض والعجز في الآية الثانية وإثبات أزليته سبحانه وبقائه

---

(1) ينظر: الإعجاز الصوتي في سورة الكافرين، د. عزّة عدنان أحمد عزّت، 75

(2) ينظر: سورة اللهب دراسة في إعجاز القران الصوتي، عزّة عدنان أحمد عزّت، 381.

(3) ينظر: التوحيد في سورة التوحيد، وسورة الإخلاص – دراسة لغوية صوتية، د. رافع عبد الله العبيدي، ود. عزّة عدنان أحمد عزّت، 16.

(4) ينظر: تفسير النسفي 1383 وروح المعاني 699/30 ومعارج التفكر 78/2.

(5) ينظر: من بلاغة القرآن، 151.

مجلة المصدر The Source

ونفي الذرية في الآية الثالثة وإثبات العظمة والجلال ونفي الأنـــداد والأضـــداد فـــي الآيـــة الرابعة[1]، فضلا عن التوحيد المتمثل بانتهاء الفاصلة بصوت واحد هو الدال، وتفرّد الـــسورة في ورود خمس كلمات فيها، لم ترد في غيرها من سور القرآن، بهذه الـــصيغ، والمعـــاني، مُعبّراً من خلال عددها – الذي ساوى ثلث عدد كلمات السورة – عن كون الـــسورة معادلـــة لثلث القرآن، باعتبار أنَّ القرآن قسمان: خبر وإنشاء، والخبر قسمان: خبر عن الخالق، وخبر عن المخلوق، وسورة الإخلاص أخلصت الخبر عن الخالق.

- دلالة الأصوات والمقاطع الصوتية في سورة الزلزلة

سورة الزلزلة هي واحدة من سور القرآن التي تصف هول اليوم الآخر بنوعيه: الماديّ في مشاهد الطبيعة، والحسيّ في داخل الحسّ الإنسانيّ[2]، لأنَّ الإنسان شهد الزلازل والبراكين من قبل، فأصيب بالهلع، والذعر، والهلاك، والدمار، وتبدو دقَّة التعريف بالضمير العائد على الأرض(زلزالها) بدل استخدام النكرة (زلزالا)؛ لأنَّ للأرض زلزالا واحدا يوم القيامة، لـــيس بينه وبين ما كان يُرى، أيَّ وجهٍ للشبه، لأنَّه أمر هائل يقع لأوَّل مرة[3]، فضلا عن انـــسجام زلزالها وفواصل الآيات اللاحقة، وقد عبّرت السورة عن هذا، فألقت في نفس السامع ما أكـــدَّ خطورة الموقف وجدّيَّة حسمه، من خلال أسلوب التكرار الذي يَعَدُّ من أقوى أنواع الاستدلال النفسيِّ، وأدعاه إلى اليقين؛ لأنَّه يجعل السامع يحتفظ بانتباهه لما سبق بيانه، ويستعيد ما استقر في خاطره من نذر اليوم الآخر[4].

وأوَّل ما يَلْفِتُ النظرَ إليه في السورة هو تغيّر الفاصلة مع تغيّر مجموعـــات الـــسورة الثلاثة التي كانت أغراضها إثبات البعث، وذكرما يعتري الناس فيه من الفزع، وحـــضورهم للحشر، وجزائهم على أعمالهم من خير أو شر، وتحريضهم على فعل الخير واجتناب الشر[5].

* **المجموعة الأولى:** (إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَها. وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَـــا. وَقَـــالَ الإِنْسَانُ مَالَهَا. يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا. بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا)تصف حالة الأرض، وما يعتريهـــا من تغيّر وتبدّل، وفيها أضيف المصدر إلى ضمير الأرض في الآيتين الأولى والثانية، فاتسقت بهذا موسيقى فواصل آياتها الخمسة من خلال التزامها بتسلسل ثلاثة مقاطع صوتيَّة هي: (ص ح ح + ص ح + ص ح ح)، وأعطت الصوائت الطويلة المتكرّرة في الفاصلة بروزاً صوتيّاً،

(1) صفوة التفاسير، 622/3.
(2) مشاهد القيامة، 208.
(3) في ظلال القرآن، 224/30.
(4) الإعجاز البياني في كتاب العربية الأكبر، عائشة عبد الرحمن، 205–206
(5) تفسير التحرير والتنوير، 490/30.

فاحتلت المراكز العليا في الاستمراريّة، ودرجة الإسماع؛ لأنَّ في الفاصلة تكمن ذروة موسيقى الآية، وموسيقى السورة[1].

* **المجموعة الثانية:** (يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتَاً لِيُرَوْاْ أَعْمَالَهُمْ)التي وصفت حالة صدور الناس في ذلك اليوم في آية واحدة، وفيها تغيَّرت الفاصلة من: (ص ح ح + ص ح ح) إلى (ص ح ح + ص ح + ص ح ص)، وكان الصامت الأخير صوت الميم.

* **المجموعة الثالثة:** وهي الأخيرة التي فَصَّلت في جزاء من صدروا أشتاتاً، (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)، ولوحظ فيها تغيّر الفاصلة إلى (ص ح ص + ص ح + ص ح ص)، والصامت الأخير فيها هو صوت الهاء، فرسم المقطعان الصَوتِيّان المغلقان المنتهيان بصامت، صورة الطريق المسدود الذي انتهت عنده الأعمال[2]، وناسب هذا الانتهاء ما آل إليه الحال، فكلّ شيء "مقيّد في الصحف، لا يغادر صغيرة، ولا كبيرة من أعمال الإنسان إلاّ سُطِّرت"[3]، والجدول الآتي يوضح ذلك:

الآية	الكلمة	المقاطع الصَوتِيّة	المجموعات
1	زلزالها	ص ح ح+ ص ح + ص ح ح	المجموعة الأولى
2	أثقالها	ص ح ح + ص ح + ص ح ح	
3	مالها	ص ح ح + ص ح + ص ح ح	
4	أخبارها	ص ح ح + ص ح + ص ح ح	
5	أوحى لها	ص ح ح + ص ح + ص ح ح	المجموعة الثانية
6	أعمالهم	ص ح ح + ص ح + ص ح ص	
7	خيراً يره	ص ح ص+ ص ح + ص ح ص	
8	شراً يره	ص ح ص + ص ح + ص ح ص	المجموعة الثالثة

تتحدَّث آيات المجموعة الأولى عن الأرض وأهلها، وتُبيِّن لنا أنَّ الإنسان يرىفي الحياة الدنيا الحرية المطلقة وتمثلها المقاطع الصوتية المفتوحة، ثم تنتهي الحركة، ويأتي يوم القيامة،

(1) ينظر: المقطع الصوتي وعروض الشعر العربي، محمد عبد الزهرة الشريفي، 177

(2) التبصرة، 387.

(3) الإعجاز الصوتي في قصار السور، 17.

فتعبّر عنه المقاطع الصوتية المغلقة في المجموعة الثانية فيرسم هول ذلك اليوم الذي يقوم فيه (الرُّوحُ والمَلائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُوْنَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا)[1]

ويرينا النظر في المقاطع الصَوتِيّة وفي الأصوات التي انتهت بها المقاطع الصَوتِيّة المغلقة(ص ح ص)، أنَّ عدد المقاطع الصَوتِيّة الطويلة المفتوحة(ص ح ح) أقلّ من نصف عدد المقاطع الصَوتِيّة القصيرة المفتوحة(ص ح)، وعلى الرغم من هذا، فإنَّنا نشعر ببطء الإيقاع في السورة، ويبدو أنَّ سبب ذلك هو تقارب المدّ في المقطع الصَوتِيّ المفتوح، فضلاً عن اقتران المقطع الصَوتِيّ الطويل المفتوح(ص ح ح) بصوت الألف حصراً، وانتهاء الفواصل به، وهو من أوضح الأصوات الإنسانيَّة من حيث الأثر السمعيّ[2]، وعندما سُبق المقطع الصوتي المفتوح بصوت الهاء أَشعَر بنوع من الحيرة، والخوف، وطلب الاستعانة، وعَبَّر عن "امتداد أسى، ولوعة، واستطالة درب المصير المجهول"[3]، ويعزّز هذا غلبة الأصوات ذات الجرس المستمر بنسبة 76% في نهاية المقطع الصَوتِيّ المغلق (ص ح ص) التي أسهمت بشكل فاعل في هذا الشعور لما فيها من استطالة، والجدول الآتي يوضح ذلك:

الآية	ص ح ص		ص ح ح		ص ح ص	المجموع
		العدد	الصوت	العدد	الصوت	
1	5	3	آ آآ	4	ل ل ر ل	12
2	5	2	آ آ	4	خ ل ر ث	11
3	3	4	آ آآآ	2	ل ن	9
4	6	2	آ آ	4	و ن د خ	12
5	5	2	آ آ	3	ن ب و	10
6	7	3	آ آآ	9	و ن ص ن ش ن و ع م	19
7	4	1	آ	9	ن ع ل ث ر ن ي ن هـ	14
8	4	1	آ	9	ن ع ل ث ر ن ر ن هـ	14
مج	39	18		44		101

(1) سورة النبأ، الآية 38

(2) النقد الصوتي، 233 وينظر: المقطع الصوتي وعروض الشعر العربي، 177.

(3) الإنفعالية الإبلاغية، 33. وينظر: الإعجاز الصوتي في قصار السور، أحمد فليح، 4

مجلة المصدر The Source

وإذا ما نظرنا إلى عدد الأصوات في السورة، سنَجِد أنَّ الأصوات الشديدة فيها كانت (33) صوتاً، والأصوات المهموسة (31) صوتاً، أما الأصوات المجهورة فقد تفوَّقت على الأصوات المهموسة بشكل كبير جداً، وكانت (110) أصوات، فمثَّلت ما نسبته(67.5 %) لتناسب هذه الشدة وهذا الجهر، حالة الأرض ساعة الزلزلة وما سيحدث فيها من شدائد، وما سيسمع من تدمير، ويبدو هذا بشكل واضح في الآية الثانية التي تصوِّر هذا الجرم الهائل، وقد انشق عن فجوات، تقذف ما ضمَّ من أثقال، لأنَّها احتوت على أصوات شديدة، وصلت نسبتها إلى ما يقارب الـ(54.5%)، وهي نسبة عالية جدّاً، ولاسيَّما أنَّ عدد الأصوات الشديدة لا يتجاوز الثمانية في اللغة العربيَّة، فحروف الشدَّة ثمانية، يجمعها قولك: (أجدت قطبك)[1]، وترتيبها حسب شدتها (ب. ت. د. ط. ظ. ك. ق. ج. همزة)[2] والشدَّة من علامات شدَّة الحرف، وبمقدار ما تكون الشدَّة في الإغلاق، تكون الشدة في الانفراج[3]، فإنْ كان مع الشدَّة جهر وإطباق واستعلاء، فذلك غاية القوَّة في الحرف[4]، فتعزّز بهذا علاقة الجهر والشدة بالمعنى المقصود في السورة.

ونبقى في صفات الأصوات ومعانيها، فيبدو لنا في تكرار صوت الزاي المجهور في الآية الأولى[5] ما يصاقب حدث الزلزلة التي تشتمل على اضطرابات نفسيّة متتابعة، لا تنقطع من خلال ما يوفِّره من جرس قويّ مزلزل، يشعرنا بهذا الحدث الكونيّ الهائل، الذي لا يمكن السيطرة عليه[6]، فكأنَّ في اهتزاز الأوتار الصَوتِيّة عند النطق بالزاي ودويّ صفيره[7]، ما يرسم اهتزاز الأرض عند الزلزلة، وينقل ذلك الإحساس إلى أعصاب السامع بمجرد سماعه[8]، لأنَّ "تكرار الصوت يسهم في تهيئة السامع للدخول في أعماق الكلمة"[9]، فضلاً عن "انسياب الصوت من الأسنان إلى اللثة، ثم إلى الأسنان، ثم إلى اللثة، وفي النهاية إلى الحنجرة

---

(1) يضيف بعض الدارسين صوت الـ(ض)، والجيم القاهرية، ينظر: علم التجويد دراسة صوتية ميسرة، 58، والأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، 23-24.

(2) تحليل الخطاب الشعري، 91.

(3) الأصوات اللغوية، سمير استيتة، 22.

(4) الرعاية، 93.

(5) ينظر: الإيقاع أنماطه ودلالاته، 118.

(6) ينظر: جماليات المفردة، 151.

(7) في ظلال القرآن 224/30.

(8) ينظر: الرعاية، 183 وعلم اللغة، 146 وعلم اللغة العام، 120.

(9) التكرار في الشعر الجاهلي دراسة أسلوبية، موسى ربابعة، 168.

مجلة المصدر The Source

مرتداً إلى العمق كي يجسّد حركة الزلزلة [التي] تبدأ اهتزازاً خفيفاً، ثم ينتهي دماراً كارثيّاً عظيماً"[1]، ينسجم معه امتداد طول المقطع الصوتي المفتوح.

تلاحم المستويات اللغَويّة(الصَوتِيّة، والصرفيّة، والتركيبيَّة) في سورة الزلزلة

لا يمكن إطلاقا أنْ تكون الدراسة اللغَوِيّة كاملة إذا فصلنا بين المستويات اللغَوِيّة، فحين يتغيَّر المعنى المعجميّ تتغيَّر الأصوات أو الفونيمات التي تكوِّن اللفظ، وتتغيّر الأصوات حتما أو تزيد أو تنقص بتغير الصيغة الصرفيّة، وحتما سيكون لتغيير الألفاظ موقعا أو إعرابا أثر في تغيير الدلالة، ولن تظهر البلاغة في النص فضلا عن الإعجاز في النصِّ القرآنيِّ إلّا من خلال النظر بالمترادف من الألفاظ، وهذا يكون من خلال عمليّة استبدال الألفاظ بما يقاربها، أو التراكيب بما يشابهها.

سنحاول أنْ نتناول المستويات معا، ونأخذ مثلا التغيير في التركيب النحويّ باستعمال حرف الجر (اللام) بدل حرف الجر (إلى) من خلال تعدية الفعل (أوحى) باللام، لأنَّ الفعل (أوحى) يتعدى بـ (اللام) وبـ (إلى)، لكنَّه لا يتعدى بـ (إلى) إلاّ حين يكون الموحى إليه من الأحياء، أمّا حين يكون الموحى إليه جماداً، فالفعل يتعدى باللام، فضلاً عن أنَّ أقرب الأفعال إلى معنى (أوحى) هو الفعل (قال) الذي تتعلَّق به اللام[2]، إلاّ أنّ التعدية باللام لوحظ فيها الإلصاق، وقوَّة الاتصال، بخلاف (إلى) التي فيها معنى المسافة باعتبارها للغاية[3]، أمّا صوتيّاً فنجد ما يعزّز ذلك، فاللام لها مقطع صوتيّ قصير مفتوح واحد، و(إلى) لها مقطعان صوتيّان، ناهيك عن أنَّ استعمال اللام، أدّى إلى الحفاظ على تسلسل المقاطع الصَوتِيّة في فاصلة السورة، فحافظ فضلا عن المعنى على التناغم الصَوتِيّ في السورة، وأثبت أنَّ الفاصلة مرتبطة بالمعنى، وليست لتوافق موسيقي وحسب، والمخطَّط الآتي يوضح ذلك:

أوحى لها = ص ح ص + ص ح ح + ص ح + ص ح ح
أوحى إليها = ص ح ص + ص ح ح + ص ح + **ص ح ص**+ ص ح ح

(1) الإعجاز الصوتي في قصار السور، 17.

(2) الإعجاز البياني في كتاب العربية الأكبر، 214. وينظر: حروف المعاني، 280.

(3) من صور الإعجاز الصوتي في القرآن، 97.

ويأتي استعمال البناء للمفعول، في إشارة إلى أن المخوِّف هو الزلزلة، ولو لم يُعلم فاعلها، أو للدلالة على سهولة الفعل ويُسره جداً[1]، أو للعلم بالفاعل وهو الله تعالى[2]، أو تركيز الاهتمام على الحدث بصرف النظر عن محدثه، وبيان للطواعية التي يتم بها الحدث تلقائياً، أو على وجه التسخير، وكأنه ليس في حاجة إلى فاعل[3]، ففي بناء الفعل إيحاء بأن الأرض تزلزل عن طواعية، واستجابة لتسخير تلقائي[4]، فضلاً عمّا فيها من معنى الاهتمام بالحدث وتعظيمه، يُلحظ هذا من تنوّع الحركات فالزاي الأولى في الفعل (زُلْزِلَت) مضمومة، والضمّة حركة ثقيلة " تشهد بها عملية نطق الضمّة التي يكون فيها انكماش الشفاه"[5]، والزاي الثانية مكسورة، أمّا اللام الأولى فساكنة، وأمّا اللام الثانية فمفتوحة، فكأنما يرسم هذا التعدُّدُ تعدُّدَ الاهتزازات، ونتائجها.

ثم توحي صيغة (أفعل) في قوله تعالى: [وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا] هي الأخرى بثقل ما أخرجته الأرض، لأنَّ الأرض مكان الفعل وليست فاعلة، وفي هذا الإسناد تخييل محرك ومثير، يجعلك ترى الأرض فاعلة، جاهدة، تخرج أثقالها[6]، لاحتواء الفعل (أخرجت) على ثلاثة أصوات شديدة (الهمزة، والجيم، والتاء)، أمّا صوت الخاء، فعلى الرغم من أنَّه رخو مهموس، فإنَّه مستعلٍ، فضلاً عن أنَّه من الأصوات المهموسة التي تكون مصحوبة باهتياج واضطراب في الهواء، فيبدو لبعض غير المتمرسين في علم الصوت وكأنَّه صوت مجهور؛ وذلك بسبب ما يجدون من شدّة، وما يحسّون به من خلخلة تجعلهم يظنّون أنّها ذبذبة في الأوتار الصَوتِيّة[7]، ويأتي الراء التكراري بعد الخاء، ليكرر هذه الشدّة، وهذا الاستعلاء، ثمَّ يصوِّر انتهاء الفعل بصوتي الجيم والتاء الانفجاريّين مما يفاجأ الإنسان لرؤيته فضلاً عن مناسبة صيغة(أفعل) لذلك، ولو قيل خرَّجت الأرض، لما أفادت ما أفادته أخرجت، لأنَّ في الأولى تدرّج لا يوجد في الثانية، وهنا يكمن عنصر المفاجأة والذهول، فيقول الإنسان: ما لها؟ مذهولاً، مستعجباً، مستعظماً، مستغرباً، مستفهماً[8]، لا سائلاً، فالكلّ مشغولٌ بأمر نفسه، وهذا

---

(1) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين أبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي 8 / 504، ط، دار الكتب العلمية.

(2) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور 15 / 30 / 491.

(3) الإعجاز البياني للقرآن، د.عائشة عبد الرحمن ص24 وما بعدها، ط، دار المعارف.

(4) التفسير البياني للقرآن الكريم، د.عائشة عبد الرحمن 1 / 82، ط، دار المعارف.

(5) جماليات المفردة، 207.

(6) خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، محمد أبو موسى، 90.

(7) الأصوات اللغوية، سمير استيتة، 104.

(8) روح المعاني 604/30 وصفوة التفاسير 592/3.

واضح من استعمال مفردة (الإنسان) بدل (الناس) التي ترسم صورته، وأُسند إخـــراج الأثقـــال مجازاً إلى الأرض، مع "زلزلت" على البناء للمجهول، مضياً في تقرير تلقائية الحدث، كأنه في غير حاجة إلى محدث، وتركيزاً للانتباه فيه[1].

وقد يبدو في استعمال الصيغة الصرفيّة(أخرجت / أفْعَلَتْ) بدل (خرَّجت / فَعَّلَـــتْ) مـــا يسهم في إعطاء صورة هذا الهول؛ نظرا لما في الصيغة الأولى من معنى التعدية، فضلا عن القيام بالعمل دفعة واحدة، أمّا الصيغة الثانية، ففيها تدرّج أو تكرار خلت منه الأولى.

وتبدو لنا دقّة جرس الألفاظ من خلال لفظة زلزالها بدل زلزالاً، التي أفـــادت توحيـــد فواصل الآيات، فانتهت بالألف المسبوق بالهاء (ها) فضلاً عن المقصود في الآيـــة وهـــو: " الزلزال المخصوص بها، الذي تقتضيه بحسب المشيئة الإلهية المبنية على الحكم"[2]، ويعـــزّز هذا كسر الزاي للدلالة على المصدريّة[3]، وكذلك يبدو لنا استعمال لفظة (ربّـــك) فـــي الآيـــة الخامسة بدل (ربّها)، ولاسيّما أنَّ الحديث عن الأرض، أو بدل (ربّه)، والمقصود به الإنسان، لما في الكاف من شدّة غير موجودة في الهاء تناسب المقام أيضاً، فضلاً عن دلالتها اللغَوِيّـــة في طمأنة الرسول (صلى الله عليه وسلم) أنّه سبحانه هو ربّه المتولية في تلك اللحظة.

وتبقى مُصاقبة الأصوات للمعاني واضحة في السورة، ليبدو استعمال الفعل (يـــصدر) بأصواته التي "تبدأ من الداخل العميق إلى السطح التي تجسد خروج النـــاس مـــن الأحـــداث بيسر"[4] متناسباً بدل غيره من المرادفات كـــ(يرد، أو يخرج، أو يأتي، أو يرجع، أو يـــذهب، أو....)، كما تعبّر فيه قوّة الصاد وصفيرها عن قوّة الزلزلة التي تخـــرجهم مـــن مـــصدرهم أشتاتاً، فتصور لنا هذا التفرق والتشتت، متفجراً، متباعداً، بـــ(الشين) الانتـــشاري، و(التـــاء) الانفجاري، يباعده المد المتكرر الذي بيّن أجزاءَها أكثر فأكثر، ويرسم صـــورة ادعـــى إلـــى الحيرة، والخوف، والرهبة في صدورهم مبعثرين أشتاتا، لا جماعات، وكيف لا ومع الجماعة يلتمس الألف والأنس[5] ؟

وإذا ما علمنا أنّ لطبيعة الحرف تأثيراً في جعل الضمّة ثقيلـــة أو خفيفـــة، لأنَّ قوّتهـــا وبساطتها تتبعان الحرف نفسه[6]، فإنَّنا نستشعر في بناء الفعل (يُرَوا) للمجهول بيائـــه الثقيلـــة

---

(1) التفسير البياني، د / عائشة عبد الرحمن، 1 / 85، ط دار الفكر.

(2) تفسير الكشاف، 1215 وروح المعاني، 602/30.

(3) التفسير الكبير، 57/32.

(4) الإعجاز الصوتي في قصار السور، 18.

(5) الإعجاز البياني في كتاب العربية الأكبر، 214.

(6) جماليات المفردة، 210.

بالضمّ، ما يعبّر عن ثقل ما سيرونه في ذلك اليوم رغماً عنهم، بلْ ويرسم صورة الانتباه القسريّ غير الإراديّ الذي يوجب بذل جهد كبير يتوقف مقداره على شدّة الدفع إلى الانتباه[1]، ولاسيّما أنّ هناك من يهرب من مواجهة عمله بينه وبين نفسه، ويشح بوجهه عنه لبشاعته، فكيف به وهو يواجه بعمله على رؤوس الأشهاد وفي حضرة الجليل العظيم[2]؟

وإذا ما علمنا أنَّ استعمال اللام الناصبة بدل (كي)، لأنَّ الأصل في (كي) أنْ تستعمل لبيان الغرض الحقيقيّ، واللام تستعمل له ولغيره[3]، أحسسنا أنّ القصد من هذا ليس للرؤية فحسب، بلْ لما بعدها أيضاً، وما بعدها أشدّ وأصعب، فاستشعرنا ثقل المصيبة بصورة واضحة.

الخاتمة

أكَّدت الدراسة أن لكلِّ سورةٍ قرآنيَّةٍ خصوصيَّتها التي تختلف فيها عن غيرها، في موضوعها أو أسلوبها أو هدفها، وقد يكون فيها أكثر من محور، تتغير تبعا له الأصوات، أو الفاصلة، أو المقطع الصوتي، فتفوُّق الأصوات المجهورة على الأصوات المهموسة بشكل كبير جداً في سورة الزلزلة تناسب وحال الأرض ساعة الزلزلة، وما يحدث فيها من أهوال تُرى وتسمع بكل وضوح، وتغيّر نوع المقاطع الصَوتِيّة فضلا عن عددها في فواصل السورة بدا واضحا مع تغيير مجموعاتها الثلاثة، وكشف الإيقاع اللغَوِيّ في التراكيب النحوية فضلا عن المقاطع الصَوتِيّة، من حيث كونها مفتوحة، أو مغلقة، طويلة، أو قصيرة عن الانسجام الكبير بين المستويات اللغوية للوصول إلى المعنى.

---

(1) علم النفس في القرآن الكريم، سعد رياض، 142.

(2) في ظلال القرآن، 225/30.

(3)ينظر: معاني النحو، فاضل السامرائي 345/3-349 ومسالك القول، 127 و128.

مجلة المصدر The Source

المصادر والمراجع

1- أبحاث في أصوات العربية، د. حسام سعيد النعيمي، ط1، بغداد، 1419 هـ - 1998 م، دار الشؤون الثقافية العامة.

2- الأسس الجمالية في النقد العربي عرض وتفسير ومقارنة، د. عز الدين إسماعيل، ط3، بغداد، 1407 هـ - 1986م، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام.

3- الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، د. مجيد عبد الحميد ناجي، ط1، بيروت- لبنان، 1404 هـ - 1984م، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

4- الأصوات اللغَوِيّة، د. إبراهيم أنيس، (د.ت)، مكتبة نهضة مصر.

5- الإعجاز البياني في كتاب العربية الأكبر، عائشة عبد الرحمن، مجلة مجمع اللغة العربية، ج12، سنة 1960م، مطبعة التحرير.

6- الإعجاز الصَوتِيّ في سورة الكافرين، د. عزّة عدنان أحمد عزّت، مجلة كلية التربية - جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، العراق، المجلد 18 العدد 1، محرم 1432 هـ - كانون الثاني 2011 م.

7- الإعجاز الصَوتِيّ في قصار السور، أحمد فليح، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، العراق، المجلد 12، العدد (5)، جمادي الأولى 1426 هـ - حزيران 2005م.

8- الإيقاعُ في سُورَةِ العَادِيَات، د. عزّة عدنان أحمد عزّت، مجلة آداب الفراهيدي، عدد خاص ببحوث المؤتمر العلمي الخامس لكلية الآداب بجامعة تكريت، العراق، المنعقد للمدة من 2-3 آيار 2011 م.

9- الألسنية العربية (مقدمة، الأصوات، المعجم، الصرف) ريمون طحان، ط1، بيروت، 1392 هـ - 1972 م، دار الكتاب اللبناني، المكتبة الجامعية.

10- الانفعالية الإبلاغية في البيان العربي، عصام كمال السيوفي، بيروت (د.ت)، دار الحداثة

11- الإيقاع أنماطه ودلالاته في لغة القرآن الكريم، دراسة أسلوبية دلالية، عبد الواحد زياد اسكندر المنصوري، رسالة ماجستير، بإشراف، أ.د. أحمد جاسم النجدي، مقدمة لكلية الآداب، جامعة البصرة، العراق، 1416 هـ - 1995م.

12- التبصرة في القراءات، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، حقق نصه وعلق حواشيه، د. محي الدين رمضان، ط1، الكويت، 1405 هـ - 1985م، منشورات معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة.
13- تحليل الخطاب الشعري، البنية الصَوتِيّة في الشعر، محمد العمري، ط1، الدار البيضاء، 1411 هـ - 1990م، مطبعة النجاح الجديدة.
14- التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، الطيب البكوش، تونس، 1393 هـ - 1973م، الشركة التونسية لفنون الرسم.
15- التطفيف في سورة المطففين، د. عزّة عدنان أحمد عزّت، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العراق العدد (9) أيلول 2012 م.
16- التفسير الأدبي والإعجازي، د. أحمد مطلوب، ضمن كتاب (الإعجاز القرآني)، بحوث المؤتمر المعقود بمدينة السلام، بغداد 21-26، رمضان1410 هـ 16-21نيسان/ 1990م، الجمهورية العراقية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية.
17- التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة عبد الرحمن، ط2، مصر، الجزء الأول 1386 هـ - 1966م، الجزء الثاني، 1388 هـ، 1968م.
18- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، (د.ت)، الدار التونسية لنشر، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان.
19- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت 538 هـ)، خرج أحاديثه وعلق عليه، خليل مأمون شيحا، ط1، بيروت- لبنان، 1423 هـ- 2002م، دار المعرفة.
20- تفسير النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبدالله بن أحمد محمود النسفي، بيروت، ط1، 1421 هـ - 2000م، دار المعرفة.
21- التكرار في الشعر الجاهلي دراسة أسلوبية، موسى ربابعة، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، الأردن، ج5، ع1، حزيران/1990م.
22- التوحيد في سورة التوحيد، د. رافع عبد الله العبيدي، ود. عزّة عدنان أحمد عزّت، مجلة كلية التربية – جامعة بابل، العراق، عدد خاص ببحوث مؤتمر جامعة بابل السنوي الدولي الخامس لكلية التربية المنعقد بتاريخ 13 - 14 / 11 / 2012 م.
23- جماليات المفردة القرآنية، د. أحمد ياسوف، ط2، سوريا – دمشق، 1419 هـ- 1999م، دار المكتبي.

مجلة المصدر The Source

24- دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس، ط2، مصر، 1383 هـ - 1963م، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي.
25- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق، د. أحمد حسن فرحان، (د.ت)، توزيع دار الكتب العربية.
26- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي، تحقيق، محمد أحمد الأمد وعمر عبد السلام السلامي، بيروت، ط1، 1421 هـ - 2000م.
27- سورة الإخلاص – دراسة لغوية صوتية، د.رافع عبد الله العبيدي، ود.عزّة عدنان أحمد عزّت، مجلة آداب الرافدين – كلية الآداب - جامعة الموصل، العراق، العدد (64) 1434هـ - 2012 م.
28- سورة الضحى – دراسة صوتية، د. عزّة عدنان أحمد عزّت، مجلة آداب الرافدين – كلية الآداب – جامعة الموصل، العراق، العدد 54 السنة 38، 1430 هـ - 2009 م.
29- سورة اللهب – دراسة في إعجاز القرآن الصَوتِيّ، عزّة عدنان أحمد عزّت، مجلة آداب الرافدين – كلية الآداب – جامعة الموصل، العراق، العدد (37)، 1424 هـ - 2003م.
30- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، القاهرة، ط9، (د.ت).
31- عضوية الموسيقى في النص الشعري، د. عبد الفتاح صالح نافع، ط1، الزرقاء- الأردن، 1405 هـ - 1985م، مكتبة المنار، جامعة اليرموك.
32- علم التجويد دراسة صوتية ميسرة، د. غانم قدوري الحمد، ط1، بغداد، 1408 هـ - 1988م، مطبعة أسعد.
33- علم اللغة العام، الأصوات، د. كمال بشر، ط4، مصر، 1395 هـ - 1975م، دار المعارف.
34- علم النفس في القرآن الكريم، سعد رياض، الجزائر، 1425 هـ - 2004م، مؤسسة اقرأ للنشر
35- فصول في فقه العربية، د. رمضان عبد التواب، ط1، القاهرة، 1393 هـ - 1973م، دار الحمامي للطباعة، توزيع مكتبة التراث.
36- فقه اللغة وخصائص العربية، محمد الباكير البرازي، ط1، عمان- الأردن، 1407 هـ - 1987م، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.

37- في النقد الأدبي، د. شوقي ضيف، ط5، القاهرة، 1398هـ - 1977م، دار المعارف، مكتبة الدراسات الأدبية.
38- في ظلال القرآن، سيد قطب، ط3، بيروت- لبنان، (د.ت)، دار إحياء التراث العربي.
39- اللغة بين العقل والمغامرة، د. مصطفى مندور، الإسكندرية، 1394 هـ - 1974م، مطبعة أطلس، منشأة المعارف، جلال خرى وشركاه.
40- مسالك القول في النقد اللغَوِيّ، صلاح الدين الزعبلاوي، ط1، سوريا، 1404 هـ - 1984م، الشركة المتحدة للتوزيع.
41- مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب، قم- ايران، (د.ت)، دار الكتاب الإسلامي.
42- معارج التفكر ودقائق التدبر، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط1، دمشق، 1420 هـ - 2000م.
43- معاني النحو، فاضل السامرائي، وزارة التعليم والبحث العلمي، جامعة بغداد، بيت الحكمة، 1408هـ-1987م.
44- مقالات في الأسلوبية، د. منذر عياش، سوريا، 1411 هـ - 1990م، منشورات اتحاد الكتاب العرب.
45- المَقْطَعُ الصَوتِيّ المَدِيْدُ المُقْفَلُ بِالصَّامِتِ - دِرَاسَةٌ إحصَائِيّة صَوتِيَّةٌ فِي القرآن الكَرِيم، د. عزّة عدنان أحمد عزّت، مجلة آداب الفراهيدي، كلية الآداب، جامعة تكريت، العراق، العدد 10، آذار 2012 م.
46- المقطع الصَوتِيّ وعروض الشعر العربي، محمد عبد الزهرة الشريفي، مجلة اللغة العربية وآدابها، عدد 2، شباط 2002.
47- من أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس، ط6، مصر، 1399 هـ - 1978م، مكتبة الأنجلو المصرية.
48- من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، القاهرة، 1370 هـ - 1950م، دار نهضة مصر للطبع والنشر.
49- من صور الإعجاز الصَوتِيّ في القرآن، محمد السيد سليمان، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، السنة التاسعة، العدد 36، سنة 1989م، الكويت
50- النقد الجمالي وأثره في النقد العربي، روز غريب، ط1، بيروت، 1372 هـ - 1952م، دار العلم للملايين.

التعيينُ وَجهَةُ الخِطابِ فِي العَرَبِيَّةِ
ديوان "لماذا تركت الحصان وَحِيدا"
لمحمود درويش أنموذجا
دراسة لسانيّة

***هاني البطّاط**

قسم اللّغة العربيّة، كليّة الآداب،

جامعة الخليل، الخليل ــ فلسطين

الملخّص:

تُقدِّمُ الدّراسة رؤيةً وصفيّةً لموضوعيِّ التّعيينِ وجهةِ الخطابِ في العربيّةِ؛ وقدْ اتّخذَ الباحثُ ديوانَ "لماذا تركتَ الحصانَ وحيداً" مادّةً تطبيقيّةً لعيّنةٍ ممثّلةٍ للأدبِ الفلسطينيِّ لإظهارِ دلالاتِ ومقاصدِ جهاتِ التّعيينِ والخطابِ المستعملةِ عندَ درويش في ديوانه؛ ذلك أنَّ الأسماء الدّالّة على مسمّيات محتاجةٌ إلى تحديد مقصدها الدّلاليّ لعموميّتها. فيصبح مطلب وجود وسيلة محدّدة أمراً ضروريّاً لأجل التّعيين. وجهة الخطاب(الشّخص)؛ التّكلّم والخطاب والغيبة، دلالات مُؤدّاة عن طريق الضّمائر المنفصلة وحدها، أو عن طريق الفعل والاسم والحرف، مضافاً إليها الضّمائر المتّصلة.

Abstract:

This research introduces a novel descriptive vision of two topics in Arabic: reference and person. The researcher adopts "Limatha Tarakta Al-Hisan waheedan" as a case study that represents literature that shows reference and person as used by Darweesh. Common nouns which refer to names need to be defined. Therefore, it becomes imperative to use a defining means in order to identify their references.

Person including 1st person, 2nd person and 3rd person has meaning which is performed via the separable pronouns only, or via the verb, the noun and the particle to which the inseparable pronouns are attached.

* بريد الباحث الإلكتروني: hanib@hebron.edu

الكلمات الدّلاليّة:

التعيين، جهة الخطاب، المورفيمات، المقولات، السّوابق، اللّواحق، المقحمات،

المقدّمة:

تُعبِّرُ المورفيمات عن معانٍ صرفيّة مختلفة؛ نحو الجنس، والزّمن، والعدد، والشّخص(جهة الخطاب)؛ من متكلّم، ومخاطب، وغائبٍ، والتّعيين؛ من تعريف، وتنكير.

والمقولات الصّرفيّة؛ هي معانٍ تعبِّر عنها مباني التّصريف التي تظهر حين توضع مباني التّقسيم الممثّلة بمحور رأسيٍّ على محور أفقيٍّ، يضمّ كلّ المقولات اللّغويّة؛ الصّرفيّة، والنّحويّة والسّياقيّة[1]. وهي متعددّة متنوّعة، مختلفة عدداً ونوعاً باختلاف اللّغات؛ لذا دعا بلومفيلد الدّارسين إلى أن يقارنوا بين الفصائل الخاصّة بلغات مختلفة، وأن يحدّدوا الخصائص أو السّمات العالميّة، أو على الأقلّ تلك المنتشرة انتشاراً واسعاً[2].

وهي دعوة يتلمّس فيها الباحثون النّواميس المشتركة، والنّواميس المميِّزة التي تنفرد فيها بعض اللّغات الإنسانيّة في مقولاتها الصّرفيّة.

ويمكننا أن نميّز بين جهة التّعيين (النّكرة والمعرفة) وكذلك جهة الخطاب من تكلّم وخطاب وغيبة في هذه المباحثة بعدّة وَسائل:

ــ إدخال مورفيمات السّوابق التي تقع في بداية الجذر، أو عن طريق اللّواحق التي تقع في نهاية الجذر، أو عن طريق المقحمات التي تقع في حشو الجذر، ويسمّي بعض الباحثين تلكم العمليّة بـــ(الوصل) و(الضمّ)؛ إذ لها وظيفة مهمّة في تصريف الكلم[3].

يقول درويش: أعرف البيْتَ من خصلة المَرْيَميَّة

أولى النّوافذ تجنحُ نحو الفراشات[4]

ويقول: أعرف ماذا تقول الحمامةُ

حينَ تبيضُ على فوَّهة البندقيّة [5]

---

(1) قدّور، أحمد محمّد، **مبادئ اللّسانيّات**، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1996م ، ص176.

(2) المرجع نفسه، ص 233.

(3) أولمان، ستيفن، **دور الكلمة في اللّغة**، ترجمة كمال بشر، مكتبة الشّباب، القاهرة، 1975م ، ص155.

(4) درويش، محمود، **لماذا تركْتَ الحصانَ وحيدا**، رياض الريّس للكتب والنّشر، بيروت، 2001م ، ص50.

(5) المرجع نفسه، ص50.

فإضافة مورفيم(ال) كسابقةٍ في الكلم؛ النّوافذ، الفراشات، الحمامة، البندقيّة، تفضي إلى التّعريف، ولكنَّ إضافة مورفيم(ال) بمعزل عن السّياق يفضي إلى تعريف شكليّ وليس تعريفاً معنويّاً.

وكذلك الأفعال؛ أعرفُ، تَجنَحُ، تَقولُ، تبيضُ، دخلت عليها مورفيمات المضارعة كسابقة أوليّة تُفضي إلى تحديد جهة الخطاب للمتكلم والمخاطب.

وفي جمعِ النّوافذ تكون (الواو) و(الألف) مورفيماً مُقحماً في جذر الكلمة.

وقوله من قصيدة "أبدُ الصبّار": لماذا **تركْتَ الحصانَ** وحيداً [1]

فإضافة المورفيم المقيّد (التّاء) كلاحقة مع الفعل عيَّنَ جهة الخطاب للمخاطب، وإضافة لاصقة مورفيم التّعريف (ال) كسابقة مع الاسم مَنحهُ تعريفاً؛ والشّاعر يستخدم لفظ "الحصان" بدل لفظ "السّلام" في خطابه لوالده عندَ تركهِ أرضه يوم أُجْبِرَ على الرّحيل.

ــ تغيّر الصّوائت في جذور الكلم؛ نحو كُتُب، وكُتِبَ، وكَتَبَ.

يقول درويش: هنا وُلِدْتُ ولمْ أولَدْ [2]

ويقول: صُحُفٌ وسندويشات[3]

ويقول: قصيدةٍ كُتِبَتْ وأخرى ماتَ شاعِرُها[4]

فقد يقصدُ دلالة الجمع غير السّالم، أو المضيّ للمعلوم أو المجهول؛ برافد تغيّر الصّوائت الدّاخلة على الجذر.

ــ المورفيمات الصّفريّة المختزلة في الأفعال والأسماء؛ نحو قول درويش من قصيدة "للغجريَّة سماءٌ مُدَرَّبَة": ضاحكٍ حول ليلكِ أسلُكُ دَرْبَ الشُّعَيْراتِ وَحْدي. [5]

فـــ"فضاحك" تختزل مورفيماً صفريّاً دلالته أنَّ الضّحك للمتكلّم، وكذلك "أسلُكُ".

وقد جعل درويش"الغجريّة" رمزاً للطّبيعة التي لا تستقرّ على حال في اللّهو والعبث بالبشر ووجودهم فهي ــ عنده ــ صانعة الزّمان والمكان والحياة والموت.

---

(1) درويش، محمود، **لماذا تركْتَ الحصانَ وحيدا**، ص33.

(2) المرجع نفسه، ص64.

(3) المرجع نفسه، ص65.

(4) المرجع نفسه، ص113.

(5) درويش، محمود، **لماذا تركْتَ الحصانَ وحيدا** ، ص135.

وفي قصيدة أخرى بعنوان"لَيلَة البومِ" يعبِّرُ درويش عن ذاته قائلا: ههنا حاضرٌ

جالسٌ في خلاء الأواني يُحدِّقُ

في أثرِ العابرينَ على قصبِ السُّكّر.[1]

فـــ"حاضر"، و"جالس"، و"يُحدِّقُ"؛ يختزلان ذاتَ درويش المتنقِّلة في الآفاق والمُبحِرَةِ في نفسها، وهي المورفيم الصّفريّ المتعيّنِ.

مشكلة البحث:

الأسماء الدّالّة على مسمّيات، بحاجة إلى تحديد مقصدها الدّلاليّ، إذ إنَّ دلالتها تتّصف بالعموم، وعدم التّحديد. فعند قولنا: إنسان، أو رجل، يكون المقصدُ غير معيّن، إذ المعنى كلُّ إنسان من أبناء جنسه، وكلّ رجل من جنس الرّجال؛ لذلك يُصبح من الضّروريّ وجود وسيلة مُحدّدة لأجل التّعيين. وكذلك مقولة الشّخص(جهة الخطاب)؛التّكلّم والخطاب والغيبة، وهي دلالات مُؤدّاة عن طريق الضّمائر المنفصلة وحدها، أو عن طريق الفعل والاسم والحرف، مضافاً إليها الضّمائر المتّصلة، إذ إنَّ هذه الضّمائر؛ منفصلة، أو متّصلة، أو مستترة تؤدّي وظائف متعدّدة؛ نحو تحديد الشّخص، والعدد، والنّوع، وهي تلتصق بالأسماء، والأفعال، والحروف.

أسئلة البحث:

ما مُحدّد اختيار ابن اللّغة للضّمائر المنفصلة أو المتّصلة؟ وكيف جاء استعمال درويش لهذه الضّمائر في ديوانه ومقاصدها؟ وما هو محدّد استعمال مقولة التّعيين؟ وكيف تفعل السّوابق واللّواحق والضّمائر المختزلة فعلها في الدّلالات.

أهداف البحث:

تظهر أهداف البحث في الآتي:

ــ توضيح مُحدّد اختيار محمود درويش للضّمائر المنفصلة أو المتّصلة.

ــ توضيح مقصد التّعيين في العربيّة وتلمّس هذا المقصد عند محمود درويش في ديوانه.

ــ إظهار دلالة الشّخص (جهة الخطاب) ومحدّد شيوعها في الديوان.

---

(1) المرجع نفسه، ص29.

مجلة المصدر The Source

أهميّة البحث:

تكمن أهميّة البحث في إظهار كيفيّة تعامل درويش في ديوانه مع أنواع الضّمائر في العربيّة والمقاصد الدّلاليّة المتعيّنة من تِلكُمُ الضّمائر، وكذلك التّعيين ومقاصده.

منهج البحث:

تقتضي طبيعة البحث أن يكون المنهج المتّبع في الدّراسة هو المنهج الوصفيّ التّحليليّ.

إذ وصف الباحث دلالة التّعيين ومقاصدها وكذلك جهة الخطاب في العربيّة، وعمل على تحليل تينكَ المقولتين في ديوان درويش.

الدّراسات السّابقة:

اعتمد الباحث في وصف المقولتين على وصف القدماء لهما؛ نحو وصف السّيوطي في الأشبه والنّظائر، ووصف ابن يعيش في شرح المفصّل، وخالد الأزهريّ في شرح التّصريح، ولم أجد دراسة حديثة مماثلة تتلمّس المقولتين في ديوان درويش.

إجراءات الدّراسة:

اختار الباحث ديوان محمود درويش (لماذا تركت الحصان وحيدًا) وعمل على إظهار المقاصد الدّلاليّة للمقولتين في الدّيوان؛ مقولة التّعيين، وجهة الخطاب، وأظهر ذلك بأمثلة واضحة وجداول توضيحيّة توصيفيّة.

وقد رّأى الباحث أنْ ينقسم المبحث إلى قسمين رئيسين تجليةً ومقاربة للوصف الذي ينعقد عليه صُلبُه؛ وهما: التّعيين والشّخص (جهة الخطاب).

أوّلاً: التّعيين:

يُقصد بالتّعيين؛ الإبانة عمّا هو مجهول، أو مخصّص، من الموضوعات، أو الأشخاص، أو الأشياء. فالأسماء الدّالّة على مسمّيات، بحاجة إلى تحديد مقصدها الدّلاليّ، إذ إنّ دلالتها تتّصف بالعموم، وعدم التّحديد. فعند قولنا: إنسان، أو رجل، يكون المقصدُ غير معيّن، إذ المعنى كلُّ إنسان من أبناء جنسه، وكلّ رجل من جنس الرّجال؛ لذلك يُصبح من الضّروريّ وجود وسيلة مُحدّدة لأجل التّعيين. وتعيين الشّيء من جهة المتكلّم والمخاطب يكون على قسمين:

ــ قد يذكر المتكلّم ما هو معروف له ولا يعرفه المخاطب، فيكون منكراً؛ كقول درويش من قصيدة "أطوار أنات": هنالك امرأةٌ تُعيدُ الماء للينبوعِ،

وامرأةٌ تقودُ النّارَ في الغابات[1]

ودرويش في هذه القصيدة يتتبّع دَوْرَة الوجود الإنسانيّ في مراحلِ أطوارها وما يُلْمَسُ من إحساسٍ قويٍّ بالسّموّ ، وتتبعه لدورة الوجود الإنسانيّ يجعله يُكثِّف المعانيَ الخاصّة بمرحلة الاندثار والفناء انتهاءً بالموت بما تحتَ التُّراب. ويُمكن أنْ يقول القائل لمن يَخاطبه: زارني رجل ولي زوجة، وهو يعرف الرّجل وزوجته.

ــ وقد لا يعرفه المتكلّم أيضاً؛ نحو قولك: أبحث عن غلام أشتريه، ولا يكون قصده إلى شيء بعينه. فالتّعيين؛ التّعريف، وفائدة التّعريف" تعيين المسمّى عند الإخبار للسّامع، والإخبار يتوقّف على التّركيب، فيكون تعيين المسمّى عند التّركيب، وقبل التّركيب لا إخبار، فلا تعريف قبل التّركيب"[2].

وتنقسم مقولة التّعيين إلى قسمين رئيسين:

الأوّل: **النّكرة:** التّنكير أصلٌ في الأسماء، والتّعريف فرع من التّنكير[3]؛ لأنَّ الاسم نكرة في أوّل أمره مُبهمٌ في جنسه ثمَّ يدخلُ عليه ما يُفرَد بالتّعريف حتّى يكون اللّفظ لواحد دون سائر جنسه ويزيد ذلك وضوحاً أنَّ الإنسان حين يولد يُطلق عليه اسم رجل أو امرأة ثمَّ يُميّز باللّقب والاسم[4]. وقد قسم الأزهريّ النّكرة إلى نوعين:[5]

ــ تقبل دخول(أل) المؤثرة للتّعريف؛ نحو، رجل، وفرس، فنقول: الرّجل والفرس.

ــ ما لا يقبل دخول(ال) المؤثرة للتّعريف، ولكنّه يقع موقع ما يقبل(ال) المؤثرة للتّعريف؛ نحو "ذي" بمعنى صاحب؛ نحو مررت برجلٍ ذي مال، و"مَنْ" بمعنى إنسان؛ نحو مررت بمَن مُعجبٍ لك، و"ما" بمعنى شيء؛ نحو مررتُ بما معجبٍ لك.

فـــ "ذو" و"ما" و"مَنْ" نكرات؛ لأنَّ "ذي" نعت لنكرة، و"ما" و"من" نُعتا بنكرة، ونعت النّكرة والمنعوت بالنّكرة نكرة، وهي لا تقبل(ال)، وهي واقعة موقع ما يقبلها.

و"صه" عندما يكون منوّناً، فإنّه نكرة ولا يقبل(ال)؛ ولكنّه واقع موقع ما يقبلها وهو"سكوتاً"

---

(1) درويش، محمود، **لماذا تركْتَ الحصانَ وحيدا**، ص87.

(2) السّيوطي، جلال الدّين عبد الرحمن، (ت.911هـــ)، **الأشباه والنّظائر فـــي النّحـــو**، ط1، دار الكتـــب العلمية، بيروت (د.ت)، 49/2.

(3) المرجع نفسه، 47/2.

(4) المرجع نفسه، 85/5ــ 86،

(5) الأزهري، خالد بن عبد الله بن أبي بكر الخزرجيّ، (905 هـــ). **شرح التّصريح على التّوضـــيح**، دار الفكر للطّباعة والتّوزيع، (د.ت)، 92/1.

مجلة المصدر The Source

وهناك من الأسماء ما لا يقبل دخول "ال" وهي موغلة في الإبهام، إذ إنّها لا تختصّ واحداً بعينه، ومنها "غيرُك، ومِثْلُكَ، وشِبْهُكَ"[1].

ويُمكن تمييز التّنكير بما يأتي:

ــ إضافة التّنوين إلى أسماء الأفعال والعلم المبني؛ ويكون قياساً في باب العلم المختوم بـــ"ويه"، وسماعاً في باب اسم الفعل المختوم بالهاء أو غيرها، وفي اسم الصّوت؛ نحو صَهٍ ومَهٍ، وسيبويهٍ، فيفضي إلى تنكيرٍ لا تعريف؛ نحو قولنا: صاح الغراب غاق غاقٍ، دون تنوين معرفة، وتدلّ على معنى مخصوص، وإذا نوّنت كانت نكرة مبهمة، ومررتُ بسيبويهِ وسيبويهٍ آخر، فسيبويهِ علم معرفه، وسيبويهٍ نكرة لا يعرفه السّامع، [2]. وقد يكون معلوماً عند المتكلّم مجهولاً للسّامع.

ــ دخول لام التّعريف؛ نحو الرّجل، والفَرَس.

ــ دخول رُبَّ؛ نحو رُبَّ رجُلٍ[3].

الثّاني: **المعرفة:**

أكثرُ علماء اللّغة استغنوا بحدِّ النّكرة عن حدِّ المعرفة؛ لأنَّ "مَنْ تعرَّض لحدِّ المعرفة عجز عن الوصول إليه دون استدراك عليه؛ لأنَّ من الأسماء ما هو معرفة معنى نكرة لفظاً، وعكسه، وما هو في استعمالهم على وجهين"[4]؛ لذلك يرى ابن مالك أنَّ أفضل شيء في الإبانة عن المعرفة ذكر أقسامها مستقصاة، ثمَّ يُقال: وما سوى ذلك فهو نكرة[5].

وأنواع المعرفة كما ذكرها النّحاة سبعة[6]؛ وهي كالآتي:[7]

---

(1) ينظر: المبرّد، أبو العبّاس محمّد بن يزيد، (ت.285هـ).**المقتضَب**، ط1، تحقيق محمّد عضيمة، عالم الكتب، بيروت، 1963م، 289/4، وابن مالك، جمال الدين محمّد بن عبد اللّه، (ت.672هـ). **شرح التّسهيل، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**، تحقيق محمد عبد القادر وطارق فتحي ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م.، 226/3، والأزهري، **شرح التّصريح**، 2/ 26ــ 27. وابن السّرّاج، أبو بكر محمّد بن سهل النّحوي، (ت.316هـ)، **الأصول في النّحو**، تحقيق عبد الحسين الفتلي، ط3، بيروت، مؤسسة الرّسالة، 1996م، 5/2.

(2) الأزهري، **شرح التّصريح**، 33/1.

(3) السّيوطي، **الأشباه والنّظائر**، 48/2.

(4) ــ ينظر: ابن مالك، **شرح التّسهيل**، 114/1.

(5) المرجع نفسه، 115/1.

(6) اختُلِف في عدد المعارف؛ فبعضهم جعلها خمسة، وبعضهم ستّة، وبعضهم سبعة، وبعضهم ثمانية، ينظر: ابن مالك، **شرح التّسهيل**، 115/1، والسّيوطي، **الأشباه والنّظائر**، 49/2.

(7) ينظر: الأزهري، **شرح التّصريح**، 94/1ــ 95، والأشموني، **شرح الأشموني**، 86/1، وابــن مالــك، **شرح التّسهيل**، 114/1ــ 115، والسّيوطي، **الأشباه والنّظائر**، 48/2.

مجلة المصدر The Source

ــ المُضمَر: كقوله: **أنتَ** حُرٌّ و**أنا** حرٌّ كلانا يعشقُ الغائبَ [1]

وقوله من قصيدة "قرويّون من غير سوء": **نحنُ** أيضاً لنا صَرْخَةٌ في الهبوط إلى حافّة الأرضِ[2]

وقوله من القصيدة نفسها: **نحنُ** أيضاً لنا سرُّنا عندما تقعُ الشَّمس[3].

ــ العلم: المذكّر والمؤنّث؛ نحو قوله في "أبد الصبّار: وكانَ جنودُ **يهوشع** بن نون يبنون قلعتهم من حجارة بيتهما[4].

ويقول: والسّماء لنا كلُّها من **دِمشقَ**

إلى سور **عكّا** الجميل[5]

ــ أسماء الإشارة: كقوله من قصيدة "إلى آخري وإلى آخره":

هذا شمال الجليلْ، ولبنانُ من خلفنا[6]

وقوله: **هذه** لُغَتي ومُعجزتي، عصا سحري[7]

ــ الموصول: للمذكّر والمؤنّث؛ نحو قول درويش في "قافية من أجل المعلقات":

تركْتُ لنفسها نفسي **الّتي** امتلأتْ بحاضرها[8]

ويقول من قصيدة أخرى:

ما **الذي** يأخذُهُ منّي جناحاك؟ [9]

ــ المعرّف بـــ(ال): للمذكّر والمؤنّث؛ يقول:

ستأتي أيُّها **الدّوريُّ**، مهما ضاقتِ **الأرضُ** وفاضَ **الأفُق**[10]

---

(1) درويش، محمود، **لماذا تركْتَ الحصانَ وحيدا**، ص 121.

(2) المرجع نفسه، ص25.

(3) المرجع نفسه، والصّفحة نفسها.

(4) المرجع نفسه، ص34.

(5) المرجع نفسه، ص41.

(6) درويش، محمود، **لماذا تركْتَ الحصانَ وحيدا** ، ص41.

(7) المرجع نفسه، ص118.

(8) المرجع نفسه، ص117.

(9) المرجع نفسه، ص121.

(10) المرجع نفسه، والصّفحة نفسها.

ــ المضاف إضافة محضة؛ نحو قوله: والسّماء انكسرَتْ في **لغتي**، يا **سيّدي** القاضي[1]

ويقول من القصيدة نفسها: ويأتون إلى باحة **بيتي** هادئين

وينامون على غيمَةِ **نومي** آمنين

ويقولون **كلامي** نفسَه بدلاً منّي[2].

ــ المنادى المقصود؛ إذ يرى درويش الوجود الإنسانيَّ بهيئة دورانه العبثيّ بين الحياة والموت كالفراشة التي تسعى حول حتْفها فهو ينادي الفراشة:

يا **فراشةُ** يا أخْتَ نفسِكِ، كوني كما شئتِ، قبل حنيني وبعْدَ حنيني[3]

ويقول من قصيدة " عَوْدُ إسماعيلَ": ويُنشِدُ يا **غريبُ** أنا الغريبُ[4]

ونحو قولنا: يا رجلُ، لرجلٍ مُعيَّن.

وزاد قوم أمثلة التّأكيد؛ أجمعون، وأجمَع، وجَمْعاء، وجُمَع، وقالوا: إنّها صيغ مرتجلة وضعت لتأكيد المعارف لخلوّها عن القرائن الدّالّة على التّعريف، ويؤكّد هذا القول أنَّ أجمعين لم يتنكّر بجمعه، فدلَّ على أنَّه صيغة مرتجلة لتأكيد الجمع المعرّف[5].

وأرى أنَّ هذا النّوع لا يضاف إلى قسمة المعارف، إذ إنَّ لفظ "أجمع" و"أجمعون" لا يُفيدُ دلالة المعرفة دائماً، فقد يكون معروفاً للمتكلّم غير مُحدّدٍ للسّامع، فقولنا: جاء القوم أجمعون، لا تُفيد معرفة للسّامع دائماً، إذ قد تكون معرفة للمتكلّم نكرة على السّامع.

وقد اختلفوا في تعريف الموصولات؛ ومذهب أبي عليّ الفارسيّ أنّها تعرّفت بالعهد الذي في الصّلة، وحجّته في ذلك أنَّ بعض الموصولات ما ليس فيه ألف ولام؛ نحو "مَنْ" و"ما"، ومذهب أبي الحسن الأخفش أنّها تعرّفت بالألف واللام، وحجّته في ذلك أنَّ التّعريف لم يثبت إلا بالألف واللام، أو بالإضافة، ولم يثبت بغير هذين الشّيئين تعريف[6].

---

(1) المرجع نفسه، ص152.

(2) المرجع نفسه، والصّفحة نفسها.

(3) المرجع نفسه، ص107.

(4) ــ **المرجع نفسه**، 46.

(5) السّيوطي، **الأشباه والنّظائر**، 49/2.

(6) ابن عصفور، أبو الحسن علي بن مؤمن الإشبيلي، (ت.696هـ). **شرح جمل الزجاجي (الشّرح الكبير)**،

مجلة المصدر The Source

وحجّة أبي عليّ الفارسيّ بعيدة عن الصّواب؛ ذلك أنَّ عدم دخول(ال) في "مَن" و"ما" لا يُبعد تعريف الموصولات باللام؛ وذلك أنَّهما يقعان موقع ما فيه الألف واللام؛ لكنّهما لا يقبلان دخول الألف واللام على بنيتهما. ومذهب أبي الحسن الأخفش هو ما نختاره، إذ إنَّ ما هو مضاف فإنّه يُعرَّف بالإضافة.

والمعارف وإن اشتركت في أصل التّعريف فهي تتفاوت في ذلك، فبعضها أعرف من بعض، فكلّما كان الاسم أخصّ كان أعرف، وقد اختلف أهل اللّغة في أعرف المعارف:[1]

ــ البصريّون: المضمر، ثمَّ الاسم العلم، ثمَّ المبهم، ثمَّ ما فيه الألف واللام، وحجّتهم أنَّ المضمر لا اشتراك فيه لتعيّنه بما يعود إليه؛ ولذلك لا يوصف ولا يوصف به، وليس كذلك العلم، فإنّه يقع فيه الاشتراك ويميّز بالصّفة.

ــ الكوفيّون: الاسم العلم أعرف المعارف، ثمَّ المضمر، ثمَّ المبهم، ثمَّ ما عُرّف بالألف واللام، وحجّتهم بأنَّ العلم لا اشتراك فيه في أصل الوضع، وإنّما تقع الشّركة عارضة فلا أثر لها، والمضمر يصلح لكلّ مذكور فلا يخصُّ شيئاً بعينه، وقد يكون المذكور قبله نكرة فيكون نكرة أيضاً على حسب ما يرجع إليه؛ ولذلك تدخل عليه رُبَّ من قولهم "رُبَّه رجلاً".

ــ ابن السرّاج: المبهم أعرف المعارف، ثمَّ المضمر، ثمَّ العلم، ثمَّ ما فيه الألف واللام، واحتجَّ بأنَّ اسم الإشارة يتعرّف بشيئين بالعين والقلب، وغيره يتعرّف بالقلب لا غير.

وأضعف هذه الآراء رأي ابن السرّاج؛ لأنَّ التّعريف راجع للمخاطب دون المتكلّم، وما قصده ابن السرّاج راجع إلى معرفة المتكلّم، وأمّا المخاطب فلا علم له بما في نفس المتكلّم.

فعندما يلقي المتكلّم على السّامع قائلاً: زارني ضيف، فكلمة "ضيف" معرفة للمتكلّم، نكرة للسّامع؛ لذلك شرط التّعريف أن يكون معرفة للسّامع أيضا.

ويبدو أنَّ وسيلتي الإضافة وإدخال الأداة هما من أكثر الوسائل شيوعاً في اللّغات المعروفة حين يُقصد تعيين الاسم. وتختلف اللّغات في طريقة الإضافة والمعاني المستفادة منها[2]. وتستعمل اللّغة الإسبانيّة أدوات للتّعريف وأخرى للتّنكير، وتختلف مع المفرد، والمثنّى، والجمع. وكذلك مع المذكّر، والمؤنّث، كما في الشّكل الآتي:[3]

(تحقيق صاحب أبو جناح)، عالم الكتب للطّباعة والنّشر، بيروت، ط1، 1999م، 2/135ــ136.

(1) ابن يعيش، موفق الدّين، (ت.643هـ). **شرح المفصّل**، مكتبة المتنبي، القاهرة، (د.ت)، 5/87.

(2) قدّور، أحمد محمّد، **مبادئ اللّسانيّات**، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1996م، ص186.

(3) سليمان، ماهر، **قواعد اللّغة الإسبانيّة لطلاب اللّغة العربيّة**، ط3، المكتبة الوطنيّة الإسبانيّة، 1984م، ص25.

مجلة المصدر The Source

	جمع		مذكر	
التّعيين	مؤنّث	مذكر	مؤنث	مذكر
أداة التّعريف	Las	Los	La	El
أداة التنكير	Unas	Unos	Una	Un

وتشبه اللّغة الإنجليزيّة اللّغة العربيّة في اقتصارها على أداة واحدة للتّعريف بالمذكّر، والمؤنّث، والعاقل، وغيره. وفي المفرد، والمثنّى، والجمع، وهي الأداة(The). ويؤدّى التّنكير في الإنكليزيّة عن طريق الاستغناء عن أداة التّعريف، وإضافة أداة للإفراد والتّنكير؛ نحو(A,An). وتستخدم(an) للأسماء التي تبدأ بأحد أحرف العلّة، واستخدام الاسم مجرّداً من لواصق التّعيين يجعله دالا على الجنس ويمكن تمثيل ذلك من الجدول الآتي:[1]

	المفرد		الجمع	
التعيين	مؤنث	مذكّر	مذكر	مؤنث
أداة التعريف	The	The	The	The
أداة التّنكير	An\A	An\A	-	-

وفي العربيّة نجد أنَّ نظام العربيّة يأبى أن يكون المضاف منوّناً؛ لذلك لا بُدَّ من إسقاط تنوين المضاف إذا قصدت الإضافة، فلا نقول: جاء رجُلٌ علِمٍ صادقٌ، وهذا ينطبق على المضاف إلى معرفة أو نكرة؛ نحو جاء صديقُ زيدٍ، ولا نقول: جاء صديقٌ زيدٍ، قال ابن السرّاج:

" والإضافة المحضة لا تجتمع مع الألف واللام، ولا تجتمع أيضاً الإضافة والتّنوين، ولا يجتمع الألف واللام والتّنوين"[2].

ثانياً: الشّخص(جهة الخطاب)

يُقصد بالشّخص(جهة الخطاب) في هذا المبحث التّكلّم والخطاب والغيبة، وهي دلالات مُؤدّاة عن طريق الضّمائر المنفصلة وحدها، أو عن طريق الفعل والاسم والحرف، مضافاً

(1)Aziz M. Khalil.(1996).**A contrastive Grammar Of English And Arabic**, Al-Isra` Press ,Jerusalem.p.41.

(2) ابن السرّاج، **الأصول في النّحو**، 5/2.

مجلة المصدر The Source

إليها الضّمائر المتّصلة، إذ إنَّ هذه الضّمائر؛ منفصلة، أو متّصلة، أو مستترة تؤدّي وظائف متعدّدة؛ نحو تحديد الشّخص، والعدد، والنّوع، وهي تلتصق بالأسماء، والأفعال، والحروف.

إنَّ التَّغييرَ المنطقيَّ يقتضي معرفة المُشار إليه كي نناقض الوصف الأمين الّذي نقدّمه له، فالتّغيّرات الدّلاليّة المُتداعية تُمكّن الوصول عرضًا إلى تغيير معاني الكلمات الّتي تتعارض في البداية مع المعلومات المباشرة للتلقّي أو الوعي[1].

ويمثّل الإقناع في الخطاب النّظر إليه بعدّه منتَجًا من مسارات عامّة مؤثّره وهذا التّاثير يتشكّل عن طريق الألفاظ وطرائق استخدامها[2]

وأرى أنَّ الضّمائر المستترة لا يُمكن إبعاد أثرها وقدرتها على التّعيين، وإن كانت هذه الضّمائر مستترة ظاهراً، فهي متّصلة واقعاً، وما يعضد هذا الرأي أنَّ علماء اللّغة جعلوه قسماً من الضّمير المتّصل في تقسيمهم للمضمرات. فالمتّصل على ضربين؛ " بارز ومستتر، فالبارز ما لفظ به كالكاف في "أخوك"، والمستتر ما نوي كالّذي في زيد ضَرَب "[3].

ويومئ ابن يعيش في حديثه حول قلّة حروف المتّصل في مقابل المنفصل، إلى أنَّ علماء اللّغة " جعلوا بعض المتّصلة في النيّة كالضّمير في أفعلُ ويفعَلُ وتَفْعَلُ ونفعلُ، وفي زيدٍ قامَ، وجاز أن يكون على حرف واحد لاتّصاله بما قبله من حروف الكلمة المتقدّمة"[4].

فأحرف المضارعة هي ضمائر متّصلة، لكنّها من السوابق التّصريفيّة، التصقت بأوائل الأفعال، وأرى أنَّ إعراب الضّمير المستتر مع الفعل المضارع، لا يعدو كونه زيادة لا تفيد معنى على المعنى الذي تؤدّيه لاصقة المضارعة الذي يبدأ بها الفعل المضارع، إذ إنَّ الأفعال في قول درويش: أحبُّ الكثافةَ حينَ تُخبِّئُ في سجنها حركات المعاني[5]

وفي قوله: ما ينفعُ النّاسَ يمكثُ في كلمات القصيد[6].

وفي قوله: أنا والحبيبة نشرَبُ ماءَ المسرَّةِ، من غيمةٍ واحدة، ونهبطُ في جرَّةٍ واحدة[7].

---

(1) ينظر: فضل، صلاح، **بلاغة الخطاب وعلم النصّ**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1999م، ص86.

(2) ينظر: باتريك، شارودو، **معجم تحليل الخطاب**، تحقيق: عبد القادر المهري، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008م، ص417.

(3) ــ ابن يعيش، **شرح المفصّل**، 84/3.

(4) المرجع نفسه، 101/3ــ102.

(5) درويش، محمود، **لماذا تركْتَ الحصانَ وحيدا**، ص105.

(6) المرجع نفسه، ص104.

(7) المرجع نفسه، ص85.

هي ضمائر متّصلة مؤدّية للمعنى دون لَبس، وأرى أنَّ إعرابها ضميراً متّصلاً ــ عندما لا يكون الفاعل بارزًا بعد الفعل؛ كنحو "يكتبُ زيد"ــ هو الرّأي المنطقيّ المعبّر عن الدّلالة التي يؤدّيها هذا الضّمير، فقولنا: "يكتبُ درسه" يتبيّن الفاعل من لاصقة "الياء" على أنَّ الفاعل "هو" وإضافة "زيد" للجملة فائدة تخصيصٍ. غير أنَّ علماء العربيّة لم يذكروا في إعراباتهم لكلمها سَبْقَ الضّمير المتّصل للكلم.

فالهمزة هي الدّالّة على الفاعل المعبّر عن المتكلّم أو المتكلّمة، والياء هي الدّالة على الفاعل المعبّر عن الغائب، والتّاء هي الدّالة على الفاعل المعبّر عن الغائبة، والنّون هي الدّالة على الفاعل المعبِّر عن جماعة المتكلّمين ذكوراً وإناثاً فــ"الأفعال المضارعة؛ نحو أقوم ونقوم ويقوم وتقوم يستوي فيها ضمير المخاطب والمتكلّم والغائب في الاستتار وعدم ظهور علامة؛ لأنَّ تصريف الفعل وما في أوّله من حروف المضارعة يدلّ على المعنى ويغني عن ذكر علامة له". [1].

ويرى بعض الباحثين المحدثين أنَّ الضّمائر المتّصلة هي ضمائر منفصلة في الأصل، التصقت بأواخر الأفعال الماضية على شكل لاحقة، فقالوا في بادئ الأمر: ذهب أنتم، وذهب هما، وذهبَ هُنَّ، ثمَّ التصقت الضّمائر بالأفعال، فقيل في حالة الفاعليّة: ذهَبْتُم، وذَهَبَا، وذَهَبْنَ[2].

ويتوجَّب على المتكلّم في الخطاب "إعادة صياغة ملائمةٍ لفكرة الإشارة وتوضيح جليّ لمفهوم الشفرة فالإشارة لا تقف عند حدود بنية العمل بل يجب أن تفترض أيضًا عالَمَهُ ممّا يجعلها تحتضن بالضّرورة سياقه الخاصّ وهو يتمثّل في تركيبه وجنسه وأسلوبه"[3]

ولا بُدّ لملقي الخطاب أنْ يُحضّر لخطابه وهذا يعني:" التّفكير والاستنتاج والتذكّر واختبار ما يعجبك وصقله وجعله في وحدة فنيّة من صنعك الخاصّ"[4]

وتقسم مقولة الشّخص في الضمائر العربيّة المنفصلة كما جاءت في ديوان درويش إلى ثلاثة أقسام تتضح في الجدول الآتي:

---

(1) ابن يعيش، **شرح المفصّل**، 109/3.
(2) أنيس فريحة، **في اللغة العربية وبعض مشكلاتها**، ط1، دار النّهار للنّشر، بيروت، 1980م، ص72.
(3) فضل، صلاح، **بلاغة الخطاب وعلم النصّ**، ص223.
(4) ديل، كارنجي، **فن الخطاب**، الأهليّة، القاهرة، 2001م، ص28.

مجلة المصدر The Source

الضمير	الفعل	الشّخص
أنا	ويُنشِدُ يا غريبُ **أنا** الغريبُ[1] صاحَتْ: **أنا** القمر[2]	التكلّم
نحن	(للمثنّى والجمع والمذكّر والمؤنّث والمشترك) وما شأننا **نحنُ**، ما شأننا يا أبي؟[3]	التكلّم
أنتَ	و**أنْتَ** منِّي يا غريبُ! [4]	الخطاب
أنتِ	كم أحبُّكِ، كم، **أنتِ** أنتِ[5]	الخطاب
أنتما	وهما من يقولان لنا: منْ **أنتما**؟[6]	الخطاب
أنتم	لم ترِد في الدّيوان	الخطاب
أنتُنَّ	لم ترِدْ في الدّيوان	الخطاب
هو	**هو** صاحبُ العودِ القديم[7]	الغيبة
هي	و**هي** تفتحُ أحلامنا لضيوف المساء[8]	الغيبة
هما	الغريبان اللّذان احترقا فينا **هما** من أرادا قتلنا قبل قليل[9](مذكّر)	الغيبة
هما	إلى سماءٍ وأرضٍ. آهِ أينَ **هما**؟[10](مؤنّث)	الغيبة
هم	أطلُّ على أصدقائي و**هم** يحملونَ بريدَ المساءِ[11]	الغيبة
هنَّ	لم ترِدْ في الدّيوان	الغيبة

(1) درويش، محمود، **لماذا تركْتَ الحصانَ وحيدا**، 46.
(2) المرجع نفسه، ص63.
(3) درويش، محمود، **لماذا تركْتَ الحصانَ وحيدا** ، ص37.
(4) المرجع نفسه، ص46.
(5) المرجع نفسه، ص53.
(6) المرجع نفسه، ص93.
(7) المرجع نفسه، ص46.
(8) المرجع نفسه، ص50.
(9) المرجع نفسه، ص93.
(10) المرجع نفسه، ص144.
(11) المرجع نفسه، ص11.

أمّا الضّمائر المتّصلة بالفعل فهي تقسم كما تقدّم قبلاً إلى قسمين؛ بارز ومستتر، وأمّا قدرة الضّمائر المتّصلة على تعيين مقولة الشّخص فتتضح من الرّسم الآتي:

الضّمائر المتّصلة البارزة

الرّفع	النّصب والجرّ	الرفع والنّصب والجر
التّاء:تُ، تَ، تِ، تُما، تُم، تُنَّ(تكلّم)	الياء (تكلّم)	نا(تكلّم /غيبة)
الياء:اكتبي، تكتبين(خطاب)	الكاف:كَ، كِ، كما، كم، كُن(خطاب)	
الواو: كتبوا، يكتبون(غيبة) اذهبوا(خطاب)	الهاء: ه، ها، هما، هن(غيبة)	
الألف: اذهبا، ذهبتما، تذهبان(خطاب) يذهبان، (غيبة)		

الضّمائر المتّصلة غير البارزة

الفعل	الضّمير	الشّخص
وقالَ كلاماً كثيراً عن الحبِّ[1]	هو	الغيبة
صاحَتْ: أنا القمر[2]	هي	الغيبة
قليلٌ ليَفْتَحَ أسْيليوسُ البابَ للسَّلَمِ[3]	هو	الغيبة
وأحلامنا لا تُطلُّ على عنبِ الآخرين[4]	هي	الغيبة
لا تخَفْ من أزيزِ الرّصاص[5]	أنتَ	المخاطب
التَصِق بالتُّراب لتنجو[6]	أنتَ	المخاطب
أطِلُّ على نَوَرَسٍ وعلى شاحناتِ جنود[7]	أنا	المتكلّم
لكنَّنا لا نخزِّنُ أصواتنا[8]	نحنُ	المتكلّم

(1) درويش، محمود، **لماذا تركْتَ الحصانَ وحيدا**، ص35.

(2) المرجع نفسه، ص63.

(3) المرجع نفسه ، ص15.

(4) ــ المرجع نفسه، ص11.

(5) المرجع نفسه، ص32.

(6) المرجع نفسه، ص32.

(7) المرجع نفسه، ص11.

(8) المرجع نفسه، ص25.

أمّا الأسماء فيتمّ تعيين الشخص فيها عن طريق الضّمائر المتّصلة البارزة، وغير البارزة فيها كما هو في الجدول الآتي:

الاسم	الضّمير	الشّخص
اتَّسعَت بلادك للبلاد وغيّرَتْ أحوالها[1]	كَ	الخطاب
على كتفيكِ رائحةُ النّدى[2]	كِ	الخطاب
لم تستعمل في الديوان، نحو؛ كتابــ	كما	الخطاب
لم تستعمل في الدّيوان، نحوكتابــ	كُم	الخطاب
لم تستعمل في الدّيوان، نحوكتابــ	كن	الخطاب
ويّنْصِبُ خيمتَهُ الأبديَّةَ من حولنا[3]	ه	الغيبة
حينَ تطرِّزُ منديلها ريشَةٌ[4]	ها	الغيبة
خلفهما في ليالي الشّتاء الطّويلة[5]	هما(مذكّر)	الغيبة
وأنتِ بينهما، المرآةُ بينهما[6]	هما(مؤنّث)	الغيبة
لم تستعمل في الدّيوان، نحو؛ كتابــ	هن	الغيبة
وأسماؤنا مثل أيّامنا تتشابه[7]	نا	التّكلّم
رُبَّما أتغيَّرُ في اسمي[8]	ي	التّكلّم
الآخرون مرايا لصورتِهمْ[9]	همْ	التّكلّم

(1) المرجع نفسه ، ص80.
(2) المرجع نفسه، ص79.
(3) المرجع نفسه، ص28.
(4) المرجع نفسه، ص26.
(5) المرجع نفسه، ص34.
(6) المرجع نفسه، ص144.
(7) المرجع نفسه، ص26.
(8) المرجع نفسه، ص30.
(9) المرجع نفسه ، ص30.

ومن الجدول يتبيّن أنَّ ضمائر الرّفع "تُ، تَ، تِ، تُم، تُنَّ" مُغيّبة عن اللّحاق بالاسم، فلا نجدُ حضوراً لها، وكأنَّ سمتَ العربيّة اختار ألا تلحق هذه الضّمائر الأَسماء في الإبانة عن مقولة الشّخص.غير أنَّ هذه القاعدة لا تشمل جميع ضمائر الرّفع، إذ إنَّ ضمير" النّاء" يشترك في الرّفع والنّصب والجرّ، ويلتصق بالأفعال والأسماء والحروف و"ياء" المخاطبة لا تكون إلاّ في الرّفع، وفي الأفعال الخمسة تحديداً، و"ياء" المتكلّم من ضمائر النّصب والجرّ حسبُ.

ويتعيّن الإشارة إلى دور الضّمائر المتّصلة البارزة في تعيين الشخص عند إلصاقها بالحروف أيضاً، إذ تؤدّي الدّور نفسه عند ارتباطها بالأسماء؛ ولأجل تجلية الأمر وضوحاً نُمثّل المَقصد في الجدول الآتي:

الحرف	الضّمير	الشّخص
لكَ خَلْوَةٌ في وَحْشَةِ الخَرّوبِ[1]	كَ	الخطاب
وكَمْ يَبْعُدُ الحُبُّ عنكِ[2]	كِ	الخطاب
لم تستعمل في الدّيوان؛ نحو منــ	كما	الخطاب
خذوني إلى لُغَتي معَكُمْ[3]	كُم	الخطاب
لم تستعمل في الدّيوان؛ نحو منــ	كن	الخطاب
ههنا حاضرٌ، لا مكان لَه[4]	ه	الغيبة
فَيَرْكُضُ الزَّمَنُ الطَّويلُ بِها إلى عَبَثٍ[5]	ها	الغيبة
عليهما قَمَرُ الدّيانات الصّغيرة[6]	هما	الغيبة
لم تستعمل في الدّيوان؛ نحو منــ	هن	الغيبة
وليسَ غَدُنا حاضرٌ معَنا[7]	نا	التّكلّم
ويَحنو عليَّ قيلاً ويَجمَعُ لي سَوْسنا[8]	ي	التّكلّم

(1) المرجع نفسه، ص54.
(2) المرجع نفسه، ص126.
(3) المرجع نفسه، ص104.
(4) المرجع نفسه، ص30.
(5) المرجع نفسه، ص80.
(6) المرجع نفسه، ص115.
(7) المرجع نفسه، ص109.
(8) المرجع نفسه، ص101.

وليس يمكن أن نغفل أثر الضّمائر المتّصلة غير البارزة في المشتقات العاملة عمل فعلها أيضا، ذلك أنَّ المشتقات تتضمَّن أحياناً ضميراً متّصلاً غير بارز كالفعل تماماً؛ نحو قولنا: كاتبٌ درسَهُ، فاسم الفاعل "كاتب" تضمّن ضميراً متّصلاً غير بارز يُفيد شّخْصَ الغائب، وقولنا: كاتبةٌ درسَها، أفادت إبانةً عن شخص الغائب، دون إضافة لاحقة "التّاء"، ولم تُفد لاحقة التّاء غير تحديد جنس الغيبة، فمعنى الغيبة مُتحقّق بالضّمير المتّصل غير البارز في الاسم، وفي حالة إلصاق ألف التّثنية أو واو الجمع السّالم، أو الألف والتّاء في الجمع السّالم أيضاً، فإنَّ تعيينَ الشّخص يَتحقّق بالضّمير المتّصل غير البارز أيضا، فقولنا: كاتبا الدّرسِ، متضمنة لدلالة الغيبة، وهذه الدّلالة مُحدّدة دون "ا" الملتصقة باسم الفاعل"كاتبــ"، وقولنا: كاتبو درسِهم، متضمّنة لدلالة الغيبة من غير واو جمع المذكّر السّالم الملصَقة باسم الفاعل"كاتبــ"، وقولنا: كاتباتٌ الدّرسَ، أفادت الغيبة من غير "ات" الملحقة باسم الفاعل.

"فاسم الفاعل واسم المفعول؛ نحو ضارب ومضروب ونحوهما من الصّفات، فإنّها إذا جرتْ صفة لواحد كان فيها مضمر من الموصوف لما فيها معنى الفعليّة، إلا أنّه لا يظهر له علامة في اللّفظ لما ذكرناه؛ نحو قولك: هذا رجلٌ ضاربٌ ومضروب، فإنْ وصفت بها اثنين، أو جماعة، ثنّيتَ الصّفة أو جمعتها، فتقول: هذان رجلان ضاربان، وغلامان مضروبان، وقامت علامة الجمع مقام المضمر وإنْ لم تكن إيّاها"[1].

وتظهرُ من التَحليلات السّابقة للضّمائر بأنواعها أثر جهة الخطاب (الشّخص) في تحديد عمليّة التّوافق الدّلالي في التّراكيب، وتوافق ذلك مع السّياق المُستخدمة فيه، غير أننا نجد في بعض الاستعمالات لمقولة الشّخص في العربيّة تبدّلات تفرضها الاستعمالات البلاغيّة، إذ يُعبّر أحياناً بالضّمير "نحنُ" بدل الضّمير " أنا" للدّلالة على العظمة والأهميّة، ورقيّ المكانة، ويبقى سياق الحال مُحدّداً للمعنى، ومُبيناً عن مقولة الشّخص المُراد من الضّمير، ونجد هذا الاستعمال متمثلا في ديوان درويش أيضا؛ كنحو قوله:

وما شأننا نحنُ، وما شأننا يا أبي[2]

وإنْ كان درويش يعبِّرُ عن الرّحيل الجماعيِّ للفلسطينين فهو يعبّرُ أولا عن غربته في ثِنْيِ خطابه لوالده عمّا تركه في أرْضِه يومَ أجبِرَ على الرّحيل.

وقد أومأ القدماء في شواهد فصيحة استعمال العرب لضمائر مكان بعض؛ ففي قول حميد الأرقط:

---

(1) ابن يعيش، **شرح المفصّل**، 109/3.

(2) درويش، محمود، **لماذا تركْتَ الحصانَ وحيدا**، ص37.

مجلة المصدر The Source

إليكَ حتّى بَلَغَتْ إيّاكَا[1].

فإنّه وضع إيّاك موضع الكاف ضرورة والقياس بَلَغَتْكَ "[2].

ومثله قول بعض اللّصوص: [3]

كأنَّا يَوْمَ قُرَّى إنَّـــ ما نقتُلُ إيّانا

الشّاهد فيه وضع إيّانا موضع الضّمير المتّصل؛ وذلك لأنّه لا يمكنه أن يأتيَ بالمتّصل فيقول: نَقْتُلنا؛ لأنّه يتعدّى فعله إلى ضميره المتّصل، فكان حقّه أن يقول: نَقْتُلُ أنفسَنَا لأنَّ المنفصل والنّفس يشتركان في الانفصال ويقعان بمعنى؛ نحو قولك: ما أكرمْتُ إلا نفسَكَ، وما أكرَمْتُ إلا إيّاكَ[4].

غير أنَّ الضمير الظّاهر هو المتحكّم بالضّمير المستتر المقدّر؛ فألف الاثنين مع المثنى في قول درويش:

هكذا يتركُ **العاشقانِ الغريبانِ** حُبَّهما[5]

تفرض أنْ يكون المورفيمَ الصّفريّ "الضّمير المستتر المقدّر" مثنّى؛ لأنّه يعود إلى (ألف الاثنين).

وقوله :

نَهداكِ ليلٌ يُقبِّلُني [6]

وكذلك المثنّى (نهداكِ)، غير أنَّ إضافة مورفيم الضّمير المتّصل (الكاف) للمثنّى يُفضي إلى تحوّل ملكيّة التّثنية إلى ملكيّة إفراد.

وكذا القول في دلالة الجمع المذكّر السّالم في قول درويش:

---

(1) لحُمَيْد بن الأرقط في سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، (ت.180هـــ). **الكتاب**، تحقيق ودراسة عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1982 م.، 362/1، وابن يعيش، **شرح المفـــصّل**، 102/3.

(2) ابن يعيش، **شرح المفصّل**، 102/3.

(3) البيت لذي الإصبَع العدواني في ابن الشّجري، هبة اللّه بن عليّ بن محمّد أبو السّعادات، (ت.542هـــ)، **أمالي ابن الشجري**، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1992م، 56/1، ولبعض اللّصوص في ابن يعيش، **شرح المفصّل**، 102/3.

(4) ابن الشجري، **أمالي ابن الشّجري**، 57/1، وابن يعيش، **شرح المفصّل**، 102/3ـــ103.

(5) درويش، محمود، **لماذا تركْتَ الحصانَ وحيدا** ، ص131.

(6) المرجع نفسه ، ص131.

مجلة المصدر The Source

قرويّون من غيرِ سوءٍ [1]

أمّا قول درويش من قصيدة "للغجريّة سماء مدرّبة":

عندنا ما تريدين من ذهبٍ ودمٍ طائشٍ في **السّلالات** [2]

وقوله من القصيدة نفسها:

لا سَقفَ لي في **ثريَّاتِ** صدْرِكِ [3]

فإنَّ جمع المؤنّث السّالم "السّلالات، الثريّات" فيهما ضميرٌ (هُنَّ) وهو متعيّن بدلالة معنويّة وهي دلالة جمع المؤنّث السّالم وليس بدلالة لفظيّة.

غير أنَّ ابن يعيش في بعض إلماحاته الدّالة يقول: إنّ العرب "لا يستعملون المنفصل في المواضع التي يُمكن أن يقع فيها المتّصل؛ لأنّهم لا يعدلون إلى الأثقل عن الأخفّ والمعنى واحد إلا لضرورة ذلك، لا تقول: ضربَ أنتَ ولا هو؛ لأنّه يجوز أن يقع هنا المتّصل فتقول: ضربْتُ وضَرَبَ، فتكون التّاء الفاعلة ولا حاجة إلى أنت، وكذلك يكون الفاعل مستتراً في ضرب، ولا حاجة إلى هو؛ لأنَّ الأوّل أوجز، وكذلك لا تقول ضربَ زيدٌ إيّاك، وإن كان فَصَل بينهما الفاعل الظّاهر؛ لأنَّ الفصل ليس بلازم، إذ ليس تقدّم الفاعل على المفعول حتماً لازماً؛ لأنّه يجوز أن تقول: ضربكَ زيدٌ فتقدّم المفعول من غير قبح"[4].

النّتائج والتّوصيات:

الإضافة وإدخال الأداة هما من أكثر الوسائل شيوعاً في اللّغات المعروفة حين يُقصد تعيين الاسم. وتختلف اللّغات في طريقة الإضافة والمعاني المستفادة منها، وقد تبيّن أنَّ درويش وظّف المقولتين في ديوانه؛ التّعيين وجهة الخطاب، غير أنَّ بعض الاستعمالات الشّائعة في العربيّة في المقولتين لم توظّف في ديوانه؛ نحو خطاب الجمع المؤنّث مع مورفيم الضّمير المنفصل (أنتُنَّ) و(هُنَّ)، ومورفيم الضمير المنفصل (أنتم)، ومورفيمات الضمائر المتّصلة مع الفعل؛ نحو (كُمْ)، (كُنَّ) و(هُنَّ)؛ نحو (كتابُكُمْ)، و(كتابُكُنَّ)، و(كِتابُهُنَّ)، ولم يوظّف درويش في ديوانه أيضا بعض مورفيمات الضّمائر المتّصلة مع الحروف؛ نحو (كُما)، (كُن)، (هُن)؛ عندما تتصل بحروف الجرّ.

---

(1) المرجع نفسه، ص24.

(2) المرجع نفسه، ص134.

(3) المرجع نفسه، ص134.

(4) درويش، محمود، **لماذا تركْتَ الحصانَ وحيدا**، 102/3.

مجلة المصدر The Source

وقد تبيَّن بعد استقراء الديوان أنَّ درويش كثّفَ في خطابه استعمال ضمير المتكلّم ؛ المفرد والجمع (أنا، نحن) وهي اللّغة السّائدة للخطاب في معظم ديوانه؛ وأحسبُ أنَّ ذلك راجعٌ إلى أنَّ خطاب درويش كانَ رسماً للونٍ من السّيرة الذاتيّة للشّاعر؛ إذ أرّخ في هذا الدّيوان لمأساة شعبه. وبمقولة التّعيين وجهة الخطاب سَبَح في فضاءات التأمّل في مسألة الخَلْقِ والذّاتِ الإنسانيّة المتقلّبة بين الحياة والموت، وقد جاءت قراءاته لمرحلة التّكوين والخلْق بأساليب متباينة عَبْرَ التّعيين وجهة الخطاب.

المراجع:

- الأزهري، خالد بن عبد الله بن أبي بكـــر الخزرجـــيّ، (905 هـــــ). **شـــرح التّصريح على التّوضيح**، دار الفكر للطّباعة والتّوزيع، (د.ت).
- الأشموني، الحسن نور الدّين بن محمّد(ت.900هـــ)، **شرح الأشموني**، على ألفيّة ابن مالك، ط1، (قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه حسن حمد)، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1998م.
- أنيس فريحة، **في اللغة العربية وبعض مشكلاتها**، ط1، دار النّهار للنّشر، بيروت، 1980م.
- أولمان، ستيفن، **دور الكلمة في اللّغة**، ترجمة كمال بشر، مكتبة الشّباب، القاهرة، 1975م.
- باتريك، شارودو، **معجم تحليل الخطاب**، تحقيق: عبد القادر المهري، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008م
- درويش، محمود، **لماذا تركْتَ الحصانَ وحيدا**، رياض الريّس للكتب والنّشر، بيروت، 2001م.
- ديل، كارنجي، **فن الخطاب**، المكتبة الأهليّة، القاهرة، 2001م.
- ابن السرّاج، أبو بكر محمّد بن سهل النّحوي، (ت.316هـــ)، **الأصول في النّحو**، تحقيق عبد الحسين الفتلي، ط3، بيروت، مؤسسة الرّسالة، 1996م.
- سليمان، ماهر، **قواعد اللّغة الإسبانيّة لطلاب اللّغة العربيّة**، ط3، المكتبة الوطنيّة الإسبانيّة، 1984م.
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، (ت.180هـــ). **الكتاب**، تحقيق ودراسة عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1982 م.
- السّيوطي، جلال الدّين عبد الرحمن، (ت.911هـــ)، **الأشباه والنّظائر في النّحو**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).
- ابن الشّجري، هبة اللّه بن عليّ بن محمّد أبو السّعادات، (ت.542هـــ)، **أمالي ابن الشجري**، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1992م.

- ابن عصفور، أبو الحسن علي بن مؤمن الإشبيلي، (ت.696هـ). **شرح جمل الزجاجي (الشّرح الكبير)**، (تحقيق صاحب أبو جناح)، عالم الكتب للطّباعة والنّشر، بيروت، ط1، 1999م.
- فضل، صلاح، **بلاغة الخطاب وعلم النصّ**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1999م.
- قدّور، أحمد محمّد، **مبادئ اللّسانيّات**، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1996م.
- ابن مالك، جمال الدين محمّد بن عبد اللّه، (ت.672هـ). **شرح التّسهيل، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**، تحقيق محمد عبد القادر وطارق فتحي ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م.
- المبرّد، أبو العبّاس محمّد بن يزيد، (ت.285هـ).**المقتضّب**، ط1، تحقيق محمّد عضيمة، عالم الكتب، بيروت، 1963م.
- ابن يعيش، موفق الدّين، (ت.643هـ). **شرح المفصّل**، مكتبة المتنبي، القاهرة، (د.ت).
- Aziz M. Khalil.(1996).**A contrastive Grammar Of English And Arabic**, Al-Isra` Press ,Jerusalem.p.41.

بين فعل الترجمة وإدراك المعنى
قراءة دلاليّة تركيبيّة في المسانيد الاسميّة

عبد القادر بن فرح

جامعة سوسة ، تونس

ملخّص:

في إطار المعالجة الآليّة للألسن، سنحاول في هذا البحث إعادة النّظر في المكوّنات الرّئيسيّة للجملة في العربيّة، وذلك بالبحث في الخصائص الدّلاليّة والتّركيبيّة للمسند باعتماد وجهة نظر المدرسة التّوزيعيّة لهاريس مُضافا إليها نظريّة المعجم-النّحو لموريس قروص. واعتماد هاتين النّظريّتين سيُدخل تغييرات كبرى على فهمنا للإسناد، وذلك بالتّركيز على الإسناد الدّلالي الذي يقوم على ثنائيّة [مسند+معمولات] لا على الثنائيّة التّقليديّة [مسند+مسند إليه]. وتماشيا مع ذلك، سنثير في هذا البحث قضيّة المسانيد الاسميّة المتعلّقة أساسا بالدّلالة. وقبل ذلك سنذكّر بأهم استلزامات أداء فعل التّرجمة.

Absract :

We will try in our research to reread the principal components of Arabic sentence on the focus of the duality (Predicate-Subject) which will, from a semantic approach, be (Predicate-Arguments). This approach is based on Harris's Distributional Grammar and M. Gross's Lexic-Grammar.

The previously mentioned approaches will change our view towards the concept of predicate. In this context, we will focus -in our research- on the nominal predicate. This change our practicality of sentences' translation.

Our research will begin with the theorical requirements of translation in order to achieve a scientific one that might help in dealing with the Automatic Treatment of Languages.

مدخل

في إطار محاولة تطوير زوايا النّظر في المكوّنات الأساسيّة للتّراكيب العربيّة التي هي أساس تكوين النصّ، وأمام المستجدّات العلميّة التي أثْرت مجال اللّسانيّات ومنها اللّسانيّات الحاسوبيّة، سنجري في هذا البحث قراءة دلاليّة وتركيبيّة لأحد المكوّنين الرئيسيّين في عمليّة الإسناد وهو المسند. وقد ساهم اعتماد المقاربتين في إرساء القواعد النّظريّة والبيانيّة التي قامت عليها التّرجمة الآليّة للّغة الفرنسيّة مثلا. وهدف هذه القراءة محاولة النّظر في المسند الذي يُعدّ مكوّنا رئيسيّا داخل الجملة في العربيّة، والذي ظلّ تناوله مقتصرا على وجهة النّظر التّركيبيّة في القضايا النّظريّة. وسنتجاوز هذه المقاربة باعتماد وجهة النّظر التوزيعية التحويلية (Z. Harris) والمعجمية التركيبيّة (Lexique-Grammaire/M.Gross et G.Gross) لننفتح على الإسناد الدّلالي الذي يتجسّد انطلاقا من فعليْ الفهم والتأويل. وستنعكس نتائج هذا الانفتاح على إعادة النّظر في مواقع المسانيد إليها/المعمولات arguments التي تطلبها. ونرى أنّ ما ستفضي إليه هذه القراءة سيصل بنا إلى درجات نجاعة عالية فيما يتعلّق بقضايا إجرائيّة وتطبيقيّة من أهمّها التّرجمة.

وفي إطار ما يسعى إليه مخبر المعاجم والقواميس والإعلاميّة[1] Lexiques, Dictionnaires, Informatique من وصف مشكلن formalisé لمكوّنات تراكيب الجمل الأوّليّة phrases élémentaires، سنحاول النظر في قضيّة الإسناد الدّلالي وانعكاسها على اختلاف المرجع الذي يعود إليه المسند الدّلالي واختلاف سياق استعمال عبارة مّا عن سياق ثان وانعكاسات ذلك على المكوّنات الإسناديّة الدّلالية في عمليّة التّرجمة. وقبل الحديث عن قضايا المسند الدّلاليّة والتركيبيّة، سنسوق بعض الإشارات المتعلّقة بقضايا التّرجمة.

1. في فهم عمليّة الترجمة

تعني التّرجمة تفسير الكلام أو شرحه أو نقله من لغة إلى لغة. وقد ورد في لسان العرب: "يترجم الكلام أي ينقله من لغة إلى لغة أخرى، والشخص يسمّى الترجمان وهو الذي يفسّر الكلام"[2]. وهي عمليّة ارتبط فيها الحديث عن علميّتها بمدى تشارط انتظام المضمون المنقول أو عدمه بين النصّ الأوّل والنصّ الثاني. وقد ارتبط تحقُّق العلميّة إلى وقت قريب

(1) . بجامعة باريس 13.

(2). ابن منظور. لسان. مادّة (ت، ر، ج، م).

بضرورة إجادة المترجم للُغة النصّ المصدر ولغة النص الهدف. ولكنّ الاستلزامات الحديثة الواجب توفّرها في المترجم اليوم تجاوزت ذلك لتفرض عليه وجوب أن يكون عارفا بحقيقة الترجمة، وأنواعها، والمعاني اللغويّة، وأنواع نقل هذه المعاني، ووحدات الترجمة، وشروط التّرجمة، وطرائقها وتحويلاتها. (عبد الرّحيم. 2007: 187).

ويصعب إسناد صفة العلميّة للنّصوص المترجمة إذا لم نراع العلائق بين المكوّنات الإسناديّة التي تنبني عليها الجمل ويتأسّس عليها فعل القول، وذلك باعتبار أنّ علاقة الأسماء بالمسمّيات أو الرّموز المكتوبة بالمكتوبات ليست علاقة تحكّميّة "بل هي علاقة محكومة بكون الكتابة نموذجا رمزيّا من المسمّى المرموز إليه بالكتابة" (المرزوقي. 1989: 46). وبذلك لا يمكن أن نتحدّث عن ترجمة صائبة ما لم يكن المترجم عالما بالمكوّنات الأساسيّة لتراكيب لغة مّا وما يستوجبه ذلك من عمليّات تحويل transformations لتحديد النوايات الإسناديّة وفصلها مرحليّا عن المحيّنات actualisateurs التي يقتصر دورها على إضفاء قيم مظهريّة valeurs aspectuels لكيفيّات حدوث الحدث الذي يوسم في المسند الدّلالي للنّواة.

2. في المترجم ذاته

يشترط الجاحظ في المترجم أن "يكون بيانه في نفس التّرجمة في وزن علمه في نفس المعرفة" (الجاحظ. الحيوان. 1.I: 51). ثمّ يضيف: "ينبغي أن يكون أعلم النّاس باللّغة المنقولة[1]، والمنقول إليها حتّى يكون فيهما سواءً وغاية" (نفسه). وهذا القول يلخّص بوضوح الشروط الواجب توفّرها في المترجم أو التُّرجُمان، وأوّلُها معرفته بالمجال الذي ينتمي إليه النصّ المترجَم ثمّ الدراية التامّة بآليّات البلاغة اللغويّة. ولا يتحقق هذا الشرط الأخير إلاّ بتمكّن المترجم من اللّغتين المنقول منها والمنقول إليها[2] تمكّنا يقوم على معرفة خصائص كلتا اللغتين تركيبيّا وصرفيّا وتصريفيّا ودلاليّا، ومعرفة ما تتّفق فيه اللغتان وتتفارقان فيما يتعلّق بكلّ هذه المستويات. وهذا الوعي العربيّ الجاحظيّ القديم بالشروط الواجب توفّرها في التّرجُمان يؤسّس بلا ريب لنشاطٍ ترجميّ ناجح. وإن قام المتخصّص في ذلك المجال كالطبّ

(1). نحترز من استعمال صيغة المفعول هنا. ونفضّل استعمال صيغة "المنقول منها" لأنّ المنقول في الحقيقة هو المعنى أو المدلول signifié.

(2). من مشاكل التّرجمة مثلا التّرجمة الحرفيّة المقابلة للغة المنقول إليها والتي هي بالانجليزية Gool language والتي تُرجمت بـ"اللغة الهدف".

مجلة المصدر The Source

أو الهندسة مثلا بالتّرجمة مع درايته غير العالية بخصائص اللغات في الغالب الأعمّ، فعليه عندها الاستعانة بعالِم في اللغتين، وخاصّة في اللغة المنقول إليها ليصحّح له ما قد يتعلّق بمسائل تركيبيّة أو اشتقاقيّة. ولكن ما يعنينا في هذا البحث هو إيلاء المكانة العُليا للدّلالة ومنها الإسناد الدّلالي في معالجة النّصوص المترجَمة.

3. في فهم النّصوص المترجمة

يجب على المشتغل بالتّرجمة أن يضع نِصب عينيه بعض المظاهر النصّية التالية:

1.3. السّياق contexte

يقول فريجه Frege: "لا يمكن أن يكون البحث عن دلالة الكلمات في إطار معزول، وإنما فقط داخل سياق قول مّا [ويكون ذلك] فقط داخل سياق تحمل فيه الكلمات دلالاتها[1]" (Frege,1884 :62)[2]. وكمثال مؤكِّد على ضرورة أن يكون المترجم متخصّصا في المجال الذي يترجم فيه مع مراعاة سياق النصّ ذاته يمكن أن نستدلّ بمثال يحضرنا من اللغة الانجليزية مثلا إذ يقول فتقنشتاين Wittgenstein متحدّثا عن تصوّره للمعنى إنّ هذا الأخير لا يقبل المنازعة بأنّ له "تشابها أسريا" مع التشابه الثاني، والذي كان القصد منه: "لا تسأل عن المعنى، بل عن الاستعمال".

والجملة الأصليّة هي:

- Do not ask for the meaning, ask for the use.

---

(1) كمثال على هذا يمكن أن نذكر عنوان الندوة الملتئمة بمدينة تونس من 18 إلى 20 نوفمبر 2008، والتي كُتب عنوانها باللغتين الفرنسية والعربيّة كالآتي: الانقطاع المدرسيّ المبكّر Le décrochage scolaire وهي في نظرنا ترجمة موفّقة رغم أنّ القواميس اللغويّة تعرّب كلمة décrochage بـــ"تنزيل المعلَّق"، وفعل décrocher بـــ(فضّ، فكّ). وعند البحث عن المقابل الفرنسي لكلمة "انقطاع" فإنّنا نعثر على المقابلات التالية: interruption, rupture, arrêt, halte, pause, immobilisation, terminaison, suspension, fermeture, cessation. ونلاحظ أنّ السياق يفرض علينا أن نقبل الاجتهاد الترجميّ الأوّل رغم عدم وجوده في صفحات المعاجم دون الاحتمالات المعجميّة المذكورة..

(2) أعاد بوتنام H.Putnam صياغة نفس المبدأ بعد قرن من الزمان، إذ يقول: "لا يمكن أن يكون للكلمات معنى أو مرجع خارج سياق القول الذي تتشكل داخله. وبمعنى آخر، فإن دلالية قول مّا ليست مجموع معاني الكلمات التي يتركب منها، وإنما على عكس ذلك، فان كلمة مّا تستقي معناها من القول الذي توجد داخله" (محادثة منشورة في صحيفة العالم صص 22، 23. أكتوبر 1995).

ونعلم أنّ المعاني الغالبة لكلمة the use) هي (الاستخدام أو الاستعمال) وهي معان قريبة من سياق الجملة. ولا يمكن أن نحصُل على معنى مفيد لعبارة مّا داخل الجملة إلاّ إذا قرنّاها بالسّياق الذي وردت فيه خاصّة وأنّ هذا القول يتعلّق بعلم النفس العرفاني ويُعنى تدقيقا بالبحث في التّحقّقات الدلاليّة الحاصلة من خلال التصوّرات الذهنيّة لكيفيّات حدوث الحدث مثلا. وما يعني المنظّر في هذا الإطار مثلا هو التأكيد على ضرورة حصول التمثّلات الذهنيّة لهذه الدّلالات لا معرفة معانيها المعهودة في القواميس مثلا. وهذا الأمر يتضّح أكثر في مستوى عملنا بالدّخول في علاقات الإسناد والخروج عن الاستلزامات التصنيفيّة الضيّقة للعلاقة الإسنادية باعتماد وجهة النظر التّركيبيّة. لذا ينبغي الجمع بين المستويات التّركيبيّة والدّلالية حتّى نفهم المعاني الإسناديّة الأصليّة وما يحفّ بها من محيّنات تَسنُد المسند في الدّلالة على المعاني المظهريّة والزّمانيّة والتّوجيهيّة.

2.3. ثنائيّة: مسند prédicat ومعمولات arguments

تقوم المقاربة الدّلاليّة التي أسّسها هاريس Z-S. Harris (1976)، وطوّرها كلّ من م. قروص M.Gross (1981) في نظريّة المعجم–النّحو Lexique-Grammaire، وق. قروص G.Gross (1988) في نظريّته (أقسام الأشياء) Classes d'objets على قيام الإسناد داخل الجملة على ثنائيّة [مسند+معمولات]. وهي ثنائيّة ينتقي فيها المسند الدّلالي مجموعة المعمولات التي تليه في النّظام الخطّي لمكوّنات الوصلة séquence حسب متطلّبات المعنى المعجمي للمسند. وتساهم وجهة النّظر الدّلالية في تغيير مفهوم الوظيفة "مسند" التي يكون الفعل فيها هو المتحكّم في المعمولات لتنفتح على المسند الدّلالي الذي يتجاوز الفعل إلى المشتقات المتحكّمة في توزيع بقيّة مكوّنات الجملة وإن كان الفعل طرازها في سلسلة المكوّنات التي يمكن أن تنتقي بقيّة المكوّنات في إطار علاقات بين العامل/المسند الدّلالي والمعمولات التي ينتقيها، وأشكال تحقّق البنية [عا + مع] حسب هاريس، يمكن أن تتحقق في ثلاثة أشكال نظريّة هي[1]:

1. O_n[2]: في هذا الشّكل الأوّل يطلب العامل (O) اسما واحدا يُرمز له بـــ($_n$). ويمكن للعامل في هذه البنية أن يكون فعلا أو صفة، وهو ما توضّحه الأمثلة المترجمة من M.Gross حسب تتابعها:

- Max dort

(1). هذه العوامل مفصّلة في (Harris.1976 :63..93).

(2). opérateur: O يعني: عامل.

- خالدٌ ينام

- Max est vieux

- خالد هَرِمٌ

- Max est debout (In : Harris.1976 :64)

- خالد واقف

ويمكن أن نوسّع من هذه البنية باعتماد التّوليد أو الاشتقاق فنحصل على الشّكل: [عامل+اسم$_1$ + اسم$_2$]، فنقول مثلا:

- ينام خالد نوما عميقا.

وهو ما يقودنا إلى الشّكل النّظري الثّاني.

2. O_{nn}: تتجسّد هذه البنية في مثل الأمثلة:

- Max mange du poisson

- خالد يأكل السّمك

- Max porte des chapeaux

- يضع خالد قبّعات [على رأسه]

- Max est près de la maison

- خالد على مقربة من المنزل

- Max est le père de Frank (In : Harris.1976 :64)

- خالدٌ هو أبو عمرو

نلاحظ أنّ الفعلين في الجملتين الأولى والثّانية فعلان متعدّيان يطلبان اسمين/معموليْن الأوّل فاعل والثّاني مفعول به. أمّا العامل في المثالين الموالين فهو مضاف يطلب اسما مضافا إليه. كما يمكن أن نختزل هذه البنية بحذف المعمول$_2$، فنحصل حينها على بنية تشبه البنية عدد:1.

ويمكن كذلك أن تطلب بعض الأفعال معمولا أوّل يكون اسما مفردا، ومعمولا ثانيا يمكن أن يكون جملة. وداخل هذا المعمول$_2$ نجد بنية عامليّة جديدة. وهو ما نجده في مثل الجمل التي تدخل عليها (ظنّ) في العربيّة مثلا.

وقد عرّف هاريس العامل/المسند opérateur بكونه اللّفظ الذي يحتاج إلى عنصر ثان لإتمام معنى الوصلة التي هي اللفظ الأدنى في عمليّة التّحليل. وهذا العنصر الثّاني هو المعمول الذي يمكن أن يكون مفردا أو أن يتفرّع إلى معمولات بناءً على الاحتياج الدّلالي للمسند. يقول هاريس: "الكلمات التي ليس لها أيّ قيد تُجاه المعمولات هي المعمولات الأوّليّة. أمّا البقيّة فهي العوامل التي تنتمي إلى مجموعات متعدّدة"[1] (Harris,1976 :14). ويعقّب م. قروص على هذا التّعريف بقوله: "إذا أردنا أن لا نعتبر المحدِّدات les déterminants مثلا عوامل (تتطلّب المحدّدات وجود الأسماء المصدريّة les substantifs حتّى تُصبح مستعملة كعوامل) فإنّنا يجب أن نضيف لتعريف هاريس كون العامل (المسند) يُخصَّص باندراجه في الزّمان، وهو ما لا نجده لدى المحدِّدات. وبهذا، فإنّ للمسانيد تعريفا مزدوجا فقد عُرّفت بمجال معمولاتها وبتحيينها (In : Harris,1976 :14). وتُعدّ المظاهر المتنوّعة لتحيين الجمل البسيطة والعناصر المعجميّة التي تمثّلها عديدة [ومنها] معلومات الزّمن والشّخص والعدد بالنّسبة إلى المسانيد والمحدّدات بالنّسبة إلى المعمولات"[2] (G.Gross, 1996 :54). وبهذا نلاحظ أنّ العامل عند هاريس لا يلتقي مع مفهوم العامل النّحوي لدى النّحاة العرب، بل إنّه كلّ ما يمكن أن يغيّر المعنى داخل الجملة.

33.. الإسناد الدّلالي prédication sémantique

لعلّ أوّل عمليّة على المترجم أن يقوم بها هي تبيّن حدود الجمل بما هي النّوايات المعنويّة المستقلة التي تشكّل تمام النصّ. ومن المشاكل التي يُستوجَب تلافيها أوّلا اعتماد التّرجمة الخطيّة وفق الترتيب الأصلي للجمل لعدم توافق جمل اللغة العربيّة مع غيرها من اللغات في قضايا الرّتبة التي تجرّ إلى استعمال الجمل الفعليّة في اللغة العربيّة في الغالب الأعمّ. وهذا الأمر لا تستجيب إليه بنيات الجمل في اللغات الأجنبيّة دون اللغة اليابانيّة.

---

(1). *« Les mots qui n'ont aucune contrainte sur les arguments sont les arguments élémentaires. Les autres sont les opérateurs. Ils appartiennent à divers ensembles ».*

(2). *« Si nous ne voulons pas considérer les déterminants, par exemple, comme des opérateurs (ils nécessitent la présence de substantifs pour être utilisés), il faut ajouté à la définition de Harris le fait qu'un opérateur (prédicat) est caractérisé par son inscription dans le temps, ce qui n'est pas le cas des déterminants. Les prédicats ont donc une double définition : ils sont définis par leur domaine d'arguments et par leur actualisation. Les divers aspects de l'actualisation des phrases simples et les éléments lexicaux qui les représentent sont nombreux. On ne retiendra ici pour le moment, que les informations de temps, de personne et de nombre pour les prédicats et les déterminants pour les arguments ».*

وثانيا، يجب على المترجم عند النظر في رُكنَي الإسناد اللّذيْن يمثل استخراجهما عِماد المعنى أن يتجاوز الخطّية التركيبيّة إلى النّظر في الأدوار الدلاليّة للمعمول1/المسند إليه les rôles sémantiques وفي المسند الدّلالي الذي يمكن أن لا يكون الفعل الوارد على يمين الاسم المسنَد إليه sujet. وعندها وجب الالتجاء إلى نظير فعلي للإسناد الاسمي في النصّ العربي لما تتميّز به اللغة العربيّة من قدرة اشتقاقيّة عُليا[1]. وكمثال على ذلك يجب أن نُترجم الجملة التالية:

-X a de l'aversion pour Y

بـــ:- يكره (س) (ص)

عوضا عن:

- (س) له كراهة لـــ(ص). أو لـــ(س) كراهة نحو/ تُجاه (ص)

بما أنّ المسند الدّلالي ليس فعل الملكيّة (avoir) وإنّما هو المسند الاسميّ (aversion). وما استعمال فعل الملكيّة إلاّ للدّلالة على المعنى المظهريّ للإسناد وهو استمرار حدوث المسند، وهو ما تدلّ عليه استعمالات بنية المضارع في اللغة العربيّة.

وجملة هذه الآليّات، أي انتقاء العبارة المسنديّة ومراعاة السّياق وتدقيق الإسناد الدلالي يمكن أن تساعد المترجم على تحقيق أعلى الدّرجات في المعادلة التّالية:

[المبنى أ + المعنى أ = المبنى ب + المعنى أ + البلاغة]

4. المسانيد الاسميّة[2]

يجنّبنا التصنيف المفصّل في [2.3.] من هذا البحث والذي يعتمد أساسا وجهة النّظر الدّلاليّة الالتباسَ الذي قد يحصل لدى المشتغل على اللّغة مقتصرا على وجهة النّظر التركيبيّة. وفكّ الالتباس يحصل عند النّظر في المسند كما يحصل عند النّظر في متعلّقاته ومنها المسند إليه أو الفاعل. فالمسند الذي هو العامل أصبح يُنظر إليه من جهة إدخاله معنى جديدا، وهو ما يخرجنا من الضوابط التّركيبيّة التي تحصر المسند في الفعل أساسا، فقد يكون المسند فعلا أو مشتقّا أو صفة، وهو ما توضّحه الأمثلة التّالية:

---

(1). يمكن العودة في هذا الإطار إلى العمل الذي أنجزه الأستاذ الورهاني لتبيّن المسألة ص 257 وما يليها.

(2) . للنّظر في مسألة الأسماء الإسناديّة أو المسانيد الاسميّة يمكن العودة خاصّة إلى (Gross, M. 1981 و Gross, G. 1996).

مجلة المصدر The Source

- Luc désire bien faire

  - يرغب خالد في إتيان أمر حسن

- Luc a le désir de bien faire

  - خالد له الرّغبة في إتيان أمر حسن

- Luc est désireux de bien faire

  - خالد راغب في إتيان أمر حسن

وتجنّبنا هذه القراءة كذلك الالتباسات التي قد تحصل عند النّظر في الاسم/الأسماء التي يطلبها المسند الدّلالي في مثل الفاعل النّحوي الذي قد لا يكون هو الفاعل الدّلالي، أو نائب الفاعل الذي يكون في الغالب المفعولَ الدّلالي والمنطقي. وهو ما يوضّحه المثالان التّاليان تباعا:

- سقط الجدار

- ضُرب عمرو

ولكن رغم هذه المزايا في فك التباسات المسانيد والأسماء المتعلّقة بها –التي جُمعت تحت اسم المعمولات– إضافة إلى قواعد انتقاء المعمولات فإنّ الضابط الدّلالي يبقى قاصرا عن ضبط قواعد انتقاء العامل لمعمولاته، وهو ما استوجب إضافة المكوّن المعجمي إلى النّحوي والدّلالي في عمليّات الانتقاء حتى نحصل على جمل سليمة نحويّا وتامة معنويّا إضافة إلى إمكان التّنبؤ بمعمولات العامل من خلال خصائصه المذكورة مجتمعةً.

ويعبّر المسند الدّلالي عن خاصيّة مّا، أو علاقة مّا بينه وبين المسند إليه، أي أنّه عبارة عن شيء نسنده أو نخبر به عن معمول مّا أو عن جملة من المعمولات. ويلتقي المسند الدّلالي بذلك مع المسند المنطقي. وما يفرّق بين المسند النّحوي والمسند الدّلالي هو أنّ العلاقة التي يطلبها الأوّل هي العلاقة مع المسند إليه/الفاعل النّحوي، أمّا العلاقة التي يطلبها الثّاني فتتعدّى الفاعل النّحوي إلى الفاعل الدّلالي، وذلك لأنّ الإخبار عن معمول مّا يتطلّب خصائص دلاليّة ومنطقيّة قد تتعارض مع الوظيفة التّركيبيّة الإسناديّة للمسند إليه.

ولا يقتصر المسند، حسب المقاربة الدّلاليّة، على الأفعال مثلما هو الشّأن في المقاربة النّحويّة التّركيبيّة[1]، إذ قد يتعدّاها إلى المصادر والصّفات. وقد يتعدّى كلّ ذلك إلى أسماء

(1). يكون كلّ من الفعل والاسم والصّفة، في المقاربة النّحويّة العربيّة مسانيد. وطّراز المسند هو الفعل في الجملة الفعليّة والخبر/الفعل في الجملة الاسميّة سواء أُظهر الثّاني فيها أو أُضمر.

الظّوارف على جهة التّقدير. وبذلك، فإنّ التّحليل الدّلالي قد يكشف مسندا ليس هو المسند التّركيبي وذلك في مثل قولك:

– تمّ اجتماع الوزراء مساء يوم الثلاثاء

– ← اجتمع الوزراء مساء يوم الثلاثاء

الذي يقتصر دور (تمّ) في المثال الأوّل منه على كونه محيّنا actualisateur في التّحليل الدّلالي، ويكون الفاعل النّحويّ في الأوّل (اجتماع) هو المسند الدّلالي حسب ما يبيّنه التّحويل في المثال الثّاني.

وينقسم المسند الدّلالي إلى قسمين يضمّ الأوّل منهما المسانيد/الأفعال الدّلاليّة التي تدلّ على الوقائع ومنها الأحداث والأعمال والأنشطة والحالات والخاصيّات والعلاقات الخ. أمّا القسم الثّاني فهو يضمّ الأسماء الدّلاليّة التي تشير إلى الكيانات في معناها العامّ ماديّة كانت أو مجرّدة[1]. ويتميّز المسند الدّلالي بخاصيّة مماثلته للمسند المنطقي وباعتماده في الغالب على المعنى المعجمي في علاقة مع الفواعل الدّلاليّة التي تتعلّق به.

5. الفعل النّاقل والمعاني المظهريّة[2]

إنّ اعتماد وجهة النظر التّوزيعيّة التّحويليّة يخرجنا من مجال القول بتحكّم الفعل في مقولة المسند لينفتح على فضاءات الدّلالة والمعاني المعجميّة للعبارة التي تتحكّم في عمليّة انتقاء بقيّة المكوّنات داخل الوصلة/الجملة، لذلك يمكن أن يكون المسند اسما وخاصّة الأسماء المشتقّة. وهذا الأمر يحدّده سياق القول والمعاني المعجميّة التّركيبيّة للمسند الدّلالي. والأسماء الإسناديّة تكون في هذه الحالة مسبوقة تركيبيّا بأفعال ناقلة verbes supports تقوم بدور المحيّن لهذه الأسماء. أمثلة ذلك:

– تمّ اجتماع الوزراء

– قام بضربه

---

(1). أضاف كلّ من ملتشوك Melchuk وبلقار Polguère إلى القسمين المذكورين قسما ثالثا سُمّي القسم الثّالث بـــ"شبيه المسند" quasi-prédicat وهو يضمّ كيانات لغويّة قريبة من الأسماء الإسناديّة. وهي ذات صلة مباشرة بموقع شبيه المسند من الفاعل إضافة إلى معناه المعجمي.. Polguère, A. (Melchuk I. et 2008 :99..114).

(2). لتقصّي مفهوم الفعل النّاقل يمكن العودة إلى أطروحة الورهاني (2009).

مجلة المصدر The Source

إذ نلاحظ أنّ الدّور الذي تؤديّه العبارتان (تمّ، قام) لا يتجاوز الدّلالة على المعنى المظهري الذي هو انقضاء الحدث في الزّمان الماضي. والحدث في الجملة الأولى هو (اجتماع) والحدث في الجملة الثانية هو (ضرْب) اللذين يصبحان بعمليتي تحويل بسيطتين (اجتمع، ضرَب)، وهما المسندان الدلاليّان اللذان ينتقيان بقيّة المعمولات. وهذا الأمر يؤكّد نجاعة اعتماد المقاربة الدّلاليّة في فهم النّصوص المترجمة خاصّة وأنّ هذه المقاربة تبتعد بالمترجم عن الوقوع في عمليّات اللّبس التي قد تنشأ عن اعتماد المقاربة التركيبيّة التي ترى أنّ المسند في الجملة الأولى هو (تمّ) والمسند إليه/الفاعل فيها هو المركّب الإضافي (اجتماع الوزراء)، والمسند في الجملة الثّانية هو الفعل (قام) والمركّب (بضربه) عبارة عن مفعول، وهو ما يتناقض بشكل واضح مع أصل العلاقة الإسناديّة في مستوى الإخبار.

خاتمة

بعد الحديث عن الاستلزامات الواجب توفّرها في القائم بعمليّة التّرجمة، إضافة إلى الحديث عن الإسناد الدّلالي وما يستوجبه من إعادة توزيع لمكوّنات الإسناد التي قد تختلف عمّا هو رائج في المقاربات التركيبيّة ومنها مقاربة النّحاة العرب، وجب أن تحقّق نهاية النّشاط التّرجميّ درجة البلاغة. و"بلاغة التّرجمة تكون على قدر بلاغة النصّ الأصلي، وبيانها حسب بيانه، وكذا يكون البلاغ والتّبليغ والبيان والتّبيين. والمترجم المقتدر هو الذي يستطيع أن يجعل بين ذلك قَواما" (الديداوي. 2002: 34). ولابدّ من التأكيد في هذا الإطار أنّ المقصود بالبلاغة بلاغةُ الجملة. إذ الجملة بما تقوم عليه من مسند ومسند إليه هي الوحدة الأساسيّة للتّرجمة. وهو ما يستوجب معالجتها وفق مستلزماته التركيبيّة والاشتقاقيّة وخاصّة الدّلاليّة. وهذا الأمر هو الذي ييسّر عمليّات التّرجمة خاصّة في مستوى المعالجة الآليّة للنصوص والتي تستوجب معالجتها ترجمة الجمل البسيطة انطلاقا من علاقات الانتقاء الدّلاليّة التي يطلبها مسند دلاليّ مّا لجملة معمولاته داخل التّركيب مع مراعاة المعاني المظهريّة والتّوجيهيّة modales التي ترافق المسانيد الاسميّة انطلاقا من المحيّنات التي منها الأفعال النّاقلة.

المراجع المعتمدة

- **الجاحظ**، أبو عثمان عمرو بن بحر. الحيوان. شرح وتحقيق: د. يحيى الشامي. منشورات دار ومكتبة الهلال ط.3. 1990.
- **الديداوي**، محمّد. 2002. الترجمة والتعريب بين اللغة البيانيّة واللغة الحاسوبيّة. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. المغرب. ط.1.
- **عبد الرّحيم**، إيهاب محمّد. 2007. "معوقات الترجمة العلميّة وتعريب الطب" (صص 175.. 215). كتاب العربيّ 67: الثقافة العلمية واستشراف المستقبل العربي.
- **المرزوقي**، أبو يعرب. 1989. "الترجمة العلميّة بما هي ظاهرة اجتماعيّة وفنّيّة" (صص 23..81). ضمن: التّرجمة ونظريّاتها. المؤسّسة الوطنيّة للترجمة والتحقيق والدراسات. بيت الحكمة.
- **ابن منظور**، جمال الدّين. لسان العرب. تحقيق عبد الله علي الكبير ومحمّد أحمد حسب الله وهاشم محمّد الشادلي. دار المعارف. مصر. (د.ت).
- **الورهاني**، بشير2009. الأفعال الناقلة في العربية المعاصرة، بحث في الخصائص التركيبيّة والدّلاليّة. جامعة سوسة، كليّة الآداب سوسة.

- **FREGE** G., 1884. Les fondements de l'arithmétique, traduction française : 1970, Le Seuil, Paris.
- **Gross** G.1988, « Degré de figement des noms composés » pp 57-72. Languages 90. (Les expressions figées). Paris Larousse.
- **Gross** G.1996, « Pour une typologie des prédicats nominaux. Prédication, Assertion, Information », Actes du colloque d'Uppsala en linguistique Française 6-9 juin, Suède.
- **Gross** M.1981, « Les bases empiriques de la notion de prédicat sémantique » pp 7-52. Langages, 63. (Formes syntaxiques et prédicats sémantiques). Paris, Larousse.
- **Harris** Z. S.1976, Notes du cours de syntaxe. Trad. Maurice Gross Paris. Seuil.
- **Melchuk** I. et **Polguère** A. 2008 « Prédicats et quasi-prédicats sémantiques dans une perspective lexicographique » pp. 99-114. Lidil (revue de linguistique et didactique des langues), 37,

(Syntaxe et sémantique des prédicats). Ellug, université de Grenoble.

- **Le Pesant D.**, M. Mathieu-Colas. 1998. « Introduction aux classes d'objets » pp 6-33. Langages 131. (Les classes d'objets). Paris, Larousse.

الدراسات الأدبية

صورة الجسد في رواية عابر سرير لأحلام مستغانمي.

الاسم الكامل: سعيد سهمي

جامعة محمد الخامس أكدال، الرباط، المغرب.

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن ملامح الجسد في رواية **عابر سرير** لأحلام مستغانمي، من أجل تعرف الأبعاد الدلالية التي يوحي بها الجسد. وقد انطلقت الدراسة من تناول أهمية الجسد في المتخيل الروائي أداةً لتمثيل الإنسان والتعبير عن آماله وآلامه، ومظاهر تمثيل الجسد المتعددة عبر وصف الجسد البيولوجي والحواس الخمس والعلاقات العاطفية؛ قبل التطرق إلى الأبعاد الدلالية والرمزية للجسد في هذه الرواية التي اتخذته استعارة لتوصيف الواقع العربي المتدهور وقيمه المتلاشية، وعبرت من خلاله عن الرؤيا التي راهنت عليها الكاتبة.

Cette étude vise à détecter les caractéristiques du corps dans le roman intitulé Abir Sarir d'Ahlam Mostghanmi, pour découvrir le sens du corps dans ce roman. L'étude a commencé par l'importance du corps dans le nouveau roman comme un outil qui représente l'etre humain, ses espoirs et ses douleurs ; les manières et les manifestations de cette représentation en travers du corps biologique, des cinq sens et des relations affectives, avant d'aborder les dimensions de la sémantique du corps dans ce roman, qui l'a adopté comme une métaphore pour décrire la réalité de l'arabe, la détérioration de ses valeurs, et aussi la vision de l'écrivain.

This study aims to identify the characteristics of the body in Ahlam Mostghanmi's novel, called "Abir Sarir" or The Passenger of a Bed, to discover the meaning of the body in this novel. The study began with the importance of the body in the new novel as a tool which represents the human being, hopes and pains; ways and manifestations of this representation across the biological body, the five senses and emotional, before addressing the dimensions of the semantics of the body in this novel, which adopted it as a metaphor to describe the reality Arabic, the deterioration of its values, and also the vision of the writer.

مدخل:

سعت الرواية العربية، انطلاقا من مرحلة ما بعد نكسة 1967، إلى الاشتغال على موضوعات جديدة قصد تشكيل هويتها الخاصة، منطلقة من الإنسان العربي ذاته، محاولة الغوص في خصوصياته الثقافية والنفسية والاجتماعية، حيث راهنت على رؤى جديدة تخرجنا من نمط الاتجاه الواقعي والاجتماعي الذي يعتبر سمة ميزت مرحلة مهمة من تاريخ الرواية العربية، ومن ثم البحث في كينونة الإنسان روحا وجسدا، من خلال صراعه مع الواقع ومع الحياة.

ويعتبر الجسد من أبرز الموضوعات الجديدة التي احتفت بها الرواية المعاصرة، بعد أن أصبح موضوع دراسة في عدد من الحقول المعرفية الأخرى كالفلسفة والبيولوجيا وعلم النفس وعلم الاجتماع والطب والأنثروبولوجيا، بعد أن كان "موضوعا شبحا" وموضوعا "غير معرف" حسب جان ماري بروم J. M. Brohm.(**Catherine Garnier, 1991 :p. 68**)

يأتي مفهوم الجسد في العمل الأدبي والإبداعي رمزيةً دالة على الإنسان في معناه الروحي والمادي، ومن ثم تمييزه عن مرادفات أخرى كالبدن والجسم، فالجسد يتجاوز المفهوم البيولوجي الضيق ليعبر عن الوعي والوجود على اعتبار كونه "ذلك الكائن الحي بما هو منبع الوعي والفكر والحركة، إنه أصل ينبع منه كل شيء غامض لأشكال الفكر وأشكال الوعي"(**سمية بيدوح، 2010: 6**).

والواقع أن الاهتمام بالجسد يأتي في سياق الاحتفاء بالإنسان جوهراً ومركزاً للكون وللعالم في مرحلة الحداثة وما بعد الحداثة؛فقمع الجسد سيتم تجاوزه في الفلسفة الحديثة خاصة عند نيتشه الذي رأى أن الجسد يعكس حياة الإنسان وقيمه النبيلة وأنه الذهن الأكبر بينما تبقى الروح ذهنا أصغر، ومن ثم يكون هذا السير نحو الاهتمام بالجسد في فلسفته تصورا خاصا للإنسان الراقي أو "السوبرمان" وتجاوزا للمفهوم السقراطي والأفلاطوني الذي أدان الجسد واعتبر الإنسان كائنا مقدسا بالروح والفكر لا بالجسد، ليشكل هذا المعطى فلسفة العصور الوسطى التي اعتبرت الجسد سجنا للروح.

وفضلا عن نيتشه أشاد فرويد بقيمة الجسد حيث ربطه بلاشعور الإنسان باعتباره معبرا عن مكبوتاته ومن ثم عن كينونته، ليغتني هذا البحث في الجسد مع الفلسفة الظاهراتية وبشكل خاص عند ميرلوبونتي الذي ميز بين الجسد الحي والجسد النشط، معتبرا أن الجسد هو محور العالم.

وكان الجسد في الثقافة العربية القديمة قد حظي باهتمام كبير خاصة عند الفلاسفة والعلماء العرب الأوائل، أمثال أبي بكر الرازي الذي أكد أنه "من الواجب أن نتعرف النافع ونساكنه ونتعرف الضار ونجانبه، ونعنى بأمر هذا البدن الذي لا شيء أقرب إلى نفوسنا منه، فنحفظ صحته عليه إذ كانت نفوسنا لا تسلم إلا لسلامته ما دامت منوطة به"(**Okba Djenane , 2010 : 3).**

وقد جاء اهتمام الرواية بالجسد وبالإنسان في سياق: "محاولة القطيعة مع الاتجاه الواقعي، من خلال رفضها اعتماد الخطاب الوصفي، الذي كان يُعْتَمدُ لوصف الصور والمشاعر، لتعبر عن قوة اللغة على وصف واقعيات وعوالم متعددة مع قدرتها على التأثير عليها وتغييرها"(**Malvina Larholm Nyberg : 28**)، وقد كان من بين هذه العوالم الجسد بما يحمله من رمزيات وأبعاد دلالية.

ويمكن القول إن حضور الجسد في الرواية العربية في مراحلها الأولى، قد ارتبط في الأعم الأغلب بالصورة العاطفية التي تجسدها العلاقة بين الرجل والمرأة، ولعل ذلك كانموروثا عن الثقافة العربية القديمة، وخاصة منها الشعر الذي اتخذ منذ العصر الجاهلي من الغزل غرضا وموضوعة طبعت مقدمات القصائد الشعرية، كما تم الاحتفاء بالجسد في الثقافة العربية نثرا كما حبلت بذلك كتب عربية عرفت بالجسد وحمولاته الإيروسية بشكل فاضح ومكشوف ككتاب **الروض العاطر** وكتاب **نزهة الألباب** وكتاب **طوق الحمامة.**

وقد استطاعت الرواية الجديدة أن تتجاوز المفهوم السطحي للجسد باعتبار دلالاته العاطفية، لتبحث في الجوانب الأخرى الغامضة منه، باعتباره يتجاوز المعنى البيولوجي المادي، إلى التعبير الرمزي الاستعاري عن الحياة وعن آمال الإنسان وآلامه، حيث يصبح الجسد رمزا استعاريا لتوصيف الواقع ونقده وللدفاع عن الإنسان وقيمه.

إن ما يهم الباحث في دراسته للجسد في الرواية العربية الجديدة هو ما يحمله من معاني ورمزيات تعكس إحساس الإنسان وألمه وأمله وصراعه في سبيل تحقيق كينونته وهويته، باعتباره معبرا عن موضوعات متعددة ذات أبعاد اجتماعية أو سياسية أو ثقافية أو نفسية، على اعتبار أن الرواية"وإن كانت تنطلق من الداخل، فإن توجهها السردي يجعلها تنخرط في الجماعي".**(زهور كرام، 2004: 105)**

من هذا المنطلق، يبدو أن الجسد لم يعد في الكتابات الأدبية الحديثة مجرد مادة، بل أصبح يمثل ثقافة تُبنى وتشيد باعتباره معبرا عن بنية سوسيو–ثقافية، تضاف إلى الحمولة الجسدية أو الجنسية، فيتحول الجسد من مرآة تعكس الحواس الخمس للإنسان إلى مرآة تعكس

ثقافة اجتماعية معينة لأن "الجسد الذي يقدم في الروايات ليس جسدا واقعيا، بل هو تمثيل رمزي للجسد عبر اللغة".(**سعيد الوكيل، 2004: 7**)

والقارئ لثلاثية أحلام مستغانمي **ذاكرة الجسد وفوضى الحواس وعابر سرير**، يستوقفه الحضور القوي للجسد في سياق البحث عن تحقيق الهوية والذات العربية ونفض الغبار عن الهوية النسائية المشوشة، وفي سياق حكائي ودلالي حابل بالتفاصيل السوسيولوجية والثقافية والسياسية، حيث تدافع رواياتها عن الجسد الطامح إلى التحرر من سلطة التبعية والرقابة والقسوة، لكل من يريد أن يتحرر في علاقاته العاطفية وأحساسيه، في مجتمع يدين العشاق وتغلب عليه العفة والحشمة والحياء الذي يخفي جدارا قويا من العواطف والعلاقات الجسدية المطمرة من طرف المؤسسات، حيث غالبا ما يتم إدراجه في خانة المدنس في كثير من الثقافات، و"إذا كان الجسد عورة ومصدر نجاسة، فالأجدر به أن يحفظ ويحصن ويطهر"(**فؤاد إسحاق الخوري، 1997: 39.**)

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن ملامح الجسد وصورته وتصوّره وأبعاده الدلالية والرمزية في الرواية الثالثة من ثلاثية أحلام مستغانمي، وهي رواية **عابر سرير** التي جاءت حبلى بتفاصيل الجسد وتصوير العلاقة العاطفية بين أبطالها، جاعلة من هذا التصور محور المساءلة الواقع العربي الذي ينتهك الجسد انتهاكه للإنسان وحقوقه الاجتماعية، والتي تصل حد القتل والتشويه، ليخرج الجسد، بذلك، عن بعده الدلالي السطحي، إلى تعبير آخر رمزي ذي طابع إيديولوجي وسيميائي واستعاري.

ففي **عابر سرير** نجد السارد الذي أوكلت إليه الكاتبة فعل الحكي يعتمد لغة ذكورية وضميرا مذكرا، على خلاف تقنية السرد في **ذاكرة الجسد** و**فوضى الحواس**، لتتخذ الكاتبة من ذلك تنميطا جديدا يكشف، بتلقائية، عن قدرة الرجل على البوح بأحاسيسه ومشاعره، وهو ما لا تستطيع الأنثى قوله أو البوح به، في رمزية دالة على سلطوية الذكورة في الثقافة العربية، ومن ثم جعل الاستعارة عنصرا أساسا لتعرية الخطاب الجسدي وجعله قادرا على التعبير استعاريا عن الكائن والواقعي والإيديولوجي، ووسيلة لخرق الهوية الذكورية، ذلك أن "مناقشة المرأة للهوية الرجالية تجعلها تدفع بالحوار وفق مبدأ الاختلاف باتجاه توليد أسئلة جديدة لدى الطرف الآخر – الرجل".(**زهور كرام، 2004: 139**)، وهذا من بين رهانات هذه الرواية.

1- العنوان والإحالة الجسدية:

عنونت الكاتبة روايتها ب "عابر سرير"، وهو عنوان يوحي بنوع من الإيروسية الواضحة من خلال كلمة "سرير" التي ترتبط بالفضاء الإيروسي والعاطفي، غير أن قراءة

المتن تجعل هذا "السرير" مرتبطا بأبعاد أخرى تخدم الجانب الرمزي والاستعاري الذي ترمي إليه الرواية على مستوى الرؤيا، كالمستشفى الذي يرقد به زيان أحد أبطال الرواية، أو أسرّة الحياة التي انطلقت مع سرير الجدة ثم سرير جدة البطل من الأب، الذي احتضنه سريرها: "على فراشها الأرضي، بدأت مشواري في الحياة كعابر سرير ستتلقفه الأسِرَّة واحدا بعد الآخر حتى السرير الأخير" **(الرواية، ص. 42)**، ومن ثم جاء العنوان مراوغا ودالا على البعد الدلالي الاستعاري الذي يحيل على دلالة رمزية خارج المعنى اللغوي التداولي.

من جانب آخر وفي سياق بوليفوني، بالمفهوم الباختيني، يتناص االعنوان مع مناص آخر أدبي هو "عابر سبيل" الذي نجده في مستهل الرواية، والمتمثل في قول إميل زولا: "عابرة سبيل هي الحقيقة"، قبل أن تتخذه بشكل مراوغ موضوعا سرديا، في سياق بحث البطل عن اللذة الجسدية فيلتقي عبور السرير بعبور االسبيل: "أنا الرجل الذي يحب مطاردة شذى عابرة سبيل، تمر من دون أن تلتفت" **(الرواية، ص. 12)**، بل تصرح الرواية بالدلالة الجنسية للسرير: "كنت أضاجع نساءه في سرير كان سريره" **(الرواية، ص. 87)**، فيفتضح بذلك أمر السرير الذي يقبع بين اللذة الجسدية والمفهوم الاستعاري المحيل على أسرة الحياة الأخرى، ويدل على المواربة والمخاتلة التي تطبع عناوين معظم الروايات العربية الجديدة.

2- متن الرواية:

اعتمدت الروائية ضمير المتكلم أداة للحكي، وهو في هذه الرواية لا يعكس البطلة حياة التي تبأر حولها الحكي في **ذاكرة الجسد وفوضى الحواس**، إنما كان التبئير هنا على شخصية خالد بن طوبال أحد أبطال الروايتين السابقتين، كدليل على استمرار الحكي الباني لثلاثية أحلام مستغانمي.

تحكي الرواية في فصولها الثمانية قصة المصور الصحفي خالد بن طوبال الذي حصل على جائزة فرنسية لأحسن صورة حول مشهد التقطه بإحدى القرى الجزائرية، عن طريق الصدفة، لطفل يستند إلى جدار كتبت فيه شعارات بدم أهله الذين فقدهم في إحدى المجازر، وفي خضم الشعارات التي رفعها الرأي العام الفرنسي حول قيمة الطفل في صورة كان التكريم فيها لكلب، سيشعر خالد بتأنيب الضمير، ويحاول في رحلة مضنية اقتسام قيمة الجائزة مع الطفل الذي لن يجده.

وتصف الرواية بالمقابل العلاقة التي ربطها البطل خالد بن طوبال بفرنسواز المسؤولة عن معرض الصور بباريس، واستحضاره لقسنطينة التي تعرَّف على آثارها في المعرض، ومن خلالها على الفنان صاحب هذه الآثار الفنية، زيان الراقد بأحد مستشفيات باريس، الذي

فقد ذراعه في حرب التحرير، وأثناء زيارته يلتقي حياة حبيبته التي أهداها فستانا اشتراه من سعر الجائزة، قبل أن يكتشف علاقتها بزيان وتكتشف هي علاقته بفرنسواز، وأنه مجرد عابر سرير في حياتها. ويموت زيان فيتكلف خالد بنقل جثمانه إلى قسنطينة بعد أن باع اللوحة التي اشتراها من المعرض.

3- الجسد وتمثلات الحواس الخمس:

تصور الرواية علاقة الصحفي خالد بن طوبال بعشيقتيه حياة ثم فرنسواز، وفي هذا السياق ترتسم صورة الجسد وتتخلق، منذ بداية الرواية، منتقدة الوضع العاطفي الذي يعيشه الإنسان العربي المقموع: "كنا مساء اللهفة الأولى، عاشقين في ضيافة المطر، رتبت لهما المصادفة موعدا خارج المدن العربية للخوف" **(الرواية، ص. 9)**، لتأخذنا في رحلة مليئة بالصراعات الجسدية المبطنة في سياقات أخرى ترتبط بالرؤيا التي تدافع عنها والمرجعيات التي تبني عليها متنها الحكائي، متخذة من هذه المواربة بين تصوير الجسد في حال اللذة والألم وتصوير الواقع العربي المأزوم، وسيلة لجذب القارئ إلى الغوص في الواقع الكائن الذي تنتقده والواقع الممكن الذي تدافع عنه، ليصبح الجسد وسيلة توصيف للعالم: "فالجسد ليس شيئا نمتلكه بل هو علامة على كينونتنا، فبه ومن خلاله نتعرف وجودنا في العالم". **(سعيد الوكيل، 2004: 15)**.

إن استحضار هذا الجسد في الأدب وفي الرواية بشكل خاص، يخرج به عن إطار كونه مادة طبيعية إلى جعله أداة تمثل ثقافة إنسانية تبنى وتشيد، وهذه الثقافة تختلف من مجتمع لآخر، فالمجتمع الغربي مثلا، يجزئ الجسد إلى تفاصيل ويجعل كل عضو منه مستقلا عن الآخر عملا ووظيفة، أما في الثقافة الإفريقية فينظر إليه في بنيته الكلية كنسق تكاملي يعبر عن الإنسان الإفريقي منذ نشأته الأولى، ومن ثم يتم استحضاره في الأدب من خلال النظرة الكلية للجسد الإنساني ودلالته.

(Voir : Frank Bernard, 2009 :43)

في هذا الصدد يبقى التعبير عن الجسد في رواية **عابر سرير** تعبيرا عن شعور وإحساس وعن كينونة مبطنة في ثنايا النص الروائي، تعكس هذا الجسد عبر التعبير عن ألمه وعن عواطفه وعن لذته أيضا، وهي عواطف وأحاسيس تعبر عن الوجود الإنساني في كليته؛ عن كينونته وهويته، حيث تستحضر قيمة هذا الإنسان ومشاعره ومعاناته من خلال حواسه الخمس.

وقد نجحت الرواية في استحضار مختلف الحواس الإنسانية بشكل يقوم على نوع من المفارقة والتناقض، والمتمثل في تصوير اللذة العاطفية من جهة ثم الألم والمعاناة والقسوة من جهة ثانية.

فقد استحضرت الرواية حاسة البصر وهو يتحسس جمالية الجسد المغري للأنثى حيث تمتزج الرغبة بالقسوة: "أمعن النظر إلى تلك الأنثى التي ترقص على أنغام الرغبة، كما على خوان المنتصرين، حافية من الرحمة" **(الرواية، ص.11)**، فقد جعل السارد لحاسة البصر معنى خاصا من خلال بناء الحكاية على الصورة التي التقطها لطفل إلى جانب كلب، وهوسه بالتقاط الصور التي أصبح يربط معها علاقات شبيهة بعلاقاته مع النساء: "عندما امتلأ ذلك الفيلم بالصور، فاجأني إحساس بالأبوة. كأن آلة التصوير التي كانت رفيقة حياتي غدت أنثى تحمل في أحشائها أولادي" **(الرواية، ص. 167)**.

وعبرت الرواية عن حاسة الذوق في أسلوب بوليفوني، بالمفهوم الباختيني، حيث يمزج بين اللذة الإيروسية ومشاعر الألم الإنسانية:"وكانت شفتاي تلعقان لثما دمع العقم المنحدر على خديها مدرارا كأنه اعتذار" **(الرواية، ص. 19)**، وبالمفارقة ذاتها تربط الرواية بين تذوق الطعام والإرهاب الذي تدينه وترفضه، موضحة أن لبعض أنواع الطعام مذاق الإرهاب:

"قال ناصر ممنيا نفسه بوليمة:

- عندما تأتي إمّا ستعد لنا أطباقا قسنطينية تغير مذاق الهمبرغر الألماني في فمي.. كم اشتقت لأكلنا..
- رد عليه مراد مازحا:
- "دعك يا رجل من الطبخ الجزائري وإلا أصبحت حقا إرهابيا"، ويواصل: "أرأيتم شعبا مهووسا بأكل الرؤوس "المشوشطة" مثل الشعب الجزائري... والله لو أن غاندي نفسه اتبع ريجيم المطبخ الجزائري المعاصر وتغذى "بزلوف" وتعشى "كراوع" لباع عصاه ومعزاه واشترى كلاشينكوف !"(الرواية، ص. 103)

واستحضرت حاسة السمع من خلال استحضار الموسيقى: "حاولت أن أستعين على انتظارها بالبحث عن شريط يليق بالمناسبة.كانت تلك الأغنية ما زالت داخل جهاز الكاسيت" **(الرواية، ص. 180)**، ثم حاسة اللمس في أسلوب يميل إلى التغزل الإيروسي:"انتابني خوف مفاجئ بفقدانها، وأنا أكرر، صمتا، الحركة ذاتها بحثا عن مكان لرأسي في صدرها. ويصطدم وجهي بموسلين ثوبها الأسود الذي لم تخلعه" **(الرواية، ص. 191)**.

كما استحضرت الرواية حاسة الشم : "غير أن العطر في قارورة هو مشروع شذا رائحة، لا يصبح كذلك إلا بانصهاره بكيمياء الجسد. ولذا، ما عاد بإمكان عطر أن يغطي على تلك الرائحة" **(الرواية، ص. 267)**، وهو عطر اتخذ بعدا استعاريا ورمزيا: "لم تكن تصدق تماما أن بإمكان عربي ذي مظهر لا تفوح منه رائحة النفط، أن ينتمي إلى فحش عالم الاقتناء" (الرواية، ص. 12)، وفي سياق تشويه هذه الحاسة، تطبعه برائحة التشوه والألم:

" ولكن حيث تنام، ذات يوم، في اللحظة التي تتوقعها الأقل، تجتاحك رائحة الغياب، وتستيقظ فيك تلك الرائحة، التي أفسدت عليك منذ البدء، علاقتك بجسد زوجتك، حدّ جعلك تفرض عليها تناول حبوب منع الحمل لسنوات، خشية مجيء صغير يعاني من "التشوهات الأسرية للأسرّة" **(الرواية ص. 115)**.

إن الاشتغال على الحواس في **عابر سرير** جاء لتقريب الصورة العاطفية من المتلقي، ليعانق بذاته واقع البوح العاطفي، وينصهر وجدانيا وروحيا مع الرواية وأبطالها؛ويأتي تفاعل هذه الحواس داخل النص الروائي لتصوير الإنسان الذي تدافع عنه الرواية، والرؤيا التي تراهن عليها، والتي تتخلق عبر تصوير المشاعر الإنسانية؛ فتوصيف الحواس من بصر وسمع وذوق وشم ولمس، تجعل القارئ يقترب أكثر من الحكاية، وينصهر أكثر في الموضوع؛ كما أن تمثيل ذلك في تصوير العلاقة العاطفية، يعمل على إثارة المتلقي لتحسس الموضوع، قبل أن ترمي به داخل موضوع جديد ورؤيا جديدة؛ تنقله من الإيروسي إلى الإيديولوجي، كما تجعله يقترب من شخصيات الرواية التي تنتقل، بفضل تمثيل حواسها الخمس، من مجرد شخصيات ورقية إلى: "شخصيات حية ومتحركة وواعية بالأحداث من حولها" **(Frank Bernard, 2009 :55)**.

4- المعجم الإيروسي:

اعتمدت الرواية لغة العاطفة والجسد في تعبيرها العاطفي والغرامي، وجاء المعجم حابلا بكلمات وعبارات تحيل على الإيروسية في تصوير العلاقة الحميمية بين بطلي الرواية فرانسواز وخالد بن طوبال، فنجد اللغة مليئة بالعواطف من قبيل: (القبلة، الزخم العاطفي، الحب، إكسير الشهوة، سطوة الرجولة، العري، مارست الحب، العاشق، المضاجعة، السرير، اللذة الشاهقة، المكان الأدفأ في صدرها، وشاية الأنوثة، الأنوثة المرتبكة)، وهو معجم عبر بقوة عن العاطفة المشتعلة بين العاشقين بشكل مثالي قريب من المفهوم التصوفي الذي يجد مرجعيته بشكل خاص عند ابن عربي، حيث يكون الجسد "كل روح ظهر في جسم نوراني أو ناري" **(سعيد الوكيل، 2004 :23)**.

كما أن اللغة الإيروسية تم تسريدها لتنميط المتن الحكائي برمته، فاتخذ الأسلوب الجسدي والمعجم الإيروسي أداة للغوص في موضوعات أخرى سياسية واجتماعية وثقافية، فعبارات "خلعت أبواب الترقب على تدفق ضوئها المباغث" **(الرواية، ص. 153)** أو" كنا نسكن مدينة شاطئية تولي ظهرها للبحر" **(الرواية، ص. 61)**، أسست مادتها الأسلوبية على التشخيص وعلى الأسنة والتجسيد لعناصر الطبيعة جاعلة كائناتها من حيوانات وأشياء ذات إحساس وأعضاء وملامح إنسانية.

إن قراءتنا للرواية يجعلنا نكتشف أن الحمولة الإيروسية حاضرة في مختلف الموضوعات والسرود، حيث يتمدد الجسد ليعبر تيمات وموضوعات أخرى: " الباب الموارب هو الغشاء الذي تقبع خلفه كل أنوثة مغلولة بقيد الانتظار. ما هو مشرع منه ليس سوى تلك الدعوة الأبدية للولوج" **(الرواية، ص.63)** حيث يحضر التوصيف الإيروسي بشكل فرويدي وهي تتحدث عن باب المعرض الفني، كما تجسد تيمات من قبيل الموت والفناء وتأزيم الواقع في أسلوب التشخيص والأنسنة ذاته مثل:"الوقت المكفن ببياض الورق" **(الرواية، ص. 83)**أو"صباح الضواحي الباردة وأنت عابر سرير حيث نمت، وقلبك الذي استيقظ مقلوبا رأسا على عقب، كمزاج الكراسي المقلوبة" **(الرواية، ص. 111)** أو " حتى البطون الموصدة للأميرات أذابت نيران العشق شموع أختامها الملكية. وما عاد اللقاح الأزرق يثير شهية الإخصاب لدى الأرحام المتوجة " **(الرواية، ص. 168)**، أو "بحشمة قسنطينة عندما ترقص لأول مرة في حضرة رجل، راح جسدها يتهادى. لم تكن تتلوى.." **(الرواية، ص. 182)**، أو: "خلعت أبواب الترقب على تدفق ضوئها المباغت" **(الرواية، ص. 152)**.

هذه الأمثلة التي قدمنا تحيل على سعي السارد إلى تحويل الكائنات والأشياء إلى تفاصيل جسدية إنسانية، ومن ثم الإعلاء من شأن هذا الإنسان الذي عرف مذلة وتشويها وتهميشا في العصر الراهن.

5- الجسد واختراق المقدس:

لم تعد الرواية العربية الجديدة تجد حرجا في اختراق المقدس، وفي تناول موضوعات كانت تعتبر فيما مضى من قبيل المدنس، فراحت تخترق طقوسا كانت تعد ضمن المحظور وضمن المتعالى عليه، فالجسد الذي كان يعد الحديث عن تفاصيله ممنوعا، حيث كانت العواطف والمشاعر والأحاسيس الشهوانية مكبوتةً؛قد استطاعت الراوية أن تتناوله بكل حرية.

ولئن كانت الكتابة الروائية الرجالية قد تناولت الجسد مع روايات مغرقة في الإيروسية مثل **الخبز الحافي** لمحمد شكري، فإن الكتابة النسائية ظلت متحفظة في تناولها للجسد انسجاما مع الثقافة السائدة، إلا أن **عابر سرير** اخترقت المحظور وعبرت عنه بتلقائية، وإن كان الضمير كما أسلفنا ذكوريا، وهذا الوعي باختراق المقدسات حاضر بقوة في الرواية:"كنت أجد فرحتي بعد ذلك في الهروب إلى بيت عبد الحق، حيث أصبح لشهواتيسرير غير شرعي مع حياة. فعليك بلا توقف أن تخترع حياتك الأخرى المزورة، إنقاذا لحياتك الحقيقية التي لا وهج فيها" **(الرواية، ص. 151)**.

بل إن الرواية سعت إلى محاولة تحويل المدنس إلى نوع من القدسية، فالجسد بشهوانيته التي تقوم على المحظور من العلاقات الجنسية غير الشرعية بين فرنسواز وخالد، وبين حياة وزيان، رغم رفضها اجتماعيا، فإن الرواية شرعنتها خياليا وجعلت البطل خالد بن طوبال يقبل بخيانة حياة مع فرنسواز كما خانته هي مع زيان، وكما أن الخيانة أمر واقعي لم يسلم منه حتى والد البطل، لذا يجب القبول بها في منطق العلاقات العاطفية، حيث تقتضي المساواة بين الجنسين أن يقبل كل طرف بأخطاء الآخر.

إن هذا الاختراق للمقدس وجعله يتعايش جنبا إلى جنب مع المدنس، كما تصرح الرواية بذلك في مواقف مثل: "وأنت عند قدميها ترتل صلوات الاستسقاء" **(الرواية ص. 10)**، يأتي بمثابة ثورة المرأة الكاتبة على الثوابت التي كانت تجعل حديث المرأة عن جسدها أو اختراقها للجسد الذكوري أمرا ممنوعا، فهي تتحدى الثقافة السائدة حول هذا الجسد الذي ظل موضوعا ملتبسا وهامشيا "بسبب ثقل المحظورات التاريخية وطغيان ثقافة التحريم"(**عبد النور إدريس، 2015 :6-7)**، ومن ثم أمكن القول إن اختراق الجسد في رواية نسائية مثل **عابر سرير**، هو بمثابة ثورة حقيقية في مجال الكتابة الروائية ذاتها، ومن ثم تأكيد هذه الكتابة الموسومة بالاختلاف والتجديد والمغايرة.

6- الجسد وثنائية المسخ والموت:

تجعل عابر سرير من الجسد موضوعا لتصوير التشوه الذي يحدث للجسد العربي، ولم تكن مصادفة أن تنطلق الرواية في بناء حبكتها من جثة طفل مقتول، نال تصويره جائزة أحسن صورة؛ فالجسد والاحتفاء به استعاريا، من خلال العلاقات الجسدية والجنسية والعاطفية بين الشخوص، واكبه تصوير تشويهي يحتفي بالموت والقتل والمسخ كثقافة مخيمة تجعل مهمة القتل والتقتيل والمحو هواية تمارس في بعض المجتمعات العربية التي تتخذ الجزائر فيها

نصيبا أكبر: "في موسم قطف الرؤوس وحصاد الأقلام، فشلنا نحن الصحافيين في العثور على أسماء مستعارة نختفي خلفها من القتلة" **(الرواية، ص. 239)**.

بهذا المعنى المحتفي بالقتل والموت تقيم الروائية نوعا من المقارنة بين منظور قيمة الجسد الإنساني والجسد الحيواني، وفي نوع من المسخ يغدو الجسد الإنساني جسدا حيوانيا في حين يُحتفى بجسد الحيوان، وهذه المقارنة انبنت عليها الحكاية الأصل حيث إن نيل الجائزة من طرف بطل الرواية كان بسبب الكلب الذي بأرت عليه الصورة، وأن الطفل الذي بجانب الكلب كان تواجده محض صدفة، ومن ثَم تقيم المقارنة على نوع من بيان قيمة الإنسان في مجتمع يهوى قتل الإنسان: "في زمن الهوس المرئي بالمذابح" **(الرواية، ص. 28)**.

وهذا المسخ الروائي للإنسان حاضر بقوة من خلال استعارات ومقارنات تصف الوحشية الإنسانية في مجتمع يبيح القتل، فيتحول فيه القتلة إلى وحوش وإلى ذئاب: " إنلم تكن الذئب، فالذئاب كثيرة هذه الأيام" **(الرواية، ص. 101)** في توصيف الذئاب البشرية القاتلة، الذين تصفهم بالكلاب أحيانا كما يتضح في هذا الحوار بين شيخ جزائري وإرهابيين:

"–واش..الكلاب ماهمش هنا اليوم؟

فرد أحدهم وهو يطلق عليه النار:

- إحنا همّ الكلاب !" **(الرواية، ص. 34)**.

ويأتي في سيقتلك المقارنة تفضيل الكلب على الإنسان، موضحة رأي الصحافة الجزائرية التي رأت في الصورة الحاصلة على الجائزة تكريما للكلاب لا الإنسان، مبررة ذلك بأنهم:

"يستندون إلى حقيقة أن الإنسان الغربي أكثر شفقة على الحيوان منه على الإنسان، وهذا ما جعل المتسولين والمشردين يخرجون إلى التسول بصحبة كلب وأحيانا كلبين، تراهم جالسين على الأرصفة مع كلابهم الضخمة النائمة أرضا بعدما أدركوا أن الكلب شفيعهم لدى المارة" **(الرواية، ص. ص. 119–120)**.

وبالقدر نفسه يحضر الموت لتصوير الخراب والدمار الذي يعيشه الإنسان اليوم، ومن ثم تزخر الرواية بمواقف الموت الذي يهيمن على الجزائر كفضاء رمزي: "نحن نفاضل بين موت وآخر، وذل وآخر، لا غير. في الجزائر يبحثون عنك لتصفيتك جسديا" **(الرواية، ص 101)**، منتقدة واقع الإرهاب ومنددة به، عكس ما نجده في بعض الروايات الإفريقية التي تحتفي بالموت وتراهن عليه باعتبارها خروجا بالإنسان من مأزق المعاناة، حيث نشعر في

عابر سرير بمعاني الألم والحسرة في استحضار تيمة الموت، كما في قول السارد: "تقدمت المرأة نحو النعشين **(الرواية، ص. 249)**، أو قوله: "هل يمكن لوطن أن يلحق بأبنائه أذى لا يلحقه حيوان بنسله"**(الرواية، ص. 43)**.

7- أسطرة الجسد وتفحيل الأنثى:

لقد كان التشكيل الجسدي في **عابر سرير** مبئرا على المرأة التي تعني كمال الجمال ومثالية الجسد، هذه المثالية التي اصطبغ فيها المدنس بالمقدس، وعبرت عن بعد دلالي صوفي رامز للاكتمال الإنساني الذي هو عند بعض الصوفية كابن عربي معبر عن كمال الذات الإلهية، حيث يرى ابن عربي أن: "الجسم الإنساني آخر ظاهر من مراتب الوجود، وهو من أشرف الأجسام لأنه محل كمال الظهور الإلهي، إذ يضاهي استواء الإنسان عليه استواء الشأن الرحماني على عرشه". **(سعيد الوكيل، 2004: 23)**.

ويتخذ هذا التوصيف الجمالي للجسم طابعا إيروسيا عندما تتشكل العلاقة العاطفية بين العاشقين بصيغ رامزة، وهذا التوصيف الإيروسي عبر عنه السارد من خلال التركيز على العلاقة الجسدية بينالرجل والمرأة، ومن خلال الولوج إلى عمق الجوارح الجسدية للمرأة بشكل رامز عبرت عنه اللغة والأسلوب المنزاح: "الباب الموارب هو الغشاء الذي تقبع خلفه كل أنوثة مغلولة بقيد الانتظار. ما هو مشرع منه ليس سوى تلك الدعوة الأبدية للولوج. أما بعضه المغلق، فذلك هو التمنع الصارخ للإغواء"**(الرواية، ص. 63)**، ومن خلال تشكيل اللذة والإثارة في العلاقة الحميمية: " أحلم بشهقة المباغتة الجميلة، بارتعاد لوعتها عند اللقاء، باندهاش نظرتها. بضمتها الأولى" **(الرواية، ص. 61)**.

إن تأكيد الرواية لجسد المرأة يسعى إلى تغيير الصورة النمطية عن الجسد الأنثوي الذي ظل"معروضا للملاحظة والمراقبة والتأثيم" **(عبد النور إدريس، 2015: 5)**، ذلك أن الثقافة العربية تنبني بشكل أو بآخر على سلطة ذكورية محضة، وتكون الأنثى غالبا رمزا جماليا يتم التعامل معه في خضم الصراع بين العلاقات العاطفية، حيث يتمظهر الجسد الأنثوي في الشعر كما في النثر بشكل محتشم، أو يظهر ضعيفا خاضعا، وهذه هي الوضعية التي تسعى الرواية إلى تصحيحها.

فقد سعت أحلام مستغانمي إلى تفحيل الأنثى للخروج من هذه السلطوية الذكورية، أو بمعنى آخر لمنح السلطة الجسدية للأنثى كفاعل وليس كمفعول، ولعل اعتماد الضمير المذكر خير دليل على ذلك.

هكذا تبرز سلطة الجسد من خلال استحضار قوة البطل وسلطته الجسدية الذكورية التي يرويها بطلٌ ذكر عن روائية امرأة: "وكنت تقول لها وأنت تغدق عليها بتلك اللذة الشاهقة:"سأفسدك إمتاعا حتى لا تصلحي لرجل غيري" **(الرواية، ص. 191)**، أو من خلال الكشف عن الصفات الأنثوية الجاذبة:"بحشمة قسنطينة عندما ترقص لأول مرة في حضرة رجل، راح جسدها يتهادى. لم تكن تتلوى، لم تكن تتمايل، ولا كان في حركتها غنج، كانت إثارتها في إغرائها الموارب"**(الرواية، ص. 182)**.

إن جسد فرنسواز في الرواية ليس جسدا عاديا بالمعنى المتعارف عليه للمرأة، إنه جسد مثالي له سلطة الإغراء بالمعنى العميق للكلمة، وله معنى الجبروت، فأحيانا تشبهه بجسد فينوس وأحيانا تجعله جسدا ملكيا: " تمنيت امرأة كفينوس في انزلاق نصف ثوبها" **(الرواية ص.73)**، فهو ليس جسدا يغري فقط بل هو جسد يحيل على الفحولة والقوة والجبروت: "فرنسواز بهذا المقياس، كانت اختبارا سيئا للرجولة. كانت بفصلين يعاشر أحدهما الآخر أمامك، كربيع شعرها المحمر، وخريف شفتيها الشاحبتين. وكانت مشكلتي الأولى ثغرها: كيف أضاجع امرأة لا تغريني شفتاها الرفيعتان بتقبيلهما" **(الرواية، ص. 73)**.

والواضح أن النفس النسائي في الرواية حاضر بقوة رغم ذكورية الضمير الذي يحيل هو أيضا على تفحيل الأنثى، ويتجلى ذلك في غوص السارد في تفاصيل المشاعر النسائية، اعتمادا على الرؤية من أعلى، عبر النفوذ في العلاقات الجنسية والحميمية التي تصورها الرواية: "كنت أكره امرأة تصرخ لحظة الحب. ففي كل صراخ مراوغة لا تخلو من نيات الغش النسائي. كنت لا أعرف للمتعة إلا احتمالين: أن تبكي امرأة أو يغمى عليها. فلا متعة دون بلوغ وعي الإغماء"، **(الرواية، ص. 74)** ويواصل السارد معبرا عن صورة الأنثى التي تمثلها فرنسواز المتوحدة في شكلها الأنثوي: "كانت فرنسواز لا تعرف صمت كائنين لحظة توحد. كانت تموء كقطة، تنتفض كسمكة، تتلوى كأفعى، وكلبؤة تختبر ذلك العصيان الشرس في مواجهة الذكورة" **(الرواية، ص. 74)**.

فالأنثى ترفض وتعصى كلبؤة، ولها سلطة الإغراء وسلطة الممارسة أو الرفض، وسلطة الفعل، والأنثى تخيف: "في الواقع كنت أخاف التيه الذي سيلي حبها" **(الرواية، ص. 81)**، وهي محفوفة بالمخاطر: "ثمة أيضا مصيبة الدخول في مدار حب محفوف بالأخطار والمجازفات، مع امرأة تلاحقها دائما فتنة الشائعات، وتسبقها حيث حلت عيون المخبرين وأجهزة التنصت. وأنت دوما خائف عليها منها.. خائف منها عليك !"**(الرواية، ص. 129)**.

لكن من جانب آخر عبرت **عابر سرير** عن بؤس جسد الأنثى وخضوعه لا سيما في المجتمع العربي: "حتى مومسات بيغال المنتشرات على أرصفة الليل، في هيئة لا يصمد رجل

أمام غواية التلصص على عريهن، لم أستطع وأنا أعبر شارعهن أن أقيم مع أجسادهن العارية تحت معاطف الفرو، أية علاقة فضول" **(الرواية ص. 87)**، وبمنطق الضعف والخضوع يقول السارد: "لكن لا تهتم يا زوربا، يا صديق الأرامل لا تحزن. الجميلات الصغيرات لا يترملن. إنهن يزين قصور سادة الحروب العربية. وحدهن البائسات الفقيرات يمتن غسلا لشرف الوطن، كما مات أزواجهن فداء له" . **(الرواية، ص. 78)**.

8- الأبعاد الدلالية للجسد:

إن قمع الجسد في الثقافة العربية ينبع من الإيمان بكون الجسد مدنسا يحتاج دائما إلى الطهارة سواء المادية بالماء وغيره أو المعنوية بالإيمان والطقوس الدينية، وقد التفت السارد في **عابر سرير** إلى هذا القمع الذي تجلى في التضييق على العلاقات العاطفية، بل تجلى حتى في رفض دفن جسد كاتب ياسين بعد موته في تراب الجزائر بعد أن أعلن المفتي: "أن مثل هذا الرجل ليس أهلا لأن يواريه في تراب الجزائر، ويحرم بحكمها دفنه في مقبرة إسلامية" **(الرواية ص. 138)**.

ذلك أن معاناة الجسد هي تعبير عن ذلك القمع السلوكي للجسد الذي ينبع من قمع الحريات في الوطن العربي، وقمع كل رغبة في الظهور والتجلي: " كان في الجو براعم جنون لشهوات مؤجلة أزهرت أخيرا خارج بساتين الخوف"**(الرواية، ص. 182)**.

ويتضح البعد النفسي والاجتماعي للجسد في إهماله وفي قمع الإنسان وتقييد حرياته ونزواته:"رويدا.. يضمحل قلبك العاطل عن الحب. تتقلص فحولته العاطلة.. خيباتك السابقة علمتك الاحتراس من حب يؤسس نفسه على كلمة إلى الأبد". **(الرواية، ص. 76)**.

ومن هذا المنطلق تنبثق رؤيا الرواية وإيديولوجيتها التي ترى أن الإنسان العربي ما زال يعاني القمع الجسدي والنفسي في مجتمع لا يؤمن بالحريات ويحاسبك بسبب هيئتك:"عندما استيقظنا، ذهب ناصر ليأخذ حمامه الصباحي ويحلق ذقنه. سألته مازحا ونحن نتناول قهوة الصباح: هل حلقت لحيتك خوفا من المضايقات"(**الرواية، ص. 113)**.

وبذلك فالرواية في احتفائها بالجسد توصل رسالة قاصدة إلى تحسين وضعية الجسد، لأن في ذلك احتفاء بالإنسان الراغب في التحرر والانطلاق بروحه كما بجسده، وتنطوي على بعد فكري وفلسفي يحتفي بالجسد وبالإنسان الحالم بالحياة والراغب في الحرية، فرمزيته الوجودية بتعبير سارتر تكون في تخليصه من جحيم الآخر أو الرقيب، وتحدي كل تعطيل لقدرات هذا الجسد، كما يتضح ذلك من خلال سرد قصة رجل، دخل سجنا عربيا بتهمة الانتماء إلى حزب سياسي محظور، وقضى فيه ستة عشر عاما، وبعد خروجه، تزوج

محامية، لكنه"ما كان يدري أنه في تلك الأقبية الرطبة قد فقد إلى الأبد عنفوان فحولته، إلا عندما احتضن بولَع السّجين العاشق، تلك المرأة التي حلم بها طويلا".**(الرواية، ص.75)**.

فالجسد يأتي، في الغالب، مضمنا في أبعاد أخرى سياسية وإيديولوجية، تطالب برفع الحظر عن الجسد وعن حرية الإنسان، وتطالب بتأكيد القيم الإنسانية، ومن ذلك قيمة المساواة بين الرجل والمرأة، منتقدة التمييز بين الجنسين على لسان الشخصيات مثل مراد الذي كان يطالب بتذكير كلمات مثل "الديمقراطية" و"الحرية"، لفضح موقف العرب من المرأة، مؤكدة أن العرب"ما استطاعوا أن ينجزوا من الانتصارات غير تلك الشعارات المذكرة، فدفعوا من أجل فحولة الاستقلال ملايين البشر، في حين استخفوا بالشعارات المؤنثة، استخفافهم بنسائهم." **(الرواية، ص. 63)**.

بل إن الجسد الذي يعتبر المادة الأساس للرواية مضمن بشكل دائم في صورة الوطن، مما يجعل الرسالة التي ينبني عليها تقوم على الذاكرة الوطنية والذاكرة التاريخية، ومن ثم كانت معانقة خالد لفرنسواز بمثابة معادل رمزي لمعانقة فرنسا كذاكرة للاستعمار والامبريالية: "شعرت برغبة في أن أضم إلى صدري هذه المرأة التي نصفها فرنسواز، ونصفها فرنسا، أن أقبل شيئا فيها، أن أصفع شيئا فيها"**(الرواية ص. 52)**، فمن خلال الجسد والعاطفة تتجلى ذاكرة الوطن وذاكرة الاستعمار والامبريالية.

فقد جعلت **عابر سرير** من موت الجسد وتعذيبه رمزية لذاكرة الحرب، وذاكرة الاستعمار، وذاكرة الموت الجماعي، فهي تقتنص من كل تفصيل جسدي رمزية للبعد الاستعاري والرمزي والإيديولوجي: "إن جمعية لمناهضة العنصرية استوحت من هذه اللوحة فكرة تخليدها لهذه الجريمة أنزلت في آخر ذكرى لتظاهرات 17 أكتوبر شباكا في نهر السين تحتوي على أحذية يساوي عددها عدد الضحايا. "(**الرواية، ص. 52)**، حيث تريد الرواية تبيان القيمة السلبية للجسد لا في الجزائر والوطن العربي وحده، بل كذلك في الفكر الغربي الذي بمركزيته المغرقة في العقلانية شيَّأ الإنسان وأقصى كثيرا من الطبقات الاجتماعية وقيد العلاقات الإنسانية، كما نجد ذلك مثلا، في آراء ميشيل فوكو الذي استحضر البنية السلبية للمعتقد الغربي للجسد، ومنه قمع الجسد وقمع الحب وقمع العلاقات الجنسية والعلاقات العاطفية كما في كتابه **تاريخ الجنون**.

هكذا يتجسد البعد الدلالي والاستعاري والرمزي للجسد في مواقف وتيمات متعددة دافعت عنها الرواية، مستحضرة الذاكرة الجماعية مثل فضح الفاشية في غضون تصوير علاقات جسدية وجنسية:"ذات مرة قلت لها مازحا:أنت لن تحبلي من سواي. فمنذ موت الفاشية ما عادت النساء تحبل قسرا، مستسلمات لسطوة طغاتهن، كتلك المرأة التي قرأت أنها قالت بفعل الجاذبية الخارقة للقوة:"عندما رأيت موسليني يمر في موكب شعرت أنني حبلت منه"**(الرواية، ص.168)**، كما تفضح جرائم الحكام العرب "وهي التي كالأنظمة العربية، تحترف توثيق جرائمها، واستنطاق ضحاياها في كتاب" **(الرواية، ص. 210)**، كما تفضح الاغتيالات السياسية التي تعرض لها بعض المناضلين السياسيين والفكريين أمثال كاتب ياسين، يقول السارد ساخرا:

"ثم تقودني الأفكار إلى تلك الأخبار التي نقلتها الصحف في الثمانينيات عن طائرات بلد عربي مخصصة لنقل البضائع، حولتها الضرورة إلى طائرات للنعوش، وراحت لأسابيع تنقل في رحلات مكوكية أحلام آلاف المصريين الذين قصدوا ذلك البلد للعمل بنيات وحدودية وعادوا منه مشوهين في صناديق محكمة الإقفال".**(الرواية، ص. 255)**.

ومن جهة أخرى كان الجسد المبؤَّر عليه متماهيا مع جسد الكتابة ووظيفة الكتابة، ووعي الروائية بهذا قد جعلها تعبر بنوع من المخاتلة والموارية وبنوع من السخرية والمحاكاة عن أن أمر الكتابة واختراقها شبيه باختراق جسد الأنثى:

"باليد نفسها أكتب. بالعنف نفسه أستحضرها على الورق، ذلك أنه يلزمني الكثير من الفحولة لمواجهة عري البياض. ومن لم ينجح في مقاربة أنثى، لن يعرف كيف يراقب ورقة. فنحن نكتب كما نمارس الحب. البعض يأخذ الكتابة عنوة كيفما اتفق. والآخر يعتقد أنها لا تمنحك نفسها إلا بالمراودة".**(الرواية، ص. 83)**.

فوعي الكاتبة بفعل الكتابة وأهمية الموضوع الذي تشتغل عليه جعلها توازي بين جسد المرأة وجسد النص، بل جعلها "تخط نصا قريبا من جسدها بحيث يتنفّس النص هواءه، ويعيد أصداءه، ويجس نبضه"(**الأخضر بن السائح، 2009: 98)**، ومن ثم يمكن القول إن طبيعة الكتابة النسائية عموما تضفي على النص من ذات الكاتبة، ولذا كان الجسد عند أحلام مستغانمي متفاعلا مع رمزيته الاستعارية في القضايا التي يطرحها والأسئلة التي يسعى إلى الإجابة عنها كصورة استعارية رامزة.

خلاصة:

إن هذا الحفر في احتفاء الرواية العربية المعاصرة بالجسد، ورواية **عابر سرير** على وجه الخصوص، يأتي في سياق نظري يطرح السؤال الخاص بمحاولات التجديد في الرواية العربية لتشكيل هويتها الخاصة، انطلاقا من بحثها في الذات والهوية والذاكرة الجماعية العربية، وهي سمة يرى فيها النقد المعاصر خاصية أساسية وسمة من سمات الرواية العربية الجديدة المتسمة بالتطور المستمر والبحث المتواصل في الإنسان ومشكلاته.

لقد اتضح من خلال هذه الدراسة أن **عابر سرير**، شأن معظم الروايات الجديدة، تبني حكايتها على الإنسان، لا في بعده الروحي والأخلاقي فقط، بل في بعده البيولوجي والمادي أيضا، وأن سعيها ذلك جعلها تستغل هذا التوظيف للمراهنة على رؤى جديدة ولطرح أفكار جديدة والغوص في قضايا كانت تبدو محرمة وممنوعة.

فعبر المواربة والمخاتلة التي عهدناها في الرواية الجديدة، يكون الجسد استعارة لتوصيف الواقع، وتصوير الكائن، ونقد هذا الواقع كذلك، حيث إن الغوص في لغة العواطف والمشاعر والعلاقات الجسدية، واعتماد لغة الحواس، والغوص في تفاصيل الجسد الأنثوي، بشكل خاص، اعتمد رمزية لتقصي الأزمة التي يعيشها الإنسان العربي، لذا حضرت مجموعة من الثنائيات المبنية على التناقض، كالوفاء والخيانة، والحياة والموت، والألم والأمل، وعشق الحياة والاحتفاء بالموت.

لقد أحسنت أحلام مستغانمي التعامل مع الجسد باعتباره استعارة استطاعت من خلالها البوح بآلام ومعاناة المرأة، واستندت في ذلك على لغة شعرية تستقي مادتها من اجتراح واقع الجسد المأزوم حتى في لحظات النشوة العاطفية، واتخذت منه محاكاة لرصد تجربة الكتابة النسائية وهي تعانق لحظة الإبداع، ومن ثم أمكن رصد تأثير الجسد في كتابة الروائية، ذلك أن أحلام مستغانمي"تعتمد على الجسد الأنثوي، كبؤرة مركزية تستقطب حولها عالم النص كلّه. فالدلالة مرتكزة على وظيفة الشيفرات الثقافية للجسد الحسي، تنقله إلى الجسد النصي"(**الأخضر بن السائح، 2009: 82**)، وقد كان طبيعيا أن يتأثر النص الروائي بلغة الجسد الحسي.

إن خوض الرواية في هذه التفاصيل السردية، جعلت الرؤيا والرهان ينماز بنوع من الضبابية والقتامة، لأن الدخول في مآزق متعددة؛ بين السفر لنيل جائزة أحسن صورة، والبحث عن حبيبة قديمة، واستحضار ذاكرة الحرب، والنفاذ إلى العلاقات العاطفية والجنسية والتبئير عليها، وتصوير تناقضات الوفاء للحب وخيانة الحبيب، جعلت الرواية لا تستقر على معنى واضح، وهو أمر جعل الرواية تطرح الأسئلة أكثر مما تعطي حلولا وأجوبة.

من هذا المنطلق يجد الباحث في الرواية الجديدة نفسه أمام تحولات وتغيرات لا تنتهي، وتبقى التنظيرات والفرضيات المطروحة حول هذه الرواية أيضا غير ثابتة، لأن الرواية الجديدة لا تعرف الاستقرار أبدا، فالقضايا التي تطرحها تتعدد، والمادة الحكائية التي تبني عليها متنها غالبا ما تشتغل على التراث الإنساني بمختلف مشاربه، إضافة إلى أن الأسلوب يختلف من روائي إلى آخر، وهو ما لم نألفه في الرواية العربية في مراحلها السابقة، ومن ثم فإن مواكبة الرواية الجديدة بالبحث والدراسة، سيجعل الباحث يقف بشكل دائم أمام الصعوبات والمفاجآت التي تدعوه إلى تجديد ميكانيزمات البحث وأدوات النقد بحسب ما تقتضيه الأعمال التي يشتغل عليها.

لائحة المصادر والمراجع:

المصدر:

- مستغانمي، أحلام (2013):**عابر سرير**، بيروت: مطبعة هاشيت أنطوان.

المراجع بالعربية:

- إدريس، عبد النور (2015): **التمثلات الثقافية للجسد الأنثوي: الرواية النسائية نموذجا**، الجزائر: منشورات دفاتر الاختلاف، الطبعة الأولى.
- بن السائح، الأخضر (2009): الرواية النسائية المغاربية والكتابة بشروط الجسد، مجلة **الخطاب**، ع. 4، تيزي وزو، الجزائر: منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري، ص. ص. 91-114.
- بوطيب، جمال (2008):**الاستعارة الجسدية: الذات والآخر في الرواية الجزائرية**، آسفي:مؤسسة التنوخي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.
- بيدوح، سمية (2010): **فلسفة الجسد**، بيروت، التنوير.
- الخوري، فؤاد إسحاق (1997):**إيديولوجيا الجسد-رموزية الطهارة والنجاسة**، بيروت: مطبعة دار الساقي، الطبعة الأولى.
- فعاليات منتدى الروائيين العرب (2005):**صورة المرأة في الرواية العربية**، تونس: دار سحر للنشر، الطبعة الأولى.
- كرام، زهور(2004): **السرد النسائي العربي: مقاربة في المفهوم والخطاب**، البيضاء: شركة النشر والتوزيع المدارس، الطبعة الأولى.
- الوكيل، سعيد (2004): **الجسد في الرواية العربية المعاصرة**، مجلة كتب نقدية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الطبعة الأولى.

المراجع بالفرنسية:

- Brohm, Jean-Marie (1991): «Construction du corps: quel corps ?», in : Catherine Garnier, Le corps rassemblé: pour une perspective interdisciplinaire et culturelle de la corporéilé, Montréal, Agence d'Arc.
- Thèses :

- Djenane, Okba (2010) : Le corps souffrant au regard de laphilosophie médicalechez Al-RAZI,Université Paris 8.
- Franck-Bernard MVE (2009) : La symbolique du corps dans l'œuvre romanesque d'Olympe Bhêly-Quenum, (Thèse pour l'obtention de Doctorat) U.F.R. de Lettres, Université Nancy 2.

مواقع إلكترونية:

- Nyberg,MalvinaLarholm : Nouveau roman ; nouveau regard sur l'homme, Genre et nouveau personnage dans Martereau de Nathalie Sarraute, Goteborg Univresitet, Franska, in : http : gupea.ub.gu.se/bitstream, le 16/11/2015, à 00h.

سردية (البطولة والمقاومة)
في مجموعة (تقاسيم الفلسطيني)
للروائية سناء شعلان

أ.م.د.حسنين غازي لطيف

قسم اللغة العربية

كليةالتربية /الجامعة المستنصرية

الملخص

لقد وقفنا في بحثنا هذا على مهيمنة ذات بعد أيديولوجي وهي سردية (البطولة والمقاومة) التي من خلالها استطاعت الروائية عبر قصصها في مجموعة (تقاسيم الفلسطيني) ان تسطر ملاحم المجاهد الفلسطيني العربي بكل أوصافه وملامحه التي استمدتها الروائية من انتمائها الى وطنها الأصلي(فلسطين)وقد شكلت (فلسطين)المحور الاساس، ليس لكونها مكانا أليفا أو معاديا ، بل لأنها تمثل الإرث العربي المسيحي والإسلامي، ولما لها من دلالات تاريخية ترتبط بالديانة النصرانية أو اليهودية ومن خلال البحث سنقف على بطولة المجاهد الفلسطيني التي تعددت أشكالها وتصاعدت وصولا للتضحية بالجسد والروح معا، واستطاعت الروائية ان تنأى عن وصف الوطن وتقترب إلى الاهتمام بوصف تقاسيم المجاهد الفلسطيني لكونه صوت الحق الذي لن تستطيع أن تخرسه دبابات الاحتلال الصهيوني ولا سياساته القمعية وباستمراره بالمقاومة فهو يعلن عن استمراره بالحياة.

Research Title:

Narrative (heroism and resistance) in a (Palestinian Nay) novelist Dr. Sana Shaalan

O.m.d.hassanan Ghazi lateef/ Department of Arabic Language / Klahalterpah / Mustansiriya University

Summary:

We stood in our research that the dominant dimension ideological, a narrative (heroism and resistance) from which managed novelist through her stories in a group (the Palestinian Nay) that written in terms finest epics Arab Palestinian Mujahid all descriptions and features that Astmdtha novelist of belonging to her native land (Palestine) was formed (Palestine) axis basis, not for being a pet place or hostile, but because it represents the Christian Arab and Islamic heritage, and because of its historical connotations associated with religion of Christianity, Judaism, and through research we will stand on the Palestinian Mujahid tournament varied forms and escalated down to sacrifice body and soul together and Matchireh indication of the title of the most prominent semiotics signals the importance of what we have chosen in the search has waived the novelist described the home to attention as the contours of the Palestinian Mujahid for being the voice of truth which can not be Takrsh Zionist occupation tanks and repressive policies.

O.m.d.hassanan Ghazi lateef/ Department of Arabic Language / Klahalterpah / Mustansiriya University

المقدمة:

حين تقرأ مجموعة **تقاسيم الفلسطيني** تجد أنها مجموعة قصصية ذات بنية روائية ، ذلك لأن البطل في أغلب قصص المجموعة هو **(المقاوم الفلسطيني)** أو يمكن أن نسميه بطل المقاومة حتى لو تنوعت أشكاله وتعددت صوره، ولو أزلت العناوين الفرعية، ودمجت القصص كلها تجد أنها سرديات لبطولة شعب كامل ، المقاومة هي كل ما يعنيه ، والفداء من أجل فلسطين هو غاياته السامية، ولا نستغرب ذلك من أديبة تحن إلى أصولها باستمرار فهي التي رضعت البارود مع حليب أمها واستنشقت دخان القذائف الصهيونية حالها كحال الكثيرات من الفلسطينيات اللواتي هجرن قسرا من وطنهن وذقن الحرمان والترمل والاعتقال والاغتصاب ، وسبب قولي هذا أن الروائية سبقت سرديات البطولة والمقاومة هذه بروايتها (أعشقني)[*] التي تعد وثيقة حقيقية لتاريخ مقاومة الشعوب ضد الظلم، وكانت بطلة الرواية (شمس) هي شمس المقاومة الساطعة في تحديها للظالمين.

واستمرارية لسرديات البطولة والمقاومة نجد هذه المجموعة التي تتفنن الروائية بكتابتها لدرجة أن قصة الومضة كانت الشغل الشاغل فيها وبارقات كسر التوقع التي تصعق بها القارئ في قفلة كل قصة تثير عشرات التساؤلات فمن أين أتت الروائية بكل هذه المعرفة بأساليب الحرب والقتال والكر والفر؟ واني لها هذا الواقع الذي ترسم صور الملاحم البطولية لشعب كامل الكل فيه مقاوم.

لقد منحت الروائية القارئ الأفق الرحب ليطلع على كل مسارات التحدي والإقدام والمقاومة عند هذا الشعب، وتجد في المجموعة قيم الطفولة المقاومة مغروسة عند أقل الصغار عمرا، وعند أكبر الرجال سنا، وكأن هذا الشعب بأكمله لا يعيش إلا ليقاوم ، وكأن حياته حين يموت شهيدا في الدفاع عن أرض فلسطين في أي بقعة منها لأيهم، فكل واحد منهم يحمل قيم المقاومة والبطولة وكأني حين أنظر إلى أبطال القصص أرى شخصا واحدا بطولي الملامح ، آثر على نفسه الموت من أجل أن تكون فلسطين حرة أبية وأن لا يدنس أرضها الصهاينة المستعمرون، فكيف والاحتلال يسرح ويمرح في كل أزقة فلسطين ويمنع الصلاة في بيت المقدس قبلة المسلمين الأولى، ويعتقل الشباب ويغتصب النساء ، كل هذا أمام مرأى ومسمع المجتمع العربي الأخرس الكسيح الذي أغشيت عيونه فلا يرى إلا ما تحت كرشه ، ولا يفكرون إلا بما تقتضيه المصلحة وليس العروبة ، والأغرب من ذلك أن أكثرهم يدّعون الإسلام ، أما المجتمع الدولي فهو الحائط الأصم الذي جعل من بني صهيون غولا يسيطر به

---

[*] رواية "أعشقني" د. سناء الشعلان ، دار ردمك ، الطبعة الثانية، 2014م.

مجلة المصدر The Source

على الشرق الأوسط ، فبئسا للمجتمعات العربية التي لا تستجيب لصرخة الفلسطينيات في المعتقلات وأعراضهن تنتهك ، وبئسا لملوك وحكام "هم كالأنعام بل هم أضل" ، إن لم يستجيبوا لنصرة المظلومين من أهلهم من الفلسطينين في سجون الاحتلال.

وما تضمه المجموعة من سرديات البطولة والمقاومة الشيء الكثير، وجدتها بأكملها عن سردية البطولة والمقاومة، وأنا اعلم أن الكثير من الكتب والبحوث كتبت عن أدب المقاومة وثورة الحجارة[1] وغير ذلك .

تتخصص الدراسة في سرديات البطولة والمقاومة، وتعني السرديان التي استثمرتها الروائية سناء شعلان ، للوصول بالقارئ العربي إلى فضاءات البطولة والمقاومة الفعلية الموجودة من واقع حقيقي معاش، فلم أجد في المجموعة خيالا جامحا، وإنما واقعا غير متخيل، جعل من الواقع لوحات لسردية البطولة والمقاومة .

وفي مجموعة (تقاسيم الفلسطيني) ننظر إلى سرديات المقاومة من وجهة نظر امرأة (الكاتبة)وليس رجلا، وهنا تكمن المفارقة فهي تعرف كل تفاصيل وتحركات وتكتيكات المقاوم وطرق التسلل وطرائق الاقتحام، ونصب الكمائن، وطرق المراوغة، وطرق التضحية بالنفس، وكسير كل توقعات المحتل الصهيوني الذي لا يستطيع أن يصدق أن الإنسان الفلسطيني يمكن ان يضحي بنفسه من أجل بلاده أنها بطولة جعلتها الروائية سناء شعلان سردية تفتتح بتا اغلب قصص المجموعة، الواحدة تلو الأخرى فليس المؤذن اقل شأنا من حفار القبور، وليست (إلام خضرة)اقل شأنا من طفلة الأرجوحة ، وهي شخصيات من قصص المجموعة فلكل منهم سرديته البطولية ومكانته الثابتة والمترسخة لدى الروائية ، وحتى الأبطال هم ليسوا أبطالا من عالم خيالي بل أناس عاديون يعيشون تحت خط الفقر المدقع والألم الفظيع لقد كانوا مستبسلين في اوطانهم وجراحهم تنزف من كل مكان ، وكأنها تعيش مع هذه الشخصيات عوالمها، فأعطت لكل شخصية عملها ودورها وما تتميز به عن بقية الشخصيات.

لقد اعتمدت المنهج الاستقرائي الفني في بحثي لأكون أكثر دقة في تحليل النصوص في المجموعة.

---

(1) من الكتب المهمة في هذا المجال كتاب الدكتور العراقي كريم حسن اللامي، انتفاضة الأقصى في الشعر العراقي المعاصر، دار النمير ، بغداد، الطبعة الأولى، 2004.وكتاب الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال 1948-1968، غسان كنفاني، وثقافة المقاومة في الآداب والفنون :أوراق مؤتمر فلاديفيا الدولي العاشر، تحرير ومراجعة صالح أبو إصبع ، وآخرون .

مجلة المصدر The Source

أشكال سردية البطولة والمقاومة :

يمثل عنوان العمل الأدبي بطاقة النص التعريفية ، وهويته[1] وتكرار العنوان(تقاسيم الفلسطيني) الرئيس في فصل من فصول المجموعة هو أن هذا العنوان قد تجاوز دلالته الفنية والجمالية لان له "وظيفة أيديولوجية، ووظيفة تسمية ، ووظيفة تعيين ، ووظيفة بصرية ، ووظيفة موضوعاتية، ووظيفة تأثيرية، ووظيفة إيحائية، ووظيفة اتساق وانسجام ، ووظيفة دلالية وأخرى سيميائية "[2].

لقد تمثلت سردية البطولة والمقاومة فيما أرادت الروائية سناء شعلان الفلسطينية الأصل[3] أن تجسده في مجموعتها ، لأني أجد الكاتبة تكتب مجموعة قصصية بأسلوب وتكتيك روائي وليس ذلك جهلا بآليات الكتابة السردية ولكنها محاولة ناجعة في جعل المجموعة القصصية ترقى إلى مستوى روائي حكائي أو بنائي، يقودنا هذا الكلام إلى أن "لكل محلل من محللي الخطاب أيديولوجيته الخاصة التي يسعى لتكريسها والدفاع عنها ــ بوعي أو غير وعي ــ بوساطة استخدام أدوات التحليل النقدي للخطاب ذاته . وهو ما يعني أن الشعارات النبيلة التي يرفعها ممارسوه مقيدة بانتماءاتهم الأيديولوجية"[4]. ولو عكسنا الأمر على المبدعين من الروائيين وليس النقاد لوجدنا أن الروائية سناء شعلان قد استثمرت كل ما في جعبتها من كراهية للإسرائيلين لتكون منها لوحات مرسومة على شكل قصص مكتوبة بدقة متناهية ، وصحيح أنه لا وجود لأدب أخلاقي وآخر لا أخلاقي فالمهم هو الجودة كما يقول (اوسكار وايلد) وأنا أقول له فما رأيك بأدب أخلاقي يحمل كل سمات الجودة ؟ لأن أدب المقاومة هو أدب أخلاقي بالمقام الأول، فالمهارة والحرفية التي تمتلكها الكاتبة في إيصال الإحساس بالظلم والإهانة من تواجد الإسرائيلين في أزقة وحواري فلسطين وإقامة الحواجز على الطرقات واعتقال من يريدون في ظل كل هذه الضغوط وتجد المقاوم الفلسطيني تتعدد أشكاله وتتنوع

---

(1) في نظرية العنوان، (مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية)، خالد حسين حسين ، ط1، دار التكوين ، دمشق ، 2007، 303.

(2) السيموطيقيا والعنونة، جميل حمداوي، مجلة عالم الفكر، وزارة الإعلام ، الكويت، مج، 25، ع3، 1997م، 100 .

(3) ومن الجدير بالذكر أن فلسطين أنجبت عددا كبيرا من الروائيات المبدعات كالدكتورة سحر خليفة وهي من نابلس مواليد 1941م، لها أكثر من رواية منها لم نعد جواري لكم 1974، والصبار1976، وعباد الشمس 1980، ومذكرات امرأة غير واقعية 1986، وباب الساحة 1990م، ينظر معجم الروائيين العرب، د.سمير روحي الفيصل، جروس برس، الطبعة الأولى ، لبنان، 1995م، 173.

(4) مناهج التحليل النقدي للخطاب ، تحرير روث فوداك ، ميشيل ماير ، ترجمة حسام احمد فرج وعزة شبل محمد، المركز القومي للترجمة ، ط1، 2014م، 10.

مجلة المصدر The Source

لدرجة انك تعجز عن إحصاء إشكال سردية البطولة والمقاومة ومن يقوم بها ، لكنه بالتحصيل النهائي يمثل شخصية واحدة هي شخصية (بطولة المقاومة الفلسطينية).وقد تكون شعلان تريد أن تزيد من أشكال المقاومة لتتناسب مع حجم المستعمر ليعلم العالم أن الفلسطينين مـــازالوا يقاومون، وأن الأمهات الفلسطينيات هن الأقدر على الإنجاب لتكون أرحامهن مصانع الأبطال المقاومين، فأحيانا تكون ملعقة الطعام أداة قتل باشطة بيد المقاوم لتكون حربة مغروسة فـــي عنق إسرائيلي لعين، وليس الإنسان أو المواطن الفلسطيني هو المقاوم الوحيد حتى أن الأشجار والنبات تمتلك سرديات للبطولة والمقاومة كما جعل منها عالم الروائيـــة، فأشـــجار الزيتـــون والبرتقال والرمان والعنب تحمل نفس الكراهية والحقد تجاه المستعمر:

"وحدها أشجار الزيتون والتين والبرتقال والرمان والعنب من تحفـــظ وجـــوه رجـــال العصابات الصهاينة وهم يتسللون عبرها قادمين من البعيد، حيث البـــرد والجليـــد والقـــسوة والرحيل، ووحدها من رأت الوجوه الآثمة الغريبة تمتد أيادي تقتل وتنهب وتغتصب وتخنـــق أنفاس الفلسطينين "[1]، ومن سرديات البطولة والمقاومة ما تجسده أشجار الزيتون والبرتقـــال والتين على جذورها من حفظ لأسماء الشهداء الأبرار، حتى لا ينسى على مر العصور ذكـــر هؤلاء الشهداء:

"العالم كله صفق طوعا وكرها للقتلة الصهاينة الغاصبين ، أما أشجار الزيتون والتـــين والبرتقال والرمان والعنب فقد نقشت على جذورها أسماء الشهداء الأبرار كي لا ينسى التاريخ جريمة اسمها اغتيال فلسطين"[2].

ومن سرديات البطولة والمقاومة ما تكسر به الروائية أفق التوقع لدى القارئ من عقـــد مقارنة بين صورتين من سرديات البطولة والمقاومة الأولى مؤلمة بائسة تتجلى فيها كل مآسي الشعب الفلسطيني ، حين تستشهد عائلة كاملة عند الإفطار بقذيفة صهيونية ولا تنجو إلا بنت واحدة ولكنها تنجو بلا أقدامها:

" قدماها استشهدتا في المعركة كما استشهد أهلها جميعا ، كانوا متحلقين علـــى طاولـــة خشبية قصيرة ينتظرون أذان المغرب كي يفطروا عندما التهمتهم قذيفة صهيونية "[3].

---

(1) مجموعة تقاسيم الفلسطيني، المملكة الأردنية الهاشمية، د.سناء شعلان، أمواج للطباعة والنشر، ط1 ، 2015م، 11.

(2) تقاسيم الفلسطيني، 11.

(3) تقاسيم الفلسطيني، 11.

أما الصورة الثانية التي أعدها مفرحة نوعا ما تتجسد في تضامن أصدقاء الفتاة عندما زاروها في المستشفى يوم العيد وكلهم يسيرون حفاة تضامنا معها ، هذا هو الشعب الفلسطيني في حقيقته ، الكل للواحد ، والواحد للجميع:

"شعر أصدقاؤها بالذنب وهم يختالون أمامها بأحذيتهم الجديدة ، وهي كسيرة الخاطر بلا قدمين.

في اليوم الثاني من العيد جاءوا جميعا لزيارتها حفاة الأقدام دون أحذية جديدة تختال بفخر في عيدها الحزين"[1].

وفي صورة أخرى من سرديات البطولة والمقاومة نجد حلم الفتاة الفلسطينية بالزواج وهي تنتظر أن تلبس ثوبها الأبيض ، تحلم باليوم الذي تدخل فيه بيت زوجها (الأسمر الوسيم) وعلى الرغم من رومانسية هذا الحلم وهو حق مشروع لأي فتاة في سن الزواج إلا أن الواقع يحوله إلى جحيم اسود فبعد اعتقالها واغتصابها من قبل الصهاينة مرارا وتكرار، تبخر هذا الحلم الجميل:

"ليست نادمة على ما فعلت ، ولكنها حزينة على هديتها لزوج المستقبل التي هدرها الجنود في المعتقل انتقاما منها ، لقد اغتصبوها مرارا وتكرارا كي يكسروا كبرياءها ، ويحرقوا اعتزازها بنفسها ، وينتقموا منها أبشع انتقام ، لكنهم زادوها نورا على نور، إلا أنها أيقنت أن أحلام الزوج والعرس وثوب الزفاف قد تبخرت للأبد على صفيح مستعر اسمه اغتصابها"[2].

استطاعت الشعلان أن تعكس دلالة فعل الاغتصاب السلبي إلى دلالة إيجابية فما أدى الاغتصاب إلى انتكاس الكرامة والشرف لدى الفتاة البريئة إطلاقا لقد عكست الروائية الصورة، فاصبح اغتصاب الفتاة سببا لطلب يدها من قبل العديد من شباب البلدة :

"خرجت من المعتقل دون حلمها وعذريتها ، ولكنها وجدت في انتظارها سبعة شبان فلسطينين قد قدوا من الريحان والنعناع يتنافسون على الزواج بها ظفرا بشرفها الذي لم ينتقص باغتصاب لئيم في معتقل صهيوني"[3]

(1) تقاسيم الفلسطيني، 12.

(2) تقاسيم الفلسطيني، 13.

(3) تقاسيم الفلسطيني، 14.

مجلة المصدر The Source

ومن سرديات البطولة والمقاومة ما فعلته (الأم خضرة) أم المعتقلين جميعا التي كانت تعرف كل صغيرة وكبيرة في حياة المعتقلين وقد نذرت نفسها من اجلهم ، تساعد كل معتقل فور دخوله المعتقل وتعتبر الأسرى أبناءها، وهي لا تفرق بين جنسياتهم كلهم لديها سواء:

"هي أم الأردني الذي ترك مدرسته، وجاء ليدافع عن فلسطين ، وهي أم الأسير العراقي الذي أقسم على أن يصلي في المسجد الأقصى بعد أن يتحرر بمشاركته، وهي أم الأسير اليمني الذي جاء يشارك في تحرير فلسطين إكراما لأخوال ابنه ، وهي أم الأسير الجزائري الذي اقسم على ان يجاهد حتى تحرير فلسطين كما جاهد والده وجده لتحرير بلادهم من المستعمر الفرنسي، وهي ام الأسير المصري الذي ترك عروسه ، وجاء ليدافع عنها لأنها عروسه الأجمل"[1].

وأجد في (الأم خضرة) وشخصية الروائية شعلان تشابها رهيبا فقد حملت الأولى هموم المعتقلين وحملت الأخيرة هموم الشعوب المحتلة والمأزومة فضلا عن تلاحمها الروحي مع قضيتها الأساس، فكم هو كبير هذا القلب الذي يحمل هموم شعوب يحتضر أبناؤها ويموتون تحت ذريعة الديمقراطية البائسة .

إن (إلام خضرة) لم يكفها الوقوف على احتياجات المعتقلين والأسرى ومتابعة قضاياهم مع المحامين ، بل كانت تكتب بنفسها لمعتقلين رسائل مزورة في حال تعذر وصول رسائل أهليهم إليهم ، وعدم إنجابها للأولاد لم يمنعها من أن تكون أما لجميع الأسرى والمعتقلين تجمع لهم المال من بعض التجار من أجل إعالة وإعانة كل معتقل بما تستطيع:

"أنها أم لجميع الأسرى، إنها (الأم خضرة) التي تقارع التجار والمتسوقين في السوق ، وترفض أن تساوم في أسعار بضائعها من الخضروات والفواكه، فأي نقص في مربحها يعني أن يقل مخصص احد أبنائها الأسرى من عونها"[2].

وفي سردية أخرى من سرديات البطولة والمقاومة في قصة (الأرجوحة) نجد الطفلة الفلسطينية التي تعبر الأسلاك الشائكة لتصل إلى الأرجوحة لتشارك طفلة أخرى اللعب بها، ولكن الصهاينة قطعوها بالفؤوس والسكاكين والخناجر:

"يقطعونها اربأ، ويحرقونها في مستعر النار عقابا لها لأنها طفلة فلسطينية بريئة حلمت بأن تلهو بأرجوحة لطفلة صهيونية حمراء البشرة ملعونة"[3].

---

(1) تقاسيم الفلسطيني، 16.

(2) تقاسيم الفلسطيني: 17.

(3) تقاسيم الفلسطيني، 17.

مجلة المصدر The Source

ومن المتفق عليه بين نقاد القصة" أن الشخصية الرئيسة في القصة القصيرة عندما تكون طفلا فإنها تطرح إشكالات فنية ، ويمكن أن تكون واحدا من مصادر المتعة الجمالية في هذا الفن الذي يتسع لمدى غير محدود من الإبداع"[1]، ولكن شعلان جعلت من طفلة الأرجوحة مشهدا واقعيا حزينا وهي مقطعة بفؤوس المستعمرين، بعيدا كل البعد عن المتعة التي تقدمها شخصية الأطفال.

وليس المؤذن في قصة (المؤذن)بأقل شأنا في تحديه فقد قدمت سردية البطولة والمقاومة لدى د.سناء الشعلان وهي سردية لمقاومة سلمية، حين أصر المؤذن على أداء الأذان في وقته لكنهم منعوه بإطلاق الرصاص على جسده وسحله في الشارع، ولكن روحه صممت أن ترفع الأذان في وقته، تحديا لهؤلاء المستعمرين والصورة لا تخلو من كسر المعقول والخروج إلى العجائبي:

"رصاصة صهيونية أردته قتيلا على بلاط المدينة القديمة على بعد خطوات من باب المسجد، سحله الجنود الصهاينة باستهتار إلى داخل مجنزرة مصفحة في إجراء تحفظي مجهول ، لكن روحه صممت على أن ترفع الأذان في وقته ، غادرت جسده على يسر وأسرعت إلى المئذنة ورفعت الأذان في وقته"[2].

وفي صورة من سرديات البطولة والمقاومة حين يعترض الطفل اليهودي (ليفي) على تصرفات والديه ومجموعة من المستعمرين الصهاينة من قتل وتقطيع المزارع العربي وزوجته وابنته، والأب المزارع يستمر في الدفاع عن ابنته وزوجته إلى أن يفصل احد القتلة اليهود رأسه عن جسده بضربة واحدة :

"لقد رآهم يفعلون ذلك بدم بارد وبمتعة، ودون سبب خلا الاستمتاع بتعذيب بشر عزل ، لقد شاهد كل شيء بأم عينيه ، ثم رآهم ينسحبون كالضباع الجبانة إلى أوكارهم في المدمرة"[3].

---

(1) مدارات الكون السردي، إعداد وتحرير ماجد الغرباوي، دار الروسم، 2015، بغداد شارع المتنبي، 37. والمقال بعنوان عندما يكون بطل القصة القصيرة طفلا ..فرج ياسين أنموذجا، للدكتور ثائر العذاري.

(2) تقاسيم الفلسطيني، 18.

(3) تقاسيم الفلسطيني، 18.

مجلة المصدر The Source

وعلى الرغم من كونه إسرائيليا إلا أن الطفولة مازالت هي التي تسكنه والبراءة فــلا يمكنه أن يشاهد بشرا عزلا يقتلون بهذا الشكل المروع ، ووالداه يبرران فعلتهم الخبيثة بــأن الفلسطينين هم الذين بدؤوا بالاعتداء على الاسرائليين في محرقة ألمانيا، هي الدعوى الكاذبــة لكن الطفولة تبقى هي الشموخ لدى(ليفي) الذي صمت متمنيا لوالديه الاحتراق فعلا:

"صمت الطفل ، وظل يحدق في وجه والديه المتوحشين ، ودعا الله في سره ان يرســل والديه المتوحشين إلى جحيم إي محرقة كانت"[1].

وفي سردية من سرديات البطولة والمقاومة ما يتجسد في قصة (فلسطيني) التي احتوت في اسطرها كل قيم البطولة والمقاومة فهذا الشاب الفلسطيني يتحمل أمورا لا تطاق ، مجبــر على احتمالها لأنه فلسطيني ليس لغير ذلك، عليه أن يتحمل الجوع والعطش والإهانة والقمع والتهجير

"لا يعرف تسويغا لعذابه إلا انه فلسطيني ، وهو صغير قالوا له إن وطنه قد سرق لأنه فلسطيني، عندما كبر قصف الشقاء زهرة شباب والده وهو يرزح تحت نير عذاباته ومطاردته للقمة عيشه وعيش أسرته لأنه فلسطيني، أخته الكبرى أكل الشلل قدمها اليمنى ، ولم تجد أسرته المال لعلاجها لأنها فلسطينية، عاش طوال عمره في مكعب حقير من الصفيح مصلوبا على قارعة الانتظار في جغرافية موحلة منتنة خلف حدود الوطن لأنه فلسطيني"[2].

كيف لشاب فلسطيني مثل هذا ان يعيش سعيدا ، وكثير مثله من الفلسطينين فقدوا أعز ما يملكون بسبب سياسات القمع والقهر والقتل والتشريد لتتوسع مستعمرات بني صهيون على حساب بيوت الفلسطينين، وما على الفلسطينين إلا الصمت والقبول :

" عندما كبر تعلم أن يحزن ، وان يجوع، وان يعرى، وان يرى تقتيل شعبه بأم عينيه لانه فلسطيني !تعود أن تزدحم ذاكرته بالشهداء والراحلين والمختفين والمبعدين والمعتقلين والغائبين مؤجلي العودة لأنه فلسطيني." [3].

---

(1) تقاسيم الفلسطيني19.

(2) تقاسيم الفلسطيني، 97.

(3) تقاسيم الفلسطيني، 97.

والغريب في الأمر أن هذا الفلسطيني لم يسلم حتى في ابسط مقومات العيش فقد صادرت السلطات الصهيونية (البسطة)التي يعتاش منها ، ولا يسمح له بالبكاء أو الصراخ لأنه فلسطيني :

"عندما غادره الحلم لم يأبه لرحيله لأنه فلسطيني ، وعندما أراد أن يبكي على استحياء لأن إدارة المخيم صادرت (البسطة) الصغيرة التي يمتلكها بحجة أنها تشوه الوجه الحضاري للمخيم غالب دموعه وزجرها خجلا من البكاء الذي لا يليق به لأنه فلسطيني"[1]

بناء الحدث في سردية البطولة والمقاومة:

إن الروائية د.سناء الشعلان اعتمدت في قصص مجموعة **تقاسيم الفلسطيني** بناء ارتكز على الشخصية أساسا لأن الشخصية الإبداعية للكاتب في القصة القصيرة لا ترتبط بالضرورة بالمكان، فالمكان أشهر من أن تشير له في نصوصها لان فلسطين كمكان دلالته "تتجاوز في النص الدلالة الحرفية"[2] كما يرى ميخائيل ريفاتير.

وليس خافيا قدرة الرواية على ابتلاع كم من الأجناس الأدبية على خلاف القصة القصيرة فالرواية تلتقط الأنغام المتباعدة والمتناظرة والمركبة بينما القصة القصيرة ترتكز على إيقاع موحد خلا بعض الاستثناءات وإيقاع هذه المجموعة واحد على الرغم من تشعب الحدث وتنوعه وهذا الإيقاع هو الخيط الذي يربط كل قصص المجموعة يبعضها البعض وهو سردية البطولة والمقاومة[3].

وبما أن اغلب الإعمال الأدبية مغامرة وعلى الأخص الرواية والقصة القصيرة والقصيرة جدا ، فالقارئ يبحث في وضوح عن حدث سريع لا توجد له تكهنات وإنما هو أشبه بمعادلة حين توضع فيها القيم تظهر النتائج على الفور، "وما يمكن أن يستحضره المتلقي القارئ عن المؤلف من بيئته وانتماءاته وكتاباته، لأنها حتما ستؤثر في النص المنتج"[4] . وإذا عرفنا أن النقطة المنطلقة من العين هي نقطة البدء في الاتصال بالفضاءات "فالعين تتحرك أولا قبل أن تلتحق بها الحواس الأخرى"[5] لذلك اعتمدت الروائية الدكتورة سناء الشعلان

---

(1) تقاسيم الفلسطيني، 97

(2) بلاغة المكان في قراءة في مكانية النص الشعري، فتحية كحلوش ، مؤسسة الانتشار العربي، ط1، 2007م، 63.

(3) ينظر بحوث في الرواية الجديدة ، ميشال بوتور، ترجمة :فريد انطونيوس، ط2، 1982، ص:19.

(4) عتبات النص ، باسمة درمش، مجلة علامات ج61، مج 16، مايو ، 2007، 74.

(5) شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية ، حسن نجمي ، المركز الثقافي العربي، ط1، 2000م، 109.

مجلة المصدر The Source

تقنية المشهد الدموي (إن صحت تسميته) ليكون أول ما تقع عليه عين القارئ بعد العنوان للقصة.

وأحداث قصص(تقاسيم الفلسطيني) تذكرني بأحداث رواية (مول فلاندرز)لـــ(دانيال ديفو) فهي مبنية على سلسلة من الأحداث القصيرة لا يتجاوز أطولها الصفحتين أو ثلاث إلا أن الفرق يظهر في أن الشخصية في (تقاسيم الفلسطيني) متنوعة مع تراكيب الحدث بينما الشخصية في (مول فلاندرز) فيها تطور حقيقي للشخصية واختلاف جنس العمل الأدبي قد يكون مسوغا واقعيا للشعلان[1] . وأجد أن مجموعة (تقاسيم الفلسطيني) يمكن أن تصنف على أنها مجموعة ذات بنية حدثية Episodic) [2] أكثر من كونها ذات بنية موضوعية لوجود الحدث بسطوع أكثر من سطوع بقية المكونات كالشخصية والمكان لأن ثيمة حدث البطولة والدفاع والاستشهاد من اجل فلسطين هو الشغل الشاغل للروائية وما أروعه من اختيار إذ يتصارع الظالم والمظلوم المحتل والمدافع والمتنفذ والمغلوب على أمره على مكان الكل يعده إرثا تاريخيا له ولأجداده وأولاده.

وقد تكون بعض أحداث قصص المجموعة متشابهة نوعا ما لكنها تختلف في دلالتها وقد يكون التشابه بين الأحداث ضروريا أحيانا وذلك لخلق عملية إبداعية متكاملة ، لان كل تضاد يشكل في نفس المتلقي رغبة ، أو شعورا له مضاد، وان كل شيء في العالم له ضد، وان بؤرة التضاد والتشابه تظهر حينما يجتمع الضدان على خط مسار الحدث القصصي في مسار واحد[3].

لقد تجاوزت الروائية د.سناء الشعلان في هذه المجموعة الكثير من الموضوعات مثل المال والجنس والمكانة الاجتماعية، ليحل محلها حدث متفرد هو الجهاد من اجل الوطن ولقد تفننت الروائية في إخراج مجموعة الأبطال المقاومين على صور وأشكال تتشابه في الجوهر وتختلف وتتباعد في المظهر، إنهم شخوص يشبهون شخوص بلزاك وستندال وثاكري ووجه التشابه يكمن في اقتناص الحياة اليومية والواقعية[4] إن شخوص الشعلان هم ليسوا أسطوريين

---

(1) ينظر مدخل لدراسة الرواية ، تأليف جيريمي هوثورن، ترجمة غازي درويش عطية ، مراجعة د.سلمان داود الواسطي، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة ، 1996م، 22.

(2) المصدر نفسه، 85.

(3) ينظر الفضاء الروائي في رباعية الخسوف ، إبراهيم الكوني أنموذجا، دار الروسم، طبعة الأولى ، 2015م، 41.

(4) عصر الرواية ، مقال في النوع الأدبي، د.محسن جاسم الموسوي، منشورات مكتبة التحرير، بغداد، العراق، 1985م، مطبعة الديواني، 15.

مجلة المصدر The Source

ولا أحداثهم خارقة بالمفهوم الواقعي لكن ما تجسده أفعالهم من تضحية بالنفس والمال والولد هو ما يجسد عظمة هذه الشخصيات وخلود هذه الشخصيات في الذاكرة الجمعية لمجتمع القراء، ومن المهم ذكره هنا أن "زاوية القص هنا هي عين كامرا فوتو غراف ولا تسعى إلى غير ذلك، وتكتفي بسرد ظاهر كيان النص دون الإيغال بتفاصيل غير مشهودة ، بل إن زاوية القص في القصة القصيرة جدا تقوم أيضا بإرجاع الدلالة إلى نسقها الأولي أو الأساس"[1] لان الروائية لا تشارك في الحدث بشخصها لكنها تضفي كراهيتها للمستعمر من خلال أفعال إبطالها تجاهه.

إن قصص المجموعة تحمل أحداثا لا تحتاج إلى خيال خصب لكنها تتسابق الى نهاية متسارعة وهذا لا يقلل من قيمتها الفنية بل إن شكل الجنس الأدبي ألزم الكاتبة بهذه الطريقة ولأهمية الحدث وجدناه هو المهيمنة الأساس في سردية البطولة والتحدي ومن أهم أحداث سرديات البطولة والمقاومة ما وجدناه في قصة (حليب سباع) حيث اختارت الروائية عنوانا قد لا تعرف معناه في مجتمعات أخرى كالعراق فعندنا يعني (الخمر السوقي الرخيص) لكنها أخذت الدلالة بما شاع لديها من استعمال لهذه المفردة فما تقصده هو حليب يمتلك من يرتشفه كل قيم الرجولة لأنه صادر من الحيوانات الضارية التي اجتمعت في لفظة (سباع):

"لم يشرب حليب سباع ليكون بمثل هذه الجرأة، بل شرب حليب النساء الفلسطينيات، لقد استشهدت أمه وهو رضيع ، فتولت نساء الحارة التي يسكن فيها أمر رعايته وغمره بحنانهن، وتقاسمن جميعا فرح إرضاعه وإروائه حتى شب قويا أنوفا يقول لكل نساء الحارة يا أمي"[2].

وعندما علق الجنود الصهاينة صورته وعدوه مطلوبا لأنه كان يصطادهم بقاذفة (الار بي جي) خاصته ، لقد تحداهم هذا المقوم وكان إصراره أكثر قوة من ظلمهم اذ كتب على صورهم كل الاسرائيلين مطلوبون له:

"في اليوم الثاني كانت هناك صور جديدة له وهو يحمل فيها مدفع (الار بي جي) قد الصقها على صور البارحة ، وكتب عليها باستهتار بعدوه واستفزاز له :"هذا الفدائي سوف يقتل الجيش الصهيوني كاملا ، وهم جميعا مطلوبون له"[3].

---

(1) البنية الخالصة ، 52.

(2) تقاسيم الفلسطيني، 25.

(3) تقاسيم الفلسطيني ، 26.

مجلة المصدر The Source

ويشغل الحدث حيزا كبيرا في سردية أخرى من سرديات البطولة والمقاومة في قصة (الوليد) فقد جاء مولود فلسطيني على الإسفلت بعد أن أغلق الجنود المعبر المؤدي إلى المستشفى لم يحتمل التأخير في رحم أمه ، لكن الجنود الصهاينة اجبروها ووليدها وزوجها على الخروج من السيارة والركوع على الأرض إذلالا لهما ، وحين رفض الزوج أردوه قتيلا:

"الجنود الصهاينة أخرجوها وزوجها من سيارة الأجرة التي يستقلانها للوصول إلى المستشفى ، واجبروهما على أن يركعا أرضا لإذلالهما ، هي تكومت بعجز على الأرض تكابد صعقات طلق تمزق لحمها، وزوجها رفض أن يركع إمامهم بذل ، فأردوه قتيلا بطلقات نارية خطفت شعلة الحياة من صدره"[1].

وما يشكل الصدمة في الحدث للقارئ أن أم الشهيد المقتول على المعبر حين أعيد إليها محمولا على الأكتاف لم تبك أو تولول بل تحزن عليه بل ودعته بابتسامة وفي الوقت ذاته بدأت تطعم الوليد ليكون هو الذي يأخذ الثأر عن مقتل أبيه من الجنود الصهاينة :

"عاد الأب والابن الوليد إلى بيت إلام الجدة محمولين على الأكتاف ، إلام الجدة غسلت ابنها ، وحملته في نعشه ليصار به إلى قبره الجنة ، لم تحزن عليه، ولم تودعه بدمعة ، بل ودعته بابتسامة تليق بأم الشهيد ، وانكفأت تحمم حفيدها الوليد وتطعمه ، وتصلح شأنه ، وتنتظر ليكبر كي يأخذ بثأر أبيه الشهيد الذي قتله الصهاينة في يوم مولده"[2] .

وفي حدث آخر لسردية من سرديات البطولة والمقاومة ما تشير إليه قصة الشهيد في بنائها ومضمونها ، على مستويين الأول:قيام أم رمزي بتربية (17) شابا وشابة من أبناء أقاربها من المعتقلين من إخوانها وأخواتها وأبناء وبنات عمومتها ، ليكونوا شبانا مقاتلين من اجل الدفاع عن فلسطين ورمزي هو ابنها الوحيد بينهم لكنها أعطت الجميع الحب والحنان والرعاية نفسها :

"فجميعهم أولاد أخواتها وإخوانها الذين ربتهم في غياب أب شهيد أو أخت معتقلة أو بيت هدمه الاحتلال الصهيوني، إلا (رمزي) فهو ابنها دما ولحما ورحما، فهو تذكارها النفيس من زوجها الحبيب الذي ابتلعه النضال الفلسطيني في لبنان"[3].

---

(1) تقاسيم الفلسطيني، 41.

(2) تقاسيم الفلسطيني ، 41.

(3) تقاسيم الفلسطيني، 47.

مجلة المصدر The Source

أما المستوى الثاني التراجيدي إذا صحت تسميته فهو إنكار أم رمزي لابنها رمزي وقد جلبه جنود الاحتلال في كيس بلاستيكي بعد أن نفذ عملية ناجعة ضدهم ، وكان المعتاد انه حين يستدل الجنود على منزل المقاوم ينسفوه على من فيه لكن أم رمزي لم تستطع أن تضحي ببقية الشبان الذين في حوزتها من اجل ابنها الوحيد لذا أنكرت معرفته بهذا الفدائي البطل حفاظا على الآخرين وهي في داخلها تتقطع ألما على حرمانها من احتضان أشلاء هذا الفدائي البطل:

"آخر بيت في الحي كان بيت عائلة رمزي عرضوه على أمه ، تحسست رحمها من فوق بطنها بلوعة ، وقالت للصهاينة بكبرياء لا يركع لدمعة أو صرخة فجيعة ، ولا يقبل أن يباد الجميع في لحظة صرخت من قلبها الدامي ، لم أره من قبل في حياتي ، لا اعرفه أبدا جميعنا هنا لا نعرف من يكون"[1].

ولا يختلف الحدث كثيرا في سردية البطولة والمقاومة في قصة (جدار) [2] لان الطفل الذي إصر على البقاء في مدرسته على الرغم من وجود الجدار العازل والجنود الصهاينة الذين يحولون بينه وبينها ، وهذه المرة أراد أن يرى مدرسته عن قرب من دون الاكتراث لما سيحصل له ، ويكون الجنود الصهاينة له بالمرصاد ليطلقوا عليه كلابهم التي تنقض عليه فيفارق الحياة:

"يطلق الجنود كلابهم المسعورة عليه لتنهش لحمه البض الطري دون رحمة ، تقطع الكلاب بأنيابها النجسة مزقا من لحمه، تغادره الحياة مسلولة من بين قطع لحمه المنثورة أرضا ، ويظل يحلم بأن يعبر بوابة الجدار العازل ليذهب إلى مدرسته التي يحبها"[3].

وفي قصة (تل الزعتر) يشق الحدث عالما متوحشا يسجل مأساة أهالي تل الزعتر الذين أبادتهم عصابات المستوطنين الصهاينة والجنود في سردية أخرى من سرديات (البطولة والمقاومة)حيث تفننت هذه العصابات في قتل وإبادة الفلسطينين ومن تبقى يموت عطشا وجوعا خشية نيران القناصة:

---

(1) تقاسيم الفلسطيني، 48.

(2)كتب الفيلسوف والأديب الفرنسي، جون بول سارتر سنة 2000م، قصة بعنوان (الجدار) مبنية على نمط التضاد، والطبقية، وهو نوع مميز غير شائع من السرد القصصي، وقد يتشابه العنوان مع قصة د.سناء الشعلان، لكن الجدار عندها يختلف اختلافا جذريا فلم يوضع الجدار بين إسرائيل وأزقة فلسطين وحسب لكنه أصبح إسفينا في قلب كل فلسطيني غيور على وطنه.

(3) تقاسيم الفلسطيني ، 49.

مجلة المصدر The Source

"ما عادت تبالي بصور الموت، تنتظره دون خوف ، لا تخشى أولئك الوحوش رجال العصابات، لقد أبادوا إمام عينيها أقارب وجيران وأصدقاء لا تستطيع أن تحصيهم عددا، كل ما تريده الآن هو أن تحصل على جرة ماء لإنقاذ أمها وأختيها من نزاع الموت عطشا"[1].

فتاة من بين العشرات من المحاصرين في (تل الزعتر) تبحث عن جرة ماء تروي عطش أمها وأخواتها، فآبار الماء غصت بدماء الشهداء من الفلسطينين، ويحول القناصة بينها وبين الحصول على هذه الجرة، لكنها تصر وتتقدم بقوة للوصول إلى الجرة وتحملها وتحاول الوصول بها إلى بيتها لكن قناصا ينتظر أن يفجع هذه الفتاة برصاصة حتى تسقط الجرة وتظل الفتاة جالسة قربها ترثيها كما ترثي شهيدا فلسطينيا:

"يقنصها قناص، فتستشهد جرة الماء، ويراق ماؤها على الأرض السخينة التي تبتلع الماء بظمأ وتحرق ، تسب القناص الذي صاد جرة الماء، ولم يصدها هي، تقعد على الأرض تبكي جرة الماء الشهيدة"[2].

ويشكل الحدث في سردية أخرى من سرديات البطولة والمقاومة ما نقرؤه في قصة دجاجة التي وضعت فيها الروائية د.سناء الشعلان مزحة مأساوية فالشاب الفلسطيني الذي كان يعيش كالدجاجة ليس له علاقة بالمقاومة أو العمل الجهادي لم يسلم من الاعتقال على يد الجنود الصهاينة ، ولكن بعد دخوله المعتقل والتعرف على إخوته المعتقلين واستقى منهم قيم الجهاد والبطولة لدرجة انه خرج يبحث عن أي عدو إسرائيلي ليقتله:

"خرج من المعتقل يبحث عن عدوه في الدروب ، كان يشعر بأنه الأقوى ، رفع رأسه لأول مرة في حياته ، ولم يعد يستسيغ الإطراق في الأرض كدجاجة، بل غدا ينظر نحو السوامق كنسر أصيل"[3].

وفي حدث مغاير تماما لما عهدناه في قصص المجموعة ما وجدناه في قصة "حلوة" سردية من سرديات البطولة والمقاومة بإيقاع رومانسي ترويه القصة عن لقاء فتاة فلسطينية متطوعة للجهاد وتحمل السلاح يقع في حبها شاب لبناني في مخيم (عين الحلوة) ويسميها الحلوة لجمالها الساحر ويقرران الزواج:

---

(1) تقاسيم الفلسطيني، 91.

(2) تقاسيم الفلسطيني، 92.

(3) تقاسيم الفلسطيني، 94.

"قرر أن يتزوجها ، ووافقت على الزواج به دون تردد ، كانت تسخر من لهجته الناعمة الرقيقة ، لكنها كانت ترى صلابة الرجال الأقوياء خلف هذه الرقة الظاهرية المراوغة، كانت تسخر علنا من عشقه لها"[1] .

والمفارقة في هذا الحدث أن الفتاة لم تلتزم باتفاق الزواج والتحقت بصفوف إخوتها المقاومين من دون علم الشاب اللبناني، مما دفعه إلى اللحاق بها للنضال المسلح لأنه لا يحتمل فراقها فتبخر الحلم بالزواج لتحقيق الحلم الأكبر هو النضال المسلح دفاعا عن فلسطين:

"لكنها غدرت به، وتركته لتلحق صوت الواجب، لقد انتقلت للنضال المسلح في فلسطين.لم يتألم من ابتعادها عنه، فهو يعلم أنها أسيرة عشق اكبر ، حمل سلاحه، وقرر أن يلحق بها، فهو مصمم على أن ينجب منها طفلا شجاعا وعنيدا"[2]

الخاتمة:

إن النتاج الأدبي للروائية الدكتورة سناء شعلان بحر زاخر بالمعاني والتأويلات ، ولا يمكننا الإحاطة به كليا ، وأن ما وقفنا عليه في هذا البحث عن سردية البطولة والمقاومة هو محاولة لسبر أغوار النص لديها ، وعلى حد علمنا أن الكثير من الكتابات النقدية والتأويلية والمقالات والبحوث تكتب عن أدب هذه الروائية ، لكن السؤال هو كم من هذا المكتوب يصل إلى شغاف قلب النص لديها؟ ، أجد أن بعض المكتوب يدور في ما حول النص ولا يتجرأ التحرش بخبايا وكبرياء النص المدفونة تحت أسوار الكلمات فكلما رفعت حجرا عن رواية أو مجموعة قصصية أجد كنزا إبداعيا بما تعنيه كلمة الكنز من الجانب المعنوي لا المادي السمج، والكتابة في مجموعة (تقاسيم الفلسطيني)هي غرف من بحر، فلم أجد لديها اضمحلالا للمفردة ولا انحسارا للمعاني ، ولكن ما طغى على المجموعة سردية البطولة والمقاومة وكراهية لا تحتملها نصوص الكتابة لمن سلبوا العرض والدين والوطن من الصهاينة الذين "لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة" .

(1) تقاسيم الفلسطيني، 96.

(2) تقاسيم الفلسطيني، 96.

المصادر والمراجع:

1- بحوث في الرواية الجديدة ، ميشال بوتور، ترجمة :فريد انطونيوس، ط2، 1982م.

2- بلاغة المكان في قراءة في مكانية النص الشعري، فتحية كحلوش ، مؤسسة الانتشار العربي، ط1، 2007م.

3- عتبات النص ، باسمة درمش، مجلة علامات ج61، مج 16، مايو ، 2007م.

4- عصر الرواية ، مقال في النوع الأدبي، د.محسن جاسم الموسوي، منشورات مكتبة التحرير، بغداد، العراق، مطبعة الديواني، 1985م.

5- الفضاء الروائي في رباعية الخسوف ، إبراهيم الكوني أنموذجا، دار الروسم، طبعة الأولى ، 2015م.

6- في نظرية العنوان، (مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية)، خالد حسين حسين ، ط1، دار التكوين ، دمشق ، 2007.

7- السيموطيقيا والعنونة، جميل حمداوي، مجلة عالم الفكر، وزارة الإعلام ، الكويت، مج، 25، ع3، 1997م.

8- شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية ، حسن نجمي ، المركز الثقافي العربي، ط1، 2000م، 109.

9- مجموعة تقاسيم الفلسطيني، المملكة الأردنية الهاشمية، د.سناء شعلان، أمواج للطباعة والنشر، ط1 ، 2015م، 11.

10- مدارات الكون السردي، إعداد وتحرير ماجد الغرباوي ، دار الروسم، بغداد شارع المتنبي، 2015م.

11- مدخل لدراسة الرواية ، تأليف جيريمي هوثورن، ترجمة غازي درويش عطية ، مراجعة د.سلمان داود الواسطي، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة ، 1996م، 22.

12- معجم الروائيين العرب، د. سمير روحي الفيصل، جروس برس، الطبعة الأولى ، لبنان، 1995م.

مكونات البنية السردية
في قصص الأطفال

د. سوسن البياتي

جامعة تكريت/كلية الاداب

الملخص:

تتشكل المنظومة السردية من أركان ثلاثة مهمة حددها ياكبسون بـــ:

المرسل والرسالة والمرسل إليه.

وهي التي تم تحويلها فيما بعد إلى :

الراوي والمروي والمروي له

وأية عملية سردية لا يمكن لها أن تخرج إلى العالم المقروء بصورتها النهائية بدون هذه الإرسالية؛ ذلك أن الخطاب السردي خطاب موجه إلى الآخر، ولكي تتم هذه العملية لابـــد أن يكون هناك من يعمل على إرسال هذا الخطاب، وهناك مـــن يـــستقبله، وقـــد اتفـــق النقـــاد والمنظرون على تسمية المرسل بالراوي أو السارد أو الحاكي، وتسمية المستقبل بالمروي له أو المتلقي، إيمانا منا بأن العمل الأدبي لا يمكن له أن ينوجد دون هذه الأركان الثلاثة .

ستحاول هذه الدراسة أن تنطلق من مستوى خطابي يرى في النص منتجا تنتج الذاكرة الأدبية لتتم إرساليته عبر متوازيات واليات استقبالية من قبل المتلقي الذي يقف فـــي الطـــرف المقابل والذي يعد مستهلكا لهذا النص – أيا كان شكل هذا المتلقي ووظيفته– ، لتتم الإجابـــة عنها من خلال نصوص قصصية كتبت خصيصا للأطفال بوصـــفهم المنـــتج الفعلـــي لهـــا ، ودراستنا لها إلا من باب كوننا مستهلكين لها على نحو آخر وهو استهلاك ثقافي / نقدي ينظر إلى المنتج الأدبي على انه مادة قابلة للاشتعال النقدي.

الملخص بالانكليزية

The narrative structure

of the components in the children's stories.

Dr.. Sawsan al-Bayati

Tikrit University / Faculty of Arts

Summary:

Shaped the narrative of the pillars of the system are three important Aakpson defined by:

The message sender and the addressee.

He converted later to:

The narrator irrigated and irrigated him

And any narrative process can not be for her to go out to the reading world final form without the consignment; so that the narrative discourse speech addressed to the other, and for this process to take place, there must be working on sending this letter, and there are those who receive him, and critics agreed and theorists label sender narrator or narrator or the gramophone, and the designation of the future Palmroa him or receiver, because we believe that the literary work can not be him that comes into being without these three pillars

Try this study that runs from the level of my speech see in the text a product produced literary memory to be his mission through parallels Prospective and mechanisms by the receiver who stands at the opposite end , which is a consumer of this text - whatever the form of this receiver and Ozivth- , to be answered through narrative texts written specifically for children as the actual product it, and study it , but as a matter of fact that we consumers have another way a cultural consumption / cash literary product is seen as a viable cash -flammable material.

المقدمة

احتلت قصص الأطفال في ذاكرتنا أهمية استثنائية خاصة، تعود بنا هذه الذاكرة إلى عمق ذلك الماضي الذي تم فيه تصفح الكثير من هذه القصص التي مازالت عالقة في الذاكرة، ترسخت عبر قنوات عدة، ولعل ما تابعناه في الماضي من صور وأحداث وقصص خيالية بشغف قلَّ نظيره كان له أثره في هذا التوجه الذي حرصنا أن يكون بعمق ما بقى في الذاكرة من شغف وحب واستطلاع ، وربما علينا الاعتراف بأننا مازلنا نتابع تلك الحكايات التي كانت ومازالت تعرض من على شاشة التلفاز بالشغف نفسه ، أو نقرأ ما تقع عليه أيدينا .

ومع هذا الاهتمام والحرص فقد حرصنا أن تتوجه دراستنا هذه إلى إبراز المقومات السردية التي تضافرت في بناء نص سردي يحتم طابعا قرائيا خاصا ، فقصص الأطفال في مضمونها ودلالاتها السردية تختلف عن تلك النصوص التي تكتب لشريحة تختلف عن الشريحة التي تتوجه إليها هذه القصص، وإن بدت في نظرنا أكثر اهتماما واستزادة وقراءة .

فإذا كانت الشريحة التي تتوجه إليها قصص الأطفال هم الأطفال أنفسهم ، فأن هذا لا يعني أنها لا تستحوذ على اهتمام الكبار والمثقفين منهم خاصة ، بل أن اغلب كتّاب هذا النوع من القصص هم الكبار أنفسهم.

ولعلنا في دراستنا هذه انطلقنا من أسباب فنية تتعلق بدراسة هذه القصص دراسة سردية، تعود بنا لأسباب عدة منها: حرصنا أن تنال هذه القصص نصيبها من الدراسات السردية أولا، ثم أننا بحثنا طويلا في المكتبة السردية لهذا النوع من الدراسة فلم نعثر على دراسة خاصة بالبناء السردي لقصص الأطفال، من هنا انطلقنا في هذا التحديد القرائي ، لتكون – على حد علمنا – الدراسة الأولى التي تحيل على الربط القسري بين الدراسة السردية وقصص الأطفال، ذلك أن هذه القصص تمثل في نظرنا قصص متكاملة من الناحية الفنية، وأن مقومات النظرية السردية متكاملة فيها، لذا مضت هذه الدراسة في قراءتها إلى تقسيم مباحث الدراسة على النحو الآتي:

1- **الراوي بين الحضور والغياب.**

2- **المروي: صراع الحكاية والرمز.**

3- **المروي له: الرضوخ لمتطلبات السرد.**

مجلة المصدر The Source

إذ لا يمكن للنصوص السردية أن تستغني عن هذه المكونات وإذا كان الفصل بين مكون وآخر حتمي فهو فصل لدواعي الدراسة فحسب.

- الراوي بين الحضور والغياب.

تتشكل المنظومة السردية من أركان ثلاثة مهمة حددها ياكبسون بـــ:

المرسل والرسالة والمرسل إليه[1].

وهي التي تم تحويلها فيما بعد إلى :

الراوي والمروي والمروي له

وأية عملية سردية لا يمكن لها أن تخرج إلى العالم المقروء بصورتها النهائية بدون هذه الإرسالية؛ ذلك أن الخطاب السردي خطاب موجه إلى الآخر، ولكي تتم هذه العملية لابـــد أن يكون هناك من يعمل على إرسال هذا الخطاب، وهناك مـــن يـــستقبله، وقـــد اتفـــق النقـــاد والمنظرون على تسمية المرسل بالراوي أو السارد أو الحاكي، وتسمية المستقبل بالمروي له أو المتلقي، إيمانا منا بأن العمل الأدبي لا يمكن له أن يتوحد دون هذه الأركان الثلاثة .

ولعل الإشارات السردية ركزت على الإجابة على العديد من الأسئلة التي تم طرحها من قبيل :

- من هو المتكلم ؟
- ما الموقع الذي يحتله ؟
- ما هي الأساليب التي يستخدمها في نقل مرويه ؟
- ما هي المسافة التي يضعها بين المتلقي وبين الأحداث التي يرويها ؟
- ما هي علاقته بالآخر / المتلقي ؟ [2].

إذ انطلق فردمان في أسئلته هذه من آراء سابقيه– باستثناء السؤال الأخير– وحاول أن يقدم تصورا جديدا يكوّن حجر الزاوية للعلاقة بين الراوي وبين ما يرويه، وعلاقته بالمروي له، وقد تحددت هذه العلاقة من خلال معرفة الراوي ومن يكون من جهة، وعلاقته بـــالمروي وحضوره فيه من جهة أخرى .

---

(1) ينظر : قضايا شعرية ، 27 .

(2) ينظر: المتخيل السردي– مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة ، 63.

مجلة المصدر The Source

إن الراوي عنصر سردي يعمل داخل النص لا خارجه ، وهو وإن كان عنصرا سرديا إلا انه يختلف عن العناصر أخرى إذ لا يمكن (وضعه على مستوى التعادل الوظيفي مع بقية العناصر المكونة لهذا العمل .) [1].

ولهذا العنصر علاقة بعنصر آخر يقابله في الطرف الثاني أو حسب ما أسماه تودوروف بالمرافق وهو المروي له أو المسرود له الذي يشكل الخط الفاصل بين المروي والقارئ الحقيقي، فالمروي له (يمثل محطة بين السارد والقارئ.) [2].

وسنحاول في دراستنا هذه فصل هذه الأركان بعضها عن البعض الآخر، إيمانا منا بأن لكل ركن خصوصية تميزه عن الآخر .

فالراوي هو (الشخص الذي يروي الحكاية، أو يُخبر عنها سواء كانت حقيقة أم متخيلة)[3]، وهو (الصوت غير المسموع الذي يقوم بتقديم مادة الرواية إلى المتلقي، فعلاقته بالقصة تتجلى في الموقف الذي يتخذه من مادتها، أو بالأحرى، من أحداثها وأشخاصها ومن علاقات الاثنين معا.) [4].

وقد أشارت يمنى العيد إلى أن الراوي هو الكاتب وقد(دخل – هذا الأخير– في علاقة مع ما يروي. وعندما يدخل الكاتب في علاقة مع ما يروي يصبح محكوما بهذه العلاقة، ومحمولا على النظر في شروطها. تنهض المسافة بين الراوي والكاتب في حدود اللعبة الفنية التي هي ممارسة كتابة عمل روائي.) [5].

وتكمن أهمية الراوي في انه لا يمكن نقل الأحداث إلى القارئ بدون وسيط ، وهذا الوسيط هو الراوي الذي سيستغل فرصة دوره في الخطاب السردي ليمارس هويته السردية ويشخصها، فالمؤلف الذي هو كاتب النص يقبع خارجه، فهو بتعبير المنظرين شخص من لحم ودم، أما الراوي فهو كائن متخيل، مصنوع من ورق – على حد تعبير رولان بارت – لذا فان له دورا أساسيا يكمن في انه (البديل الذي ينوب عن المؤلف في سرد الحدث حتى النهاية، الناقل لرؤية الكاتب الفنية والفكرية، وأسلوب الصياغة، أو بنية من بنيات النص، وهو الذي يحدد الأسلوب المتبع في عرض مادة القصة.)[6].

---

(1) تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي ، 117 .
(2) الشعرية ، 58 .
(3) السردية العربية ، 11 .
(4) البنية والدلالة في روايات إسماعيل فهد إسماعيل ، 117 .
(5) تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي ، 122 .
(6) الراوي في الرواية الأردنية بين جيلين ، 22 .

وقد أشار المنظرون إلى الخلط الحاصل بين مصطلح الراوي أو السارد وبين المؤلف، واتفقت الآراء كلها على أن المؤلف هو صانع العمل الإبداعي أي كاتبه، لذا فموقعه خارج هذا العمل وقد اكتمل وتخلى عن سلطته الكتابية محتفظا بحقه فيها من ناحية إدراج اسمه على النص المنسوب إليه، ولكي يصل هذا العمل إلى يد القارئ لابد من أن يفوض أحدا ما داخل العمل لا خارجه على إيصاله، لذا فهو (عندما يقص لا يتكلم بصوته، ولكنه يفرض راويا تخيليا يأخذ على عاتقه عملية القص، ويتوجه إلى مستمع تخيلي أيضا، يقابله في هذا العالم، فالروائي يتقمص شخصية تخيلية تتولى عملية القص وسميت هذه الشخصية بـ " الأنا الثانية للكاتب".) [1].

ومن هنا تبرز الثنائيات المتضادة في عملية الإرسال هذه فهناك:

- مؤلف يقابله القارئ الحقيقي. ويقعان خارج النص .
- مؤلف ضمني يقابله قارئ ضمني. يقعان داخل النص إلا أنهما يضعان مسافة بين المؤلف الحقيقي والراوي من جهة وبين القارئ الحقيقي والمروي له من جهة أخرى.
- الراوي ويقابله مروي له. ويقعان داخل النص .

وبغية تحديد الأنماط الرئيسة التي تتشكل منها المنظومة السردية في قصص الأطفال سنركز في دراستنا على أنواع الراوي الذي سيظهر على وفق التقسيمات التي حددها جان بويون وأشار إليها الكثير من المنظرين السردين وإن اختلفت التسميات عندهم :

- الراوي العليم :

ينهض هذا النوع من الرواة على وجود مسافة سردية بينه وبين ما يروي، فهو لا يظهر إلى الساحة، ولا أثر لوجوده إلا من خلال فعل الحكي الذي يظهر بصيغة ضمير الغائب، له معرفة دقيقة بكل التفاصيل ومجريات الحدث القصصي، كما انه على علم بأفكار الشخصية القصصية الذهنية وتصرفاتها وسلوكها الخارجي، ويكون هذا النوع غير ممسرح، له رؤية خارجية، يدرك ما عليه من مهام، فهو راو ناقل للأحداث وشاهد عليها إلا انه غير مشارك فيها .

---

(1) بناء الرواية – دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ ، 131 .

مجلة المصدر The Source

وقصص الأطفال – من دون استثناء– تسير على هذا الخط السردي، فالراوي فيها كلي العلم، يستخدم منظورا واسعا لطرح الحدث، وإبراز السمات الداخلية والخارجية للشخصيات والبحث عن الفضاء المكاني والزماني، فهو يقف على بُعد مسافة من العناصر السردية الأخرى، ولا يخرج عن القوانين السردية المتاحة له إلا في نطاق ضيق .

ونظرا لهيمنة الراوي العليم على قصص الأطفال جميعا هيمنة واضحة، فإننا سنحاول أن نركز على البعض منها لاسيما تلك التي تتخذ الأسلوب القصصي المغاير في ظهور الراوي بصورة تلقائية أو مفاجئة .

يؤدي الراوي دوره في سرد الأحداث، إذ يعد السرد من ابرز الوظائف التي يقوم بها وربما أهمها إذ إن (أول أسباب وجود الراوي سرده للحكاية .) [1].

ففي قصة " **أطفال الغابة** " يحرص الراوي على التواجد الفعلي في النص من خلال هيمنته الحكائية، فهو غير موجود كشخصية مشاركة في الحدث، بل يقتصر وجوده على السرد الحكائي، إذ يقول :

(وفي يوم من الأيام كانت عمتهم الشريرة – التي أخذتهم وتركتهم في الغابة– تطل من نافذة في القصر الملكي، فرأت في حديقة المنزل المقابل للقصر شابين جميلي الصورة، ومعهما فتاة اصغر منهما .

فنظرت العمة نظرة شديدة، ثم أعادت النظر مرارا حتى تحققت من شخصيتهم، وعرفتهم معرفة تامة، فما زال عند كل منهم نجمة بين حاجبيه، وهي علامة تدل على أنهم من الأسرة المالكة. ثم قالت لنفسها: لاشك أن هؤلاء هم أولاد أخي، وقد ظننت أن الحيوانات المفترسة في الغابة قد أكلتهم، وانتهت منهم منذ سنوات مضت. هذان هما الأميران، وهذه أختهما الأميرة من غير شك.)[2].

إن قراءة فاحصة لهذا النص، سيكشف عن دور الراوي في سرد الأحداث، فهو يعلم بكل ما يتعلق بشخصيات هذه القصة، وما تعرضت له من جراء مكر وخبث العمة وحقدها، إذ انه يشكل عين الكاميرا التي تترصد كل شيء، إذ انه لا يترك لشخصياته حرية تفسير الأحداث والبحث عن الأسباب التي أدت إلى ذلك، بل انه لا يتوانى جهدا في أن يظهر للمتلقي الأحداث كلها وإن جاءت على شكل دفعات، فضلا عن انه يغوص في دواخل الشخصية

---

(1) مدخل إلى نظرية القصة ، 108 .

(2) أطفال الغابة ، 17–18 .

مجلة المصدر The Source

وينقل لنا ما تفكر به كما هو الحال مع العمة التي رأت أبناء أخيها وتعرفت عليهم، ولعل قوله" **قالت لنفسها**" أوضح دليل على تدخله السافر في دواخل الشخصيات وطريقة تفكيرها .

ويبقى الراوي مهيمنا وطاغيا في كل فعل وقول ينقله للمروي له ويستقل به، وصولا إلى خاتمة الحدث القصصي الذي ينهيها بصورة تتم على معرفته بجوهر الحدث والمصير الذي آلت إليه الشخصيات ولاسيما عمتهم التي نالت جزاءها العادل جراء ما فعلته مع الأمراء عندما كانوا صغارا وأبعدتهم عن أبيهم الملك.

إن الراوي هنا كلي العلم، ممسرح، يمتلك رؤية خارجية تهيئ له إمكانية نقل الحدث برمته من دون خلل أو قطع أو تلكؤ طالما انه متمكن من أدواته السردية .

في قصة " **عقلة الإصبع** " لا يختلف الراوي عن سابقه، فهو راو عليم من الدرجة الأولى، وعلمه هذا يخوله القيام بالوظيفة السردية التي تعد من ابرز الوظائف التي يمارسها الراوي، برؤية خارجية، ومعرفة دقيقة بمجريات الأمور والأحداث المتعلقة بالشخصيات وطريقة تفكيرها[1].

في قصة " **المغامر الجريء** " يترصد الراوي الشخصية، ويكشف لنا عن تحركاتها وأفكارها، إذ يقول:

(فدخل الغرفة الأولى، فوجد فيها موقدا كبيرا فوقه قدر تغلى ولا نار في الموقد فقال: ما هذا ؟ إن في الأمر لسرا! فجزَّ خصلة من شعره وغمسها في السائل الذي في القدر وأخرجها، فإذا هي قد استحالت إلى لون النحاس، ثم دخل الغرفة الثانية، فرأى فيها ما رآه في الأولى من موقد كبير، وقدر فوقه يغلى السائل فيها غليانا، ولا نار تحتها

...

فضحك وقال: من يدري لعل السائل في قدر الغرفة الرابعة، يكون من عصير الألماس، فدخلها ووقف عند عتبة الباب مبهوتا، فقد وقعت عينه فيها على فتاة رائعة الجمال، نظرت إليه في شفقة وأسف وقالت له: ...) [2].

إن المنظور السردي الذي ينطلق منه الراوي هو الذي يحدد درجة معرفته بالأحداث التي تجري للشخصيات، وتفاعله مع الحدث يأتي في سياق سردي يحتم عليه اظهر انطباعاته الشخصية التي قد يتوهم القارئ في وصفها وعدها انطباعات الشخصية، إن التعليقات السردية

---

(1) ينظر : عقلة الإصبع .

(2) المغامر الجريء ، 10-11 .

مجلة المصدر The Source

التي تظهر بين حين وآخر ولاسيما في المقاطع الحوارية تكشف وبصورة واضحة عن تدخلات الراوي، وهو يحاول الظهور بكل قوة، فهو لا يمنح الشخصيات فرصة التعبير عن ذاتها إلا ما ندر، وإذا ما ترك لها ذلك فانه سيحاول أن يكون هو من يمسك زمام المبادرة، ولعل في قوله: **فضحك وقال / وقالت له** خير دليل على ما نقول، إذ انه ينقل لنا أفكار الشخصية وحواراتها ولا يدع الشخصية تدخل المشهد السردي وتتصرف بحرية .

فالراوي هنا كلي العلم، ذو معرفة عميقة بالأحداث التي ينقلها برؤيته الخارجية، إلا انه غير ممسرح طالما انه يتحدث بصيغة الغائب .

في قصة " **الليمون العجيب** " يقول الراوي:

(فلما غاب الأمير وراء الأفق، ظن الملك المسكين أن حشاشته هي التي غابت عن ناظريه، فاعتمد رأسه بكفيه وأجهش بالبكاء، لا بكاء طفل من الأطفال، بل بكاء والد على ولده... إن دموع الطفل هي مثل مطر الصيف، ينهمر قطرات كبيرة ولكن لاتبلل، في حين أن دموع الوالد هي مثل مطر الخريف، ينهمر في هدوء ولكنه لايجف...) [1].

إذا كان السرد ابرز الوظائف التي يقوم بها الراوي، فإن ثمة وظيفة أخرى يكشف عنها هذا النص، وهي الوظيفة الأيديولوجية حينما يتم الكشف عن الرؤية الفكرية للراوي تجاه ما يحدث، وفلسفته في الحياة، ففي قوله: **إن دموع الطفل هي مثل مطر الصيف، ينهمر قطرات كبيرة ولكن لا تبلل، في حين أن دموع الوالد هي مثل مطر الخريف، ينهمر في هدوء ولكنه لا يجف**، نظرة عميقة للأشياء التي يدركها الراوي ويستوعبها من خلال الأفعال والسلوك التي تقوم بها الشخصيات، هذه الوظيفة تؤطر الحدث لكنها لا تستمر، إذ سرعان ما يترك الراوي ساحة القصر ودموع الملك لرحيل ابنه الأمير عنه بحثا عن عروس، ليترصد الأحداث التي تجري للأمير، وكيف يعثر على ضالته وما سيجري له ولها بعد ذلك من مكائد بسبب الجارية القبيحة التي تعمل على احتلال موقع الفتاة بعد سحرها إلى حمامة بيضاء، ورفض الوالد زواج ابنه من هذه الفتاة القبيحة ومحاولة وزيره إقناعه بالقبول ليختتم النهاية بانكشاف الحقيقة، وكل هذا يتم نقله من منظور راوٍ عليم بدقائق الأمور والخفايا من دون السماح لأية جهة أخرى بالتسلط الحكائي إلا فيما ندر واستوجب الحدث ذلك، فانه يتخلى عن هذه السلطة مع بقائه ممسكا بزمام الأمور من خلال التعليقات وما شابه ذلك.

---

(1) الليمون العجيب ، 8 .

مجلة المصدر The Source

وقبل أن نختتم رؤيتنا لهذا النمط من الرواة سنحاول التركيز على الدور الذي يقوم بـــه الراوي في بداية القصة أي استهلالها، وخاتمتها، لأهميتهما في إظهار الراوي ودرجة معرفته بالأحداث والشخصيات والمصير الذي ستؤول إليه .

إذ يكشف الاستهلال القصصي عن أن الراوي الذي يروي الحكاية إنما ينتمي إلى هـــذا النمط من الرواة – من دون استثناءات – فالراوي كلي العلم، لـــه معرفـــة دقيقـــة بتفاصـــيل الأحداث، ذو رؤية خارجية، يستهل الأحداث القصصية دوما وعلى الأغلب بذكر الشخصيات القصصية والفضاء القصصي، وتنقسم الشخصيات في منظوره السردي اعتمادا على الفـــضاء الذي تعيشه على قسمين:

1- الفضاء الملكي، وتكون شخصياته من العائلة المالكة، الملك والملكة والأمراء، ونجد ذلك في القصص: **أطفال الغابة/ البجعات المتوحشات/ الأميـــرة الحـــسناء/الملـــك عادل/ البلبل/ الجميلة النائمة/عروس البحر/ الأخوات الثلاث/السلطان المسحور.**

2- فضاء الشخصيات العادية، إلى هذا الفضاء تنتمي اغلب الشخصيات، وهي قد تكون إما عائلة فقيرة تعيش في كوخ فقير كما هو الحال في القصص: **الأميرة والثعبان/ عقلة الإصبع/ قصير الذيل/في جزيرة النور/** أو تنتمي إلى شخصيات عادية مـــن العظماء والتجار والرعاة والجنود لا تمت إلى الشخصيات الأولى بنسب أو صـــلة كما هو الحال في القصص: **سندريلا/ القداحة العجيبة/الرفيق المجهـــول/الأنـــف العجيب/ البنت والأسد/المغامر الجريء/ الفارة البيضاء/ جبل العجائب/ أليس في بلاد العجائب/ الراعي الشجاع .**

إن الراوي هنا يعمل على تقوية الصلة بينه وبين القارئ من خلال فعل الإغراء الـــذي يشد المتلقي إليه، فالاستهلال القصصي يعد المفتاح الرئيس للدخول إلى عتبـــة الـــنص بعـــد العنوان، وكلما كان الراوي بارعا في استهلالاته شدَّ المتلقي إلى الأحداث، ويأتي الراوي هنا بارعا في إضفاء الطابع الشخصي على ذاتيته وهو يحاول تـــسليط الأضـــواء علـــى البـــؤر المركزية في الحدث القصصي، فهو هنا راو عليم بالتفاصيل التي حدثت لاسيما وأنه كثيرا ما يرتكز في سرده على الأحداث التي حدثت في الأزمنة القديمة أو السالفة كما هو الحـــال فـــي اغلب القصص حينما يشير إلى ذلك بقوله: **كان في قديم الزمان** ... وهي لازمة سردية تتكرر كثيرا بهذا الأسلوب أو بما يشابهه إلا انه يذكر الزمن الذي يروي الحكايـــة فيـــه، فمـــصدره الزمني قديم، وهذه لازمة سردية معروفة ومتداولة في اغلب الحكايات الشعبية والخرافية.

كما انه يلجأ أحيانا إلى استخدام صيغة " **يُحكى** " وهي من اللوازم السردية التي تحيلنا دوما على قصص ألف ليلة وليلة وحكايات كليلة ودمنة وغيرها من الحكايات ذات الطابع الخرافي المعتمدة على الحيوانات والجنيات والغول وغيرها من الشخصيات الخرافية كما هو الحال في القصص :**السلطان المسحور/ الملك عادل/ الأنف العجيب.**

وهذه الصيغة تستند على بناء سردي للماضي المجهول، أي انه لا يعرف زمنه تحديدا ولا يعرف ناقله، ونجد مثل هذه الصيغة وقد تداولها الراوي كلي العلم بمنظوره السردي ذي الرؤية الخارجية .

أما في النهايات أو الخواتيم فان مهمة الراوي هنا استعلائية وغالبا ما تأتي النهاية سعيدة تثمر عن علاقات متبادلة بين الشخصيات تعيش بسعادة وهناءة، يوضحها الراوي ويحاول من خلالها أن ينهي وظيفته السردية على النحو الذي ابتدأها، فهو راو متسلط ومهيمن وله مطلق الصلاحية في تحديد مصائر الشخصيات من خلال فعلي الثواب والعقاب .

– **الراوي محدود العلم:** يتخذ هذا النمط من الرواة صيغة ضمير المتكلم في إشارة قصدية وموجهة إلى تواجده الفعلي داخل الحدث السردي، وقد أشار واين بوث إلى هذا بقوله:

(حالما يشير الراوي، وإن كان قليل الكلام إلى نفسه بكلمة " أنا "، فانه يكون قد تمسرح بمعنى ما.) [1].

ولهذا الراوي سمات يمكن أن نحددها بأنه راوٍ مشارك في الأحداث، لذا فانه يتماهى بمرويه، ويكون أحد شخصيات الحدث القصصي، لذا فان درجة معرفته بالأحداث تكون مساوية لدرجة معرفة الشخصيات بها.

الراوي في قصص الأطفال مهيمن ومتسلط على الفعل الحكائي فهو يروي الأحداث من وجهة نظره، أغلب القصص تنتمي إلى النمط الآخر من الرواة أي الراوي غير الممسرح، إلا أن هذا لا يعني عدم وجود اثر لهذا النمط، ففي بعض الأحيان نجد الراوي وقد استقل بالمروي وأخذ على عاتقه مهمة سرده، ففي قصة " **البنت والأسد** " يستدرج الراوي هذا النمط السردي حينما يضع الكلام على لسان الأمير المسحور/ الأسد الذي تحول فيما بعد إلى طائر يهيم على وجهه بعد أن سقط شعاع من النور عليه، يقول الراوي / الشخصية :

(واعلمي انه قد حُكم عليّ أن أطير سبع سنين على وجه الأرض، وأسيح في العالم. ولكن سأرمي لك من وقت لآخر ريشة بيضاء، تعرفين منها الجهة التي اقصدها، والقطر

(1) البعد ووجهة النظر ، 45 .

مجلة المصدر The Source

الذي أسافر إليه. ويمكنك أن تتبعيني وتسافري إلى الناحية التي اذهب إليها. وقد تجدينني في النهاية، وستكون نجاتي على يديك في الآخر إذا احتملت المتاعب سبع سنين. وانصح لك أن تتركي طفلنا مع جدته، لتربيه؛ فليس من السهل أخذه معك، والحكم عليه هذا العذاب معنا.) [1].

نجد هيمنة واضحة في النص للراوي/ الشخصية، إذ تتماهى الأنا الساردة بالأنا الشخصية ليصبح الاثنان شخصية واحدة تعبر عن ذاتها بصيغة المتكلم، فالراوي هنا على دراية ومعرفة مساوية لمعرفة الشخصية، فلا هو يعلم أكثر مما تعلمه الشخصية ولا الشخصية تفصح عما يخص ذاتها أكثر مما تريد.

إن الراوي هنا ممسرح، ذلك أن له سمات محددة وعلامات تحيل عليه، فتتكشف هويته السردية داخل الإطار النصي الذي يستثمره استثمارا فعليا وكليا لسرد الأحداث المتعلقة به، ينتمي إلى نمط الراوي محدود العلم الذي تتساوى فيه درجة معرفته مع درجة معرفة الشخصية .

في قصة " **الفأرة البيضاء**" يندمج الراوي بشخصية الأب/ الجني حريص وهو يسرد الأحداث التي دعت الجنيات إلى مسخ الجنية المكروهة إلى فأرة وقضت عليها بالحبس، يقول الراوي:

(وبعد أن وُلدت أنت بساعات قليلة، شعرت أمك بأوجاع حادة، لم استطع أن اشفيها منها، فغبت عنها قليلا، وجريت استنجد بملكة الجنيات، فاغتنمت الجنية الشريرة فرصة غيابي وأهلكتها، وكادت تمهرك بجميع الرذائل والشرور، فوقفتها في اللحظة التي مهرتك فيها بفضول سوف يشقيك ويجعلك تحت سلطانها، مدة خمسة عشر عاما، غير أني بسلطاني وسلطان ملكة الجنيات، أبطلنا بعض تأثيرها، وقررنا انك إذا بلغت الخامسة عشرة من عمرك، فلن تكوني خاضعة لها، إلا إذا قادك الفضول قبل ذلك ثلاث مرات إلى خطير العصيان.) [2].

إن ظهور الراوي واندماجه الكلي بالشخصية القصصية تمنح الأجواء القصصية نوعا من المصداقية التي قد لا نجده عند النمط الآخر من الرواة، فالراوي هنا على معرفة تامة بدقائق التفاصيل المتعلقة بالشخصية، والأحداث التي تتم روايتها أحداث وقعت بالفعل للشخصية وواجهتها، لذا فان الشخصية هنا وهي تسرد هذه الأحداث فإنها لا تخرج عن دائرة

---

(1) البنت والأسد ، 25-26 .

(2) الفأرة البيضاء ، 19-20 .

السرد المرسومة لها، وإن كان الراوي هنا ممسرحا يروي بقدر ما ترويه الشخصية فلا يضيف ولا يحذف ولا يغير شيئا مما روي .

لقد اختفى الراوي هنا وراء الشخصية، وتقنع بقناعها، فأصبح لا يتكلم إلا بما تتكلم به الشخصية، حتى أضحى الراوي هنا يمتلك رؤية داخلية خاصة يعبر عنها بصيغة ضمير المتكلم.

- الرواة المتعددون أو تعدد الأصوات :

الفن القصصي فن حكائي يعتمد في بنيته الأساسية على توافر العناصر السردية وبروز الأصوات الروائية التي تعمل على نقل الحادثة أو الواقعة على وفق الصورة التي يرتئيها الراوي، ولعل عنصر الشخصية أبرزها وأكثرها أهمية، ذلك أن الشخصية تؤدي الحدث في فضاء مكاني وزماني محدد تترك خلاله بكل حرية، وإن كانت هذه الحرية أيضا خاضعة لسلطة الراوي الرقيب، ولا يمكن بأي حال من الأحوال إغفال هذا العنصر الرئيس.

والنقطة الأهم التي نود الإشارة إليها في هذا المحور هي أن الشخصيات القصصية تأخذ على عاتقها مهمة سرد الأحداث من وجهة نظرها، على أن هذه النظرة قد لا تأتي أحادية فقط حين تتولى شخصية معينة من شخصيات القصة سرد الأحداث التي تخصها بل ثمة رؤى وأفكار لا يمكن أن تظهر إلا من خلال شخصيات متعددة، تتحاور فيما بينها حول قضية معينة وغالبا ما تختلف الآراء فيها، بمعنى أنها نادرا ما تتفق على وجهة نظر محددة تمس هذه القضية، وهذا التعدد والتنوع والاختلاف مع سمة اللاتجانس تعد من ابرز السمات التي تخلق وجهات نظر متعددة، وتعدد الوجهات يعني تعددا في الأصوات التي تظهر في المشهد القصصي .

وقد كان باختين أول من طرح فكرة تعدد الأصوات عند دراسته للقضايا الإبداعية في روايات ديستوفسكي، إذ أشار إلى ذلك بقوله: (إن ديستوفسكي شأنه شأن جوته لا يخلق عبيدا مسخت شخصياتهم مثلما فعل – زيوس– بل أناسا أحرارا مؤهلين للوقوف جنبا إلى جنب مع مبدعهم، قادرين على ألا يتفقوا معه، بل وحتى على أن يثوروا في وجهه ...إن كثرة الأصوات، وأشكال الوعي المستقلة وغير الممتزجة ببعضها، وتعددية الأصوات polyphone الأصلية للشخصيات الكاملة القيمة – كل ذلك– يعد بحق الخاصية الأساسية لروايات دوستوفسكي.)[1]، وأطلق على هذا النوع من الروايات "بالروايات البوليفونية " .

(1) قضايا الفن الإبداعي عند ديستوفسكي ، 17 .

مجلة المصدر The Source

إن الحدث القصصي لا يستقر عند صوت واحد محدد، بل انه يتوزع على أصوات عدة، يحاول كل صوت أن يستثمر إمكانياته ويقتنص اللحظة المناسبة للدفاع عن أنموذجه .

وقصص الأطفال على الرغم من الهيمنة الواضحة للراوي العليم الذي يتحدد بسرد موضوعي تهيمن فيه صيغة ضمير الغائب على فعل الحكي وبرؤية خارجية، واضعا بينه وبين مرويه مسافة سردية مناسبة، إلا أننا نجد أثرا لتعدد في الأصوات في بعض القصص، فثمة رواة يدخلون المشهد القصصي، يثيرون قضية معينة يختلفون فيها – على الأغلب –، وقلّما ما يتفقون على رأي محدد، ففي قصة " **أطفال الغابة** " يقول الراوي :

(وبعد أن نام الأطفال المساكين تحت الشجرة، وتركتهم عمتهم القاسية القلب، لم ينسهم الله سبحانه وتعالى، فأرسل إليهم ثلاثا من الحوريات لحراستهم، والعناية بأمورهم، فدُرن حول الشجرة التي نام الأميران والأميرة تحتها...

ثم قالت الحورية الأولى: ما أجمل هؤلاء الأطفال! إن عند كل منهم نجمة بين حاجبيه، وهذه علامة على أنهم أمراء وأبناء ملوك. هيا بنا كي نحضر لكل منهم هدية يفرح بها بعد أن يستيقظ من النوم .

وقالت الثانية: إنهم ثلاثة أطفال، وهدية واحدة لا تكفيهم. ومن الواجب أن نحضر لهم ثلاث هدايا، ليكون لكل منهم هدية.

وقالت الثالثة: إنهم أطفال صغار، ولا يصح أن يُتركوا في الغابة، فهم في حاجة إلى من يحرسهم.) [1].

ينهض السرد القصصي على ظهور الراوي العليم، غير ممسرح، فهو مفارق لمرويه، غير مشارك فيه، لا دور له فيه، وتقتصر وظيفته الأساسية على السرد، أي سرد الحدث القصصي، ويعد هذا الراوي الإطاري الذي يمسك زمام الأمور، بسلطة سردية عالية، وهو يتحدث بصيغة ضمير الغائب في الكشف عن الأحداث والشخصيات، وحالما يعلن عن ظهور الحوريات الثلاث حارسات للأطفال الصغار، يتحول فعل السرد من الراوي إلى الحوريات الثلاث، وتعلن كل واحدة منهن رأيها فيما يخص الأطفال، ففي الوقت الذي تكشف فيه الحورية الأولى عن جمال هؤلاء الأطفال، وأنهم أمراء وأبناء ملوك، ورغبتها في إحضار هدية لكل واحد منهم، تتدخل الثانية لتعلن أن الأطفال ثلاثة وهدية واحدة لا تكفيهم، فيما تشير الثالثة إلى أنهم صغار ولا يصح تركهم في الغابة لوحدهم، هذه الآراء تتجسد على لسان شخصيات ثلاث

---

(1) أطفال الغابة ، 11 .

مجلة المصدر The Source

تدخل اللعبة السردية بإتقان، ولكل صوت من هذه الأصوات دور يؤديه، مع التأكيد على استمرارية تواجد الراوي الإطاري الخارجي وهو يشير إلى صوت كل حورية على حدة.

إن المجال السردي يفصح عن توافر أصوات أربعة يستقل كل صوت ببرمجة سردية تحتم دورا ووظيفة، وظهور هذه الأصوات لا يأتي عشوائيا، بل انه متسلسل في نظام خاص يتطلب راويا متميزا وقادرا (على تجاوز ذاته وعلى التعمق في الآخر والآخرين بقدر من الغيرية والحيادية.) [1].

في قصة " **البجعات المتوحشات** " نجد مثل هذا التعدد الصوتي، إذ تظهر أصوات متعددة تستنكر ما قامت بها الأميرة الحسناء بعد اتهامها بأنها ساحرة ماكرة، وحكموا عليها بالموت حرقا، يقول الراوي :

(لقد كانت القمصان العشرة تحت قدميها، والقميص الحادي عشر بين يديها، وكانت العربة الحقيرة، تسير بها بطيئة، بين جموع الشعب، التي تسخر منها وتلعنها؛ فهذا يقول: " انظروا كيف تزمزم الساحرة !"، فيرد عليه آخر بجانبه: " تأملوا ما تصنعه بيديها! "، فيصيح ثالث: " إنها لا تريد أن تترك سحرها لحظة "، ثم يعلو صوت رابع قائلا:" لننزع منها هذا النسيج ... لنمزقه قطعا !.)[2].

جاءت الأصوات الأربعة معبرة عن وجهات نظر مختلفة حول ما تقوم به الأميرة المتهمة لديهم بالساحرة الماكرة، مع تحفظات الراوي العليم في ترك المجال مفتوحا أمام هذه الأصوات لقول ما تريده، فهو لا يسمح بهذه الحرية مطلقا بل انه يعمل على توجيهها نحو المشهد المرسوم بالدقة والتعليق على هذا المشهد، ولعل تراجع هذه الأصوات بعد ظهور الحقيقة وإعلان براءة الأميرة هو الذي يعطي الحق للراوي بهذا التصرف القسري في ظهوره وتدخلاته بالسرد.

وفي قصة " **الأميرة الحسناء** " تظهر أصوات الأقزام السبعة وهم يستنكرون ما فعلته الملكة الشريرة بالأميرة الحسناء " سنوهويت " حينما سممتها بقطعة من تفاح، يقول الراوي ناقلا هذه الأصوات :

(واستمرت مطروحة على الأرض ، لا تتحرك، ولا تحس فجلسوا حولها يبكون، ولا يدرون ماذا يفعلون، ولا يعرفون ما حدث لها.

---

(1) وجهة النظر في روايات الأصوات العربية ، 108 .

(2) البجعات المتوحشات ، 42-43 .

مجلة المصدر The Source

فقال القزم الأكبر: إني متأكد أن الملكة الشريرة هي التي قتلتها، وسينتقم الله منهـا. إني اكرهها كل الكره، واعتقد أن الله لن يتركها؛ وسجزيها شر جزاء، على هـذه الجريمـة التي ارتكبتها.

وقال الثاني: مسكينة أيتها الأميرة! يجب أن ندفنها في الأرض المظلمة .

وقال الثالث: لا، لا. إن مثلها لا توضع في الأرض المظلمة.

وقال الرابع : يجب أن نصنع لها صندوقا زجاجيا، ونضعها فيه، حتـى نـستطيع أن نراها دائما .

وقال الخامس :...

وقال السادس : ...

وقال السابع :...) [1].

إن الحدود السردية الفاصلة بين هذه الأصوات مكشوفة للقارئ من خلال تحديد الراوي لقول كل شخصية من شخصيات القصة مع صوته الخاص المعلن عنه في بداية هذا المقطـع وهو يحاول توضيح المشهد والأسباب التي دفعت للاختلاف في هذه الآراء وظهورهـا بهـذا الشكل، مع الأخذ بنظر الاعتبار أن صوت الأقزام السبعة يظهر دوما بهذه التعددية، فحالمـا يتم الاشتغال السردي على رؤية الأقزام فانه لا ينحصر بصوت واحد مـنهم بـل بـصوتهم جميعا، وهو ما يؤدي إلى نوع من التشابك السردي في الحدث .

أما في قصة " **الجميلة النائمة** " فتبرز أصواتا عدة، يختلف كل صوت عن الآخر وهم يحاولون الإجابة عن سؤال الأمير حول خبر تلك القبة من الشوك التي تغطـي قـصرا مـن القصور ولا تبرز إلا أبراجه العالية، يقول الراوي:

(فقال له شاب من بينهم :

-" حذار يا سيدي أن تقترب منها، إنها قصر تأوي إليه الأرواح الشريرة ."

فانبرت فتاة من الجماعة تفند رأي الشاب وتقول:

-" بل انه منزل تجتمع فيه سحرة البلد، يتشاورون فيه ويضعون خططهم الشيطانية، ولا يعوقهم الشوك عن دخوله."

---

(1) الأميرة الحسناء ، 32-34 .

مجلة المصدر The Source

فقاطعتها سيدة في مقتبل العمر، وقالت وهي تضم طفليها إلى صدرها كأنهـا تخـشى عليهما خطرا من الأخطار:

-" كلا! ...لقد سمعنا من آبائنا إن هذا القصر يسكنه غول عجوز يخطـف الأطفـال، ويدربهم على طبائع الغيلان، حتى ينسوا أنفسهم وأهلهم، ويصيروا كالأخوال، فيرسلهم إلى الغابات يصيدون طعامهم وطعامه وطعام الأطفال الذين يخطفهم."

...

حتى وقفت عجوز طاعنة في السن فقالت :

- " ليس فيما سمعته يا ابني أي نصيب من الصحة فالصواب في قصة هـذا القـصر المغطى بالشوك، سمعته منذ نحو خمسين عاما من والدي، فقد سمعته يقول :

" إن في هذا القصر أميرة رائعة الجمال، نضرة الشباب، مربوطة بسحر يقضى عليها أن تنام نوما عميقا عشرات السنين، إلى أن يجيئها ابن ملك فيوقظها من سـباتها وتُـصبح زوجته.) [1].

إننا إزاء أربعة أصوات مختلفة في الآراء وفي التفسيرات والتـأويلات، ولعـل هـذا الاختلاف يعود إلى طول المدة الفاصلة بين الحدث الذي تم في الماضي في هذا القصر وغطاه الشوك، والزمن الذي تتم فيه رواية الحدث، ومن الطبيعي أن تختلف الآراء لتعدد الأجيال التي ظهرت خلال هذه المدة الزمنية الفاصلة بين الحدثين.

والراوي – الذي يظهر صوتا محايدا خامسا يضاف إلى الأصوات الأربعة – إنما ينقل هذه الآراء بحيادية تامة من دون التعصب لرأي على حساب الآخر، وهو في كل ذلك يـستند إلى مبدأ ثابت هو كلما تقادم الحدث اختلفت الآراء فيه، وهو من الأمور البدهيـة لاسـيما إذا كانت الرواية تعتمد على النقل الشفهي لا المكتوب .

إن الراوي هنا كلي العلم، يحرص على الكشف عن مصادر روايته التي تختلف رأيـا وعمرا، ليضع في النهاية الرواية الصحيحة على لسان عجوز طاعنة في السن بوصفها أقرب الممكنات السردية إلى زمن وقوع الحدث .

وكل هذا يتم برؤية خارجية، من منظور راو شاهد على الأحداث وناقـل لهـا، غيـر مشارك فيها .

---

(1) الجميلة النائمة ، 23-26 .

مجلة المصدر The Source

ومثل هذه التعددية نجدها كذلك في قصة " **القداحة العجيبة**" حينما يعرض الجندي وإحدى الشخصيات بالتناوب مع الراوي الخارجي الأسباب التي دعت الملك إلى حبس ابنته الأميرة في إحدى غرف القصر على اثر نبؤة لإحدى العرافات بزواج الأميرة من جندي فقير، ولكي لا تتحقق النبؤة أمر الملك بأن تحبس وألا يراها أحد، ونجد فيها كذلك صوت الملك غير المعلن ونبؤة العرافة، ويتم نقل الصوتين الأخيرين على لسان الراوي الإطاري غير الممسرح[1].

وفي قصة " **أليس في بلاد العجائب** " تقام محاكمة صورية لمحاكمة ورقة " كوتشينة " التي سرقت " التوتة " التي صنعتها الملكة، فنجد أصوات متعددة تدخل المشهد القصصي على أنهم شهود، فهناك صوت الملك بوصفه قاضيا للمحكمة، وصوت الأرنب مناديا على الشهود، وهناك الشاهد الأول / صانع القبعات والشاهد الثاني / طباخة الأميرة، والشاهد الثالث / أليس، مع دخول أصوات جانبية، صوت الفأر، وصوت الأرنب، وصوت الملك وصوت أحد المحلفين بين حين وآخر، مع استمرار تدخلات الراوي من خلال تعليقاته وإدارة الحدث القصصي ونقل الحوار الذي يتم على السنة هذه الشخوص بوصفها أصوات [2].

لقد استثمر الراوي قدراته السردية في التلاعب السردي بدول هذه الأصوات، واثبت مقدرته الكافية على الإعلان، مع التركيز على جهوده في البقاء القسري وإدارة الحدث القصصي على وفق الصورة التي يريدها .

- المروي: صراع الحكاية والرمز

يمثل عنصرا سرديا مهما من العناصر التي تقوم عليها الحكاية، وأي نص حكائي يقوم على(متوالية من الأحداث) [3]، ترسم المسار القصصي عبر شخصيات تتحرك وتمارس هذا الحدث على النحو الذي يرسمه الروائي بالاتفاق مع الراوي الذي يسرد الحدث والعناصر الأخرى المشكلة له .

يشكل المروي حلقة وصل بين القطبين المتضادين/ الراوي والمروي له، إذ انه يمثل الرسالة التي يود الراوي إيصالها إلى المروي له بطرقه المختلفة والمتنوعة، فإذا كان القص عبارة عن (سرد قصصي للحوادث مرتبة تبعا لتسلسلها الزمني .) [4]، فإن هذه الحوادث هي

---

(1) ينظر: القداحة العجيبة ، 18-19 .

(2) ينظر: أليس في بلاد العجائب ، 36-43 .

(3) نظريات السرد الحديثة ، 106 .

(4) أركان الرواية ، 25 .

مجلة المصدر The Source

التي تمثل هذه الإرسالية المتناوبة بين الراوي والمروي له والتي تبرز على شكل انساق بنائية ترتبط بالزمنية ارتباطا وثيقا.

وقبل أن نخوض في غمار هذه الأنساق وتمفصلاتها وكيفية تشكيلها السردي في قصص الأطفال علينا التأكيد على قضية مهمة تتعلق بظهور المروي في قصص الأطفال، فهذه القصص– بغض النظر عن أهدافها وغاياتها – تعد نصوصا سردية متكاملة من حيث البناء والأسلوب، كما أنها قصص مغلقة على ذاتها، بمعنى أنها نصوص استوفت شروط بنائها، ولم تعد تحتمل الإضافات أو أية نهايات أخرى قد يسيء إليها أكثر مما يسردنها، وبالتالي فإننا سنحاول أن نعتمد النص وما فيه من رسالة موجهة إلى الآخر/ الذي هو الطفل، ليستوعب بذلك رهانات المروي وانشغالاته .

ينشطر المروي هنا على عناصر عدة تتشكل فيما بينها لتكوّن في النهاية الصيغة الكاملة له، وقد اشرنا إلى هذه العناصر وحرصنا على إيفاءها حقها من الدراسة[1]، ولم يبق منها سوى هذا الجزء الأخير الذي يمكن أن نطلق عليه الحدث القصصي، فأية قصة لابد أن تقوم على مجموعة أحداث ترتبط بالعناصر الأخرى ارتباطا قسريا ومباشرا، وتختلف الأحداث فيما بينها من قصة إلى أخرى، باختلاف زاوية النظر والبؤرة التي ينطلق منها الراوي في تحديد أحداثه القصصية، وعلى الرغم من هذا الاختلاف إلا أنها تتشابه كثيرا في قصص الأطفال، ولعل تطبيقنا لأنموذج بروب في تحديده لوظائف الشخصيات الخرافية أوضح دليل على هذا التشابه، إذ يبتدئ الحدث بوظيفة الغياب مرورا بالوظائف الأخرى ليصل الحدث في نهايته إلى وظيفة المكافأة والتمجيد .

نهضت دراسة المروي في الخطاب السردي على جملة انساق سردية تعارف عليها المنظرون السرديون، وكان نسق التتابع من أقدم الأنساق تواجدا وظهورا ولا يمكن العثور على نص سردي لا يخضع لمنطق هذا النسق، وإن وجدت انساق أخرى في النص القصصي.

وسيتم التركيز على أكثر الأنساق تداولا في قصص الأطفال وهي :

1– نسق التتابع .

2– نسق التداخل .

3– نسق التكرار .

---

(1) في بحث آخر يتعلق بالعناصر السردية في قصص الأطفال وقد تم نشر المبحث المتعلق بالشخصية القصصية وإمكانات التخيل في مجلة التربية الأساسية / جامعة بابل / أيلول 2012 .

مجلة المصدر The Source

على أن الأمر المهم في هذا الصدد الذي يجب التأكيد عليه أن هذه الأنساق لا توجد مفردة في قصة واحدة، بل قد نجد نسقين أو أكثر في بناء نص واحد، فيأتي النسق الثاني مكملا للنسق الأول، وغالبا ما يكون النسق التتابعي وأحد الأنساق مهيمنا على النص .

أولا: نسق التتابع :

يحرص هذا النسق على (رواية أحداث القصة جزءا بعد آخر، دون أن يكون بين هذه الأجزاء شيئا من قصة أخرى.)[1].

يبرز هذا النسق بصورة واضحة في اغلب قصص الأطفال، إذ يبدأ الراوي بالاستهلال القصصي الذي يعد (فعلاً تأليفياً يتقدم النص ويؤطره ممهداً لجريان السرد في مساراتٍ شتى تشكل شبكة عريضة من العلاقات)[2]، تمهيدا للأحداث التي ستقع فيما بعد، وهذه الأحداث تأتي متتابعة، متلاحقة، متسلسلة، يتأزم الوضع فيها وصولا إلى الذروة وانتهاء بالحل أو الخاتمة، وهذه كلها تأتي منسجمة فيما بينها، فلا فاصل يفصل بين حدث وآخر.

كان لنظرية الشكلانين الروس الأثر الأكبر في تحديد الترتيب الزمني في النص – القصصي تحديدا – إذ استند المنظرون على ما قدموه فيما يخص التمييز بين المتن الحكائي والمبنى الحكائي الذي يشير إلى أن الأول يضم المتواليات الحكائية في سيرورتها الزمنية المنتمية إلى عالم واقعي حدث فيما مضى من الزمن بنسق ترتيبي للمتواليات الحكائية على وفق تسلسل زمني متصاعد يسير الحكاية إلى نهايتها سيرا حثيثا، أما الثاني: فيضم سير هذه المتواليات في مسار زمني فني ترتب فيه المتواليات الحكائية ترتيبا لا يخضع لمبدأ السببية، بل لحاجات جمالية تخضع لزاوية رؤية شخصية، تؤدي إلى تغيير مسار واقعية الحكاية وخطية البناء التصاعدي[3].

ونظرا لغلبة هذا النسق على قصص الأطفال جميعا ومن دون استثناء، فسنحاول الإشارة إلى قصتين ومعرفة الأحداث التي تقع فيها، لغرض الوقوف على كيفية تبني الراوي للأحداث وتشكلها على وفق هذا النسق .

تقوم قصة " **الجميلة النائمة** " على مجموعة أحداث مترابطة، يكشف الاستهلال فيها على أمنية الملك والملكة في أن يكون لهما ابن يرثهما ويرث مملكتهما، تتحقق الأمنية وتلد

---

(1) البناء الفني في الرواية العربية في العراق ، 13 .

(2) السيميائية والنص الأدبي : 14..

(3) ينظر: تحليل الخطاب الروائي ، 73 .

مجلة المصدر The Source

الملكة طفلة جميلة كما تمنتها، فيحتفل الملك احتفالا عظيما بميلاد ابنته، من هنا سينطلق الحدث في رسم المسار السردي لحياة هذه الطفلة وكالآتي :

- حضور الجنيات السبعة لمنح المولود الجديد رقية من السحر ترفعه فوق مستوى البشر.
- حضور الجنية الشريرة من دون دعوة موجهة إليها .
- ثورة الجنية وهيجانها لعدم وجود صرة مملوءة بالذهب والأحجار الكريمة في صحنها كما هو الحال في صحون الجنيات السبع .
- تقرر إحدى الجنيات أن تكون آخر من يقدم الهدية لمعرفتها المسبقة بالنوايا الشريرة التي تنويها الجنية العجوز .
- تقديم الجنيات السبع هدايا السحر للمولودة وعلى اختلاف أشكالها وحسب وظيفة كل جنية.
- تتقدم الجنية العجوز وتدعو على الطفلة (**ليخرق كفك رأس مغزل تموتين بعده.**) [1]، وستشكل هذه التعويذة السحرية نقطة الحدث الرئيس الذي يحدد مصير الأميرة .
- خروج الجنية الشابة ومحاولتها تبديل الأثر الذي سيتولد عن السبب، فالأميرة ستصاب بضربة مغزل ولكنها لن تموت بل ستنام نومة طويلة قد تستمر مائة سنة .
- احتاط الملك لتلافي حصول النبؤة ووقوع الكارثة بمنع الغزل وسنَّ قانونا بذلك.
- بلوغ الأميرة سن الخامسة عشرة وازدياد جمالها وبهائها .
- خروج الملك والملكة للنزهة وعثور الأميرة على عجوز في سطح قصر صغير وسط الحقل وبيديها مغزل تغزل فيه.
- رغبة الأميرة في أن تجرب وتحاكي العجوز فيما تصنع .

---

(1) الجميلة النائمة ، 10 .

من هنا ستتحقق نبؤة الجنية العجوز فيفلت المغزل من كف الأميرة ويخرق رأسها وتسقط على الأرض مغشيا عليها، تأتي الجنية الشابة لتشرف بنفسها على نوم الأميرة وما يتبع ذلك من أحداث ، فتجعل القصر الذي تنام فيه الأميرة ممتنعا عن دخول احد أو خروجه .

هذه هي الأحداث تأتي متتابعة فيما بينها، وربما يمكننا أن نعد هذه الأحداث التي حاولنا تلخيصها بمثابة الوحدة السردية الأولى، وهناك الوحدة السردية الثانية وفيها تتم الأحداث بعد مائة عام من حدوث الكارثة، إذ يعثر الأمير أثناء تنزهه على هذا القصر ويحاول معرفة خفاياه وما فيه، فيقف على آراء مختلفة وصولا إلى الحقيقة، فيدخل القصر وتستيقظ الأميرة فيتزوجها وينجب منها طفلا وطفلة ومن دون معرفة أبويه، وبموت والده الملك يضطر إلى مصارحة والدته الملكة التي ستحاول إبعاد زوجة ابنه وطفليها عن القصر بعد غياب ولدها، فتتكشف الحقيقة في النهاية وتموت الملكة بعد أن ترمي بنفسها في الزير الذي أعدته لزوج ابنها وطفليها، وكان مملوءا بالعقارب والحيات[1].

أما قصة " **الملك عادل** " فتتم الأحداث فيها برغبة الملك عادل من الزواج بالأميرة المتكبرة، المغرورة بنفسها، سليطة اللسان، التي لا تحترم أحدا ولا تقدر مشاعر احد، تستخف بالآخرين وتستهزئ بهم ومن دون أدنى حياء، ينذر والدها الملك بتزويجها من أول سائل/ شحاذ يطرق بابه، فيحتال الملك عادل ويصبح هو السائل، فيتزوج الأميرة ومن دون أن يعلم أي أحد بذلك، يأخذها إلى كوخ حقير فتضطر للعيش فيه والعمل بيديها بعد أن كانت مدللة لا تعرف شيئا، وتسمع بزواج الملك عادل فتندم على فعلتها واستخفافها به، وتحزن لذلك كثيرا، إلا أن المسار السردي يفاجئنا كما يفاجئها، فيكشف الملك عادل عن حقيقته وبأنه هو السائل الذي تزوج الأميرة، وذلك بعد أن تتغير طباع الأميرة وتدرك أن عليها احترام الآخرين ومراعاة مشاعرهم، فيحتفل الملك عادل بزواجهما احتفالا رسميا[2].

إن كل وحدة من هذه الوحدات عبارة عن حدث صغير يرتبط ببعضها البعض ليكون أو ليشكل في النهاية مجموعة الأحداث التي تنهض عليها القصة، وكل وحدة منها تأتي مرتبطة بسابقتها وبالوحدة التي ستلحقها مشكلة بذلك الوحدة السردية الكبرى التي ينضوي تحتها النص.

---

(1) ينظر: الجميلة النائمة .

(2) ينظر : الملك عادل .

مجلة المصدر The Source

إن الأحداث في هاتين القصتين وفي غيرها من القصص تأتي متتابعة، فلا يمكن لنا أن نقدم حدثا على آخر أو نؤخره، ذلك أن البناء السردي مشيد على وفق نظام خاص لا يمكن المساس به أو محاولة تغييره .

ثانيا : نسق التداخل .

أشار المنظرون إلى أن الأحداث على وفق هذا النسق تسرد(بشكل متداخل زمنيا ودلاليا بحيث يتداخل بعضها مع البعض الآخر.) [1]، بمعنى أن ثمة إلغاء قسري لشرط الترتيب الزمني، فالأحداث لا تسرد على وفق هذا الترتيب كما هو الحال في النسق السابق/ التتابع، بل تتم على وفق تشكيلة جمالية ودلالية خاصة، ينهض هذا النسق على تداخل (أحداث الحاضر مع ذكريات الماضي، ويتحقق بطرق عديدة غير متكافئة في أهميتها، والأكثر شيوعا هو استحضار الماضي بواسطة الحاضر.) [2].

ولكي يكون الكاتب على وعي وعلى درجة كبيرة من المهارة التي تدفعه للممارسة مثل هذا الفعل، فانه يستخدم (تقنياته الخاصة، كأن يجعل الشخصية التي تعيش حاضرا ما تتذكر حادثا، أو أمرا، وقع لها في الماضي فتحكي عنه. أو كأن يُدخل في قصة حكاية عن الماضي، فيضمن إذ ذاك حكايته حكاية أخرى، أو حكايات أخرى. أو كأن يورد في سياق حاضره قصة، وعلى سبيل التدليل أو الشهادة، أحداثا تاريخية وقعت في زمن سابق.) [3].

ويتجسد الزمن هنا دلاليا، إذ انه لا يسير على خطية واحدة، بل يعمل على كسر القوالب الجامدة والجاهزة لاستحضاره متى ما شاء الراوي ذلك، فهو يحقق إشكاليته من خلال اعتماده (المفارقة الزمنية في ظهور الحدث، وينشأ هذا الترتيب الزمني الجديد من خلال التداخل في مستويات وإعادة الزمن بين الماضي والحاضر والمستقبل.) [4].

وقصص الأطفال تمارس هويتها السردية اعتمادا على هذا النسق الذي يشكل نسقا تكامليا للنسق السابق، إذ انه لا يظهر منفردا أو مستحوذا على النص– كما اشرنا إلى ذلك سابقا – بل أن هذا النسق يتداخل مع غيره من الأنساق ولاسيما التتابعي.

في قصة " **السلطان المسحور** " يقول الراوي:

---

(1) الملحمية في الرواية العربية المعاصرة ، 177 .

(2) دراسات في الرواية الأمريكية المعاصرة، 58 .

(3) تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي ، 75 .

(4) بناء الحدث في قصة الحرب العراقية القصيرة ، 93 .

مجلة المصدر The Source

(فتألمت البومة لما حدث لهما، ثم قالت: أرجو أن تسمع يا سيدي قصتي؛ فقد أصابني سوء الحظ كما أصابكما؛ فإنني ابنة ملك بلاد الفرس، وليس لأبي ابنة أخرى غيري، وإن الساحر" قشنور " الذي احتال عليكما وسحركما، هو أيضا الذي سحرني، وكان سببا في سوء حظي، فقد حضر ذات يوم، وأراد أن يخطبني من أبي لأكون زوجة لابنه " مرزا"، فرفض أبي، وتسرع في طرده، وأمر برميه تحت السلم، فانتقم مني شر انتقام، لأنه بعد عدة أسابيع، تستر في صورة عبد، واندسَّ بين عبيد القصر، ووضع لي دواء سحريا في الشراب، فلما شربته، تغيرت صورتي في الحال إلى هذه الصورة البشعة التي تراها أمامك الآن، فخفت خوفا شديدا، ووقعت مغمى علي من شدة ما أصابني .

وفي أثناء إغمائي، نقلني الساحر الملعون من القصر إلى هذا المكان الخرب ...) [1].

يتم سرد هذه الأحداث من قبل الأميرة المسحورة إلى بومة قبيحة، وهو يستدعي حضورا قويا للماضي الذي يعتمد الذاكرة القصصية أداة للاشتغال السردي، فقد أفلحت الذاكرة في استقدام هذا الماضي وذلك في ثنايا الحاضر الذي تم فيه لقاء السلطان ورئيس وزرائه المسحورين بالأميرة المسحورة، ومثل هذا اللقاء والتعارف لابد أن يعقبه سردا للماضي الذي تم فيه مثل هذا المسخ، هنا يتداخل الماضي بالحاضر، فتصبح نقطة انتقال السرد من الحاضر إلى الماضي ليعود ثانية إلى الحاضر والانشغال بكيفية التخلص من هذا السحر، إذ (يسهم الحاضر في تحريك عجلة الماضي ليمنحه مظهرا مختلفا عن ذي قبل.)[2].

في قصة " **الراعي الشجاع** " يتداخل الماضي بالحاضر الذي يتم فيه سرد الأحداث، فبعد إنقاذ الراعي الشجاع للأميرة وقتله التنين، يتركها تعود لمملكة أبيها، وفي الطريق يهددها السائق بقتلها ورميها في النهر إذا لم توافق على الزواج به وتخبر أباها الملك بأنه هو الذي أنقذها، فتضطر الأميرة للكذب ويكافئه الملك بالزواج من ابنته، فيؤجل الزواج سنة بحجة أنها مازالت صغيرة، ثم تحاول الأميرة بعد انتهاء السنة المماطلة وتأجيل الزواج، وفي السنة الثالثة ترضخ للأمر الواقع وأثناء الاحتفال بزواجها يعود الراعي ويعلم بالأمر، فيرسل إليها كلبه " سبع الليل " فتعرفه الأميرة وتعلم أن منقذها قد عاد، فتستجمع قواها وشجاعتها لتعلن الحقيقة على الملأ وتذكر خيانة السائق، ويتم كل ذلك باسترجاع الماضي، إذ يقول الراوي:

(... وهنا وجدت الفرصة للاعتراف الحقيقة، ومكافأة المنقذ لها حقا، فتشجعت ووقفت في أثناء المائدة، وذكرت لأبيها والحاضرين قصتها من أولها إلى آخرها، وما فعله الراعي

---

(1) السلطان المسحور ، 29-30 .

(2) الراعي الشجاع ، 36-38 .

مجلة المصدر The Source

الشجاع من متابعتها، وملازمته لها، وتعريض نفسه للخطر، وقتل الوحش بهذا الكلب الواقف بجانبها، وبينت ما فعله السائق من تحريضه للراعي بعدم ذهابه معها، وبرده عن متابعتها، وتهديده إياها بإلقائها في النهر، وإغراقها إن لم تغير الحقيقة، وتذكر أن المنقذ لها هو السائق، وقد اضطرت إلى السكوت وهي حزينة. وإلى تأجيل الزواج ثلاث سنوات حتى يرجع منقذها الوفي المخلص من رحلته التي حددها بثلاث سنوات، وأخبرته انه الآن قد حضر، ووفى بوعده، وهو المستحق الشجاع للمكافأة، لا هذا السائق الكاذب الذي فكر في إغراقها في النهر وقتلها.) [1].

إن القصة تسرد كلها بسرد موضوعي يعتمد الحاضر/ الراهن الزمن الحقيقي لها، إلا أن ثمة انزياح يحدث عندما يتم الخروج عن المألوف وخرق الزمن الحاضر حينما يستدعى الماضي من مكمنه، فيتم إزاحة الحاضر جانبا، ليأخذ الماضي دوره في الحكاية، فيتداخل الزمنان(فلا يوجد نظام يوجه سير الأحداث أو أن يكون ضابطا لها على وفق منهج معين، إنما تكون الأحداث على شكل متناثر لا يعتمد السببية في ترتيبها.)[2]، وتصبح عملية تبادل الأزمنة وتواليها من الأمور المهيمنة على السرد، والذي يتوالى على الصورة الآتية :

الحاضر ـــــــــالماضي ـــــــــالحاضر

وتفصح هذه الصورة عن عملية تداول الأزمنة في صيغتها السردية التي تعتمد على المفارقة، فحضور الماضي في ثنايا الحاضر يعد أحد أنواع التلاعب بالأزمنة، وهو ما يشكل نسقا بنائيا مستقلا، يتمكن الراوي من خلاله استرجاع ذكريات أو أحداث وقعت ولم يكن من السهل استرجاعه إلا بهذه الطريقة .

" **وذكرت لأبيها والحاضرين قصتها من أولها إلى آخرها**" إن هذه العبارة تضع حدا فاصلا بين الزمنين، وهو مسوغ للانتقال من الحاضر إلى الماضي المستعاد، فيما تأتي عبارة " **وأخبرته انه الآن قد حضر، ووفى بوعده، وهو المستحق الشجاع للمكافأة** " عودة من الماضي إلى الحاضر السردي .

كما نجد أثرا لهذا النسق في قصة " **الفأرة البيضاء** " حينما يتم تداخل سرد الأب(الجني حريص) وماضيه مع الجنية المكروهة والأسباب التي دعت الجنيات إلى مسخها إلى فأرة بيضاء محبوسة في كوخ حقير في بيت الجني حريص مع سرد الحاضر والأحداث التي

---

(1) القارئ الضمني- أنماط الاتصال في الرواية ، 114 .

(2) جماليات التشكيل السردي في قصص حميد حسن ، 121 .

مجلة المصدر The Source

تعرضت لها ابنته وردة وكان فضولها سببا في ذلك ولاسيما محاولتها لمعرفة الأسرار المخبأة في ذلك الكوخ الحقير[1].

إن أحداث القصص تتوالى وتتداخل، فهي متناثرة بين الماضي والحاضر، لا تخضع لترتيب زمني معين، بعيدا عن السببية، إن التأكيد على حضور الماضي ودمجه بالحاضر، ثم استقلال الماضي بالسرد اعتمادا على الذاكرة لحين انتهاء الحدث المستعاد هو الغاية الأساسية من هذا النسق .

ثالثا : نسق التكرار.

في هذا النسق (تسرد الأحداث انطلاقا من وجهات نظر متعددة ومختلفة، الحادثة الواحدة تسرد أكثر من مرة وانطلاقا من أكثر من وجهة نظر.)[2].

أثار الروائي اندريه جيد هذه المسألة، إذ حرّض الروائيين على ضرورة اللجوء إلى هذا النسق في نصوصهم الروائية وألا يقتصروا على تقديم الأحداث بصورة مباشرة، إذ يقول: (أريد ألا يحكي المؤلف أبدا حوادث قصته حكاية مباشرة: بل يعرضها" ويعرضها مرات كثيرة" من زوايا مختلفة على لسان الأبطال الذين يملكون أن تكون حوادث القصة التي يحكيها هؤلاء الأشخاص، محورة بعض التحوير فإن مما يثير القارئ إشراكه في إقامة المعوج مما يقرأ.)[3].

يعتمد هذا النسق على تكرار الحادثة الواحدة أكثر من مرة، ومع التكرار سيتم دخول وجهات نظر مختلفة في أغلب الأحيان ومن زوايا متعددة، فليس شرطا أن يتم سرد الحادثة المكررة من قبل الراوي نفسه – وإن كانت هذه هي الطريق المثالية في قصص الأطفال والغالبة – فقد تعرض إحدى الشخصيات الحدث من وجهة نظرها، فيختلف أسلوب العرض فضلا عن أن ثمة إضافات تدخل في بنية الحدث المكرر أو قد يحذف منها، وهذا كله يعتمد على وجهة نظر الشخصية/ الراوي كما أن تكرار الحدث يؤدي (وظيفة سردية مهمة في تكسير خطية الزمن.)[4].

---

(1) الفأرة البيضاء ، 18–19 .

(2) الملحمية في الرواية العربية المعاصرة، 177 .

(3) النقد الأدبي الحديث ، 553 .

(4) سيميائية النص السردي ، 48.

مجلة المصدر The Source

ففي قصة " **أطفال الغابة** " يتكرر حدث ذهاب الأخ الأكبر فالأصغر إلى الحديقة المسحورة بطلب من شقيقتهما لجلب ماء الحياة والتفاح الموسيقي، وفيه تتضح مكيدة العمة للتخلص من أبناء أخيها/ الملك، كما تتكرر نصائح الشيخ الصالح الذي يلتقي به الإخوة، فالأخت التي تذهب لمعرفة مصير أخويها بعد أن غابا عنها ولم يعودا، ونصائح الشيخ الصالح لها[1]، وتتكرر الحادثة ذاتها وذهاب الأخ إلى جبل العجائب في قصة " **جبل العجائب**" لإحضار ما طلبته شقيقته منه، ونصائح الشيخ له ومكيدة العجوز للتخلص منهما، وهذا الحدث ذاته فيه تشابه كبير وإن اختلفت الطلبات والفضاء الذي يتم فيه الحدث[2].

فإذا كان المطلوب في القصة الأولى هو ماء الحياة والتفاح الموسيقي وهما يتواجدان في الحديقة المسحورة، فإن المطلوب في القصة الثانية هو الماء الفضي والشجرة الذهبية والطائر السحري وتتواجد هذه الأشياء في جبل العجائب، ويحدث التكرار في طريقة التناول وفي المكيدة وفي الحصول عليها وبمساعدة الشيخ الصالح في القصتين كلتيهما.

وتتكرر حادثة حضور سندريلا الحفل الذي أقامه الأمير في قصره، وانشداد الأمير إليها مرة ثانية في قصة " **سندريلا** "[3]، وفي قصة " **الليمون العجيب** " يتكرر حدث قطع الليمون الذي أهدته الجنية إلى الأمير ثلاث مرات، ويتكرر اختفاء الفتاة التي تخرج من الليمون مرتين، فيما يتكرر طلب السقي، في قول الفتاة " اسقني " ثلاث مرات[4]، ويظهر هذا النسق واضحا في قصة " **البنت والأسد** " في قول الراوي:

(أيتها الشمس المشرقة، انك تضيئين العالم، وما فيه، ونورك ساطع في كل مكان. فعلى قمة الجبل يُرى نورك. وعلى سطح الأرض يُرى ضوءك، وفي البحار والأنهار يُرى أثرك. فهل رأيت في أي مكان من العالم طائرا ابيض، قد تاه مني، وتهت منه، وأصبحت لا أعرف له مكانا ؟

فأجابت الشمس أيتها السيدة الصابرة المخلصة، إني آسفة كل الأسف؛ لأني لم أر طائرك الأبيض. ولكني سأعطيك هدية ثمينة، إعجابا بوفائك لزوجك، وتقديرا لصبرك على

---

(1) ينظر : أطفال الغابة ، 22-24 و28-31 و35-37 .

(2) ينظر : جبل العجائب .

(3) ينظر : سندريلا ، 27-29 و32-33 .

(4) ينظر : الليمون العجيب ، 22-24 .

مجلة المصدر The Source

المتاعب. سأعطيك علبة ثمينة، بها هدية نادرة. ولكن لا تفتحيها إلا حينما تكونين في منتهى الشدة، وتشعرين بشدة الضيق.) [1].

ويتكرر هذا الحدث ثانية مع بعض التحوير في الكلام مع القمر، ومع الرياح الشمالية، وتتكرر الأجوبة ذاتها مع بعض التحوير أيضا[2].

أما في قصة " **الصياد الماهر** " فيتم تكرار الحدث من منظور الراوي كلي العلم وهو يترصد الأحداث وينقلها لنا، إذ يقول:

(وجلس الأخ الأكبر على مقربة من النار، وسيفه يتدلى إلى جانبه، وكان بين حين وحين، يستلقي إلى الأرض، ويغمض جفنيه قليلا من شدة النعاس، ولكنه لا يلبث أن ينهض واقفا، ويتم حراسته يقظان نائما .

وبعد دقائق قليلة من انتشار الليل، سمع هذا الأخ الأكبر، حفيف أشجار في الغابة، أعقبه نعيق بومة، فطار النعاس من عينيه، وبقي يترقب شيئا غير مألوف، ثم تبع ذلك كله صوت شجرة تتحطم، فالتفت إلى الوراء، فرأى تنينا برؤوس ثلاثة، مقبلا نحوه، والأشجار تتقصف تحت زحفه، فاستولى على الأخ الساهر خوف شديد، وكاد يوقظ أخويه، غير انه تذكر الاتفاق المعقود بينهم، وقال في نفسه: " لو صحت بهما وأيقظتهما، فقدت نصيبي من المكاسب، ولو سكت متنا نحن الثلاثة، ولكن لا، فلن اقهر في يسر وسهولة.)[3].

ويتكرر هذا الحدث ثانية مع الأخ الأوسط، وثالثة مع الأخ الأصغر، ولكل واحد منهم طريقته في التخلص من التنين وإن كانت طريقة الأخوين الأكبر والأوسط واحدة لاستخدام الأداة/ السيف في التخلص منه، أما طريقة الأخ الأصغر فإنه يعمد إلى قتل التنين مباشرة من دون أدنى تفكير في المغانم التي سيكسبها كما أن التنين يظهر في كل مرة بشكل آخر، ففي المرة الأولى بثلاثة رؤوس وفي الثانية بستة رؤوس وفي الثالثة باثني عشر رأسا، من هنا نجد إصرار الراوي والتأكيد على استخدام الأخ الأصغر للقوس والسهام بعكس الأخوين الذين استخدما السيف، لذا جاء الاستهلال – وإن كان خاليا من الأسباب والدوافع – مؤكدا على هذا الاستخدام لأن ثمة أحداث ستؤدي فيه هذه الأدوات دورها .

---

(1) البنت والأسد ، 28–29 .

(2) ينظر : م.ن ، 30–31 .

(3) الصياد الماهر ، 10–11 .وينظر كذلك 14–18 .

مجلة المصدر The Source

ثالثا - المروي له والرضوخ لمتطلبات السرد.

يقف هذا العنصر السردي في مواجهة مع العنصر السابق/ الراوي، فالمنظومة الإرسالية تحتم مثل هذه المقابلة، فإذا كان الراوي– وحسب ما اشرنا إليه في المبحث السابق من هذا الفصل– هو(الشخص الذي يروي الحكاية، أو يُخبر عنها سواء كانت حقيقة أم متخيلة)[1]، فإن المروي له هو(احد عناصر الوضع السردي، يقع بالضرورة على نفس المستوى القصصي الذي يقع عليه الراوي .) [2]، فهو بوصفه(نتاجا لغويا، وعنصرا سرديا يقابل الراوي الذي يبث السرد.) [3].

إذن، فالمروي له يشكل العنصر اللغوي الذي يقبع داخل النص في مواجهة مع الراوي فثمة سياق مشترك بينهما ، وتدفع تلك الخصوصية القائمة بينهما لإقامة علاقة تأويلية بين السياق والمروي من جهة أخرى[4]، ولا يمكن بأي حال من الأحوال وجود أحد هذين العنصرين من دون الآخر إذ (لايمكن أن يقام السرد إذا لم يتوفر هناك " متلق" يتلقى السرد أيا كان نوعه، و" راو" يروي أو ينشئ السرد، وفقدان أي واحد من هذين العنصرين يؤدي إلى نقص في بنية الإرسال، وبالتالي تقويض هذه البنية)[5].

لقد جاءت الإرسالية اللغوية في النص لتؤكد على وجود نوع من التلاحم بين أقطابها، فمن غير الممكن أن يتحدث الراوي من دون أن يكون هناك متلق يأخذ عنه، كما أن النص برمته عبارة عن خطاب حكائي موجه من الراوي إلى الآخر/ المروي له الذي يشكل عنصرا (من العناصر الداخلية في القص شأنه في ذلك شأن الراوي. وهو يقع في نفس المستوى الذي يقع فيه الراوي، فالراوي في قصة من المستوى الذي سميناه بالمستوى الثاني يناظره مروي عليه من المستوى الثاني كذلك. والراوي في القصة من المستوى الأولextradiegetic يناظره مروي عليه من المستوى الأول أيضا.) [6]، فكلاهما يقعان في المستوى نفسه وإن كان بروز الراوي وهيمنته في النص يعد أمرا شائعا إلا أن ذلك لا يؤثر إطلاقا على العنصر الآخر.

وسنحاول دراسة هذا العنصر وتقسيمه على نوعين رئيسيين هما :

---

(1) السردية العربية ، 11 .

(2) تأويل النص الروائي في ضوء علم اجتماع النص الأدبي، 247 .

(3) دراسة في البناء الفني في خماسية " مدن الملح" ، 165 .

(4) العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي ، 110 .

(5) الرحلة الخيالية في الأدب العربي – دراسة في بنيتها السردية من خلال قصص ألف ليلة وليلة ، 46 .

(6) نظرية الرواية – دراسة لمناهج النقد الأدبي في معالجة فن القصة، 167–168 .

مجلة المصدر The Source

أولا: المروي له الممسرح :

يشكل علامة بارزة على ظهور المروي له، إذ يظهر عبر علامات دالة عـل هويتـه السردية، كأن يكون اسما معينا لشخصية من الشخصيات القصصية أو سمة معينة يتعارف من خلالها الشخصية أو لقبا أو ما شابه ذلك.

ولعل من أكثر الدلالات التي تشير إلى وجود هذا النوع من المرويين لهـم هـي تلـك الفقرات التي يلجأ الراوي إليها أثناء سرده وهي كثيرة، لكنها تبرز المجال الرحب الذي يسبح فيه الراوي ليخلق نوعا من مشاركة المروي له الممسرح في وظيفته السردية التي تحتم على هذا الأخير استقبال هذه الوظيفة وتلقيها .

وقصص الأطفال حافلة بهذا الأنموذج من المروي له كما هو الحـال فـي الإشـارات الآتية:

فأجابتها العجوز:" لا، يا بنيتي !" / وقال الأخ الكبير لأخته/ أيها الوزير / يا مـولاي السلطان / فقال السلطان: يا سليم/ صباح الخير أيتها السيدة ذات الساقين الطويلتين/ فقـال لها: أريني تفاحة منه، فقال لها أبوها :ابنتي العزيزة.

يبرز هذا النمط من المروي له بوصفه شخصية مشاركة فـي الحـدث، لهـا سـمات واضحة، بينها وبين الراوي علاقة قد تكون متكافئة أو متبادلة ونادرا ما تأتي هـذه العلاقـة سلبية ولاسيما في قصص الأطفال التي تحتكم إلى أهداف تربوية أخلاقية تعليمية فلا نجد فيها أثرا لهذه السلبية إلا فيما ندر .

إن المروي له الممسرح يبرز أيضا وبشكل واضح في النصوص التي تعتمد الـصيغ الحوارية أساسا لها إذ يتركز (داخل السرد يتحرك ويتحول من شكل لآخر، يصول ويجـول بالكيفية التي يرتئيها له الراوي ولا سيما في تلك النصوص التي تتخذ من الطـابع الحـواري سمة بارزة لها)[1].

وقد يكون المروي له من غير جنس الراوي، بمعنى أن قصص الأطفال تحـوي فـي ثناياها شخصيات بشرية وأخرى غير بشرية لكنها تأخذ دورها في الحدث القصصي كانـسان مثل الحيوانات والجمادات، تتشارك مع الإنسان في إبداء الرأي وفي أكثـر الأحيـان تكـون مساندة له في حوادث خارقة لا يستطيع الإنسان القيام بها كـالكلاب فـي قـصة " **القداحـة العجيبة** " و"**الراعي الشجاع** " وغيرها حينما يوجه الراوي خطابه إلى هذه الشخصيات بالقيام

(1) جماليات التشكيل الروائي ، 156-157 .

مجلة المصدر The Source

بفعل لا يستطيع هو القيام به، فتمتثل الكلاب إلى الأوامر التي تتلقاها، ونظرا لهذه العلاقة المتبادلة بينهما فقد يشتركان في حوار، وقد توجه الشخصية البشرية نداءها إلى الشخصيات غير البشرية وتنتظر رد فعلها وإجاباتها، هنا يدخل المروي له في دائرة التمسرح طالما أن له سمات وملامح واضحة وبارزة ومجسدة في الحدث القصصي، ففي قصة " **الأميرة الحسناء** " تجسد المرآة السحرية التي تملكها الملكة الشريرة دور المروي له الممسرح في أكثر المواضع وهي تجيب على أسئلة الملكة المغرورة، الحقود، يقول الراوي :

(وكان عند هذه الملكة الجديدة، مرآة سحرية، تنظر فيها وتسألها: يا مرآتي الصغيرة! هل في البلاد احد أجمل مني ؟ فتجيبها المرآة: سيدتي الملكة! أنت أجمل سيدة في البلاد جميعها .) [1].

إلا أنها لا تبقى على وتيرة واحدة؛ ذلك أنها ومن خلال فعل الإجابة تتحول إلى راو ممسرح، وتتحول الملكة إلى مروي له ممسرح .

وتبرز نقط الدم التي تضعها كريمة في قصة " **المغامر الجريء** " في القدر بعد هربها مع أنور الشجاع، وإجابات هذه النقط على تساؤلات العملاق النائم بصورة المروي له الممسرح الذي يحرص الراوي على استثماره بكل مهارة[2] .

ونجد مثل هذا النمط أيضا في القصص التي تستخدم تقانة الرسائل كما هو الحال في قصة " **الأخوات الثلاث** " وفي الرسالة التي وجهها الأب / الملك إلى ابنته زهراء يدعوها إلى حضور حفل اختيار زوج لشقيقتيها، وفي القصص التي توظف الأحلام – وهي كثيرة اشرنا إليها في الفصل الأول – حينما يقص الرائي حلمه على احد الأشخاص فيتجسد في صورة مروي له ممسرح .

يبرز هذا النمط من المروي بصورة واضحة واستعلائية، له هيمنة كلية على مدار الحدث القصصي لكثرة الإشارات الواردة إليه والتعليقات التي يلجأ إليها الراوي بقصد إشراك المروي له في وظيفته السردية .

ثانيا - المروي له غير الممسرح .

يظهر هذا النوع من المروي له على غرار الراوي غير الممسرح، إذ لا هوية سردية تحدده، فهو بلا ملامح وسمات تؤسس وجوده وتظهره إلى العيان، إذ (يروي الراوي لمروي

---

(1) الأميرة الحسناء ، 6 .

(2) ينظر: المغامر الجريء، 20–21 .

مجلة المصدر The Source

له يقع خارج الحكاية ويخاطبه مستخدما ضمائر الخطاب وألفاظ، مثل يا قُرائي، ويا سامعي، ويا أصحابي، وغيرها، ويكون هذا " المروي له" غير محدد الملامح ... ويقتصر تواجده داخل الخطاب، ويقع بمستوى أعلى من الشخصيات.)[1]، كما هو الحال في " **البلبل** " يقول الراوي :

(ودخل عندئذ الخدم والأتباع ليلقوا النظرة الأخيرة على مليكهم المسجى على فراش الموت فلا تسل عن دهشتهمعندما رأوا سيدهم سليما معافى ، وسمعوه يحييهم قائلا :

-" صباح الخير يا أصحابي...".) [2].

ففي قول الراوي : يا أصحابي ونداؤه لهم استدلال سردي لوجود مروي له غير ممسرح .

وفي قصص الأطفال يظهر هذا المروي له بسلطة سردية واسعة لتمكن الراوي غير الممسرح من سلطته السردية، إذ يشكل مرويا له إطاريا، يأخذ موقعه خارج الأحداث وداخل النص، فهو مروي غير مشارك في الأحداث بل شاهد عليها حينما يستجيب لرغبة الراوي الحكائية ويدخل معه في اللعبة لكنهما غير متعينين فقد (لا تكون هناك أية إشارة ظاهرة له "أي المروي له" على الرغم من وجوده المحسوس.) [3].

ففي الاستهلالات القصصية يبدأ الراوي حكاياته أو سرده، ووجود الراوي في هذا الموقع الحكائي يستوجب هناك أن يكون متلق يتلقى ما يرويه، فيما يتواجد المروي له الإطاري في موقع يحتم أن يكون مقابلا لموقع الراوي وأعني به الخاتمة أو عتبة النهاية إذ إن الراوي يعمل على ترك بعض من الثغرات السردية للدخول إلى ماهية المروي له ومعرفتهن ففي قصة " **المغامر الجريء** " يختم الراوي غير الممسرح روايته بقوله:

(عاش العروسان حياة سعيدة هانئة، وسجّل التاريخ لكريمة، كثيرا من الأعمال المجيدة في خدمة أهل القرية، حتى خلد ذكرها بينهم منتقلا من جيل إلى جيل، ومن عصر إلى عصر .

---

(1) المروي له في الرواية العربية الجديدة ، 43 .

(2) البلبل ، 46 .

(3) الصوت الآخر ، 132 .

مجلة المصدر The Source

وعلى سبيل الاعتراف بجميلها، أُقيم لها تمثال لا يزال إلى اليوم مرتفعا فوق بقايا ذلك القصر القديم ، وهو يمثل سيدة حسناء تحمل في كفها خمس كرات صغيرة...) [1].

فالنص القصصي الذي بدأ نصا برواية راوٍ غير ممسرح، كلي العلم، له دراية ومعرفة تامة بخفايا الأمور ظاهرها وباطنها، وبشخصياته القصصية والمصير الذي آل إليه كل واحد منهم، وبتحديد الفضاء المكاني والزماني إنما كان يصوغ ذلك ويُظهر قدراته السردية لمعرفة مسبقة منه بأن ثمة من يتلق عنه هذه الرواية، يقف بالضد منه، وفي موقع يشابه موقعه، فإذا كان الراوي غير ممسرح، عليم، فإن الطرف الآخر/ المروي له هو أيضا غير ممسرح عليم، لأن درجة معرفته بالأحداث تفوق درجة معرفة الشخصيات بها، وهو غير ممسرح لأنه غير محدد السمات والدلالات .

وفي قصة " **الليمون العجيب** " يوجه الراوي خطابه إلى المروي له بقوله :

(حدّث ولا عجب عن اثر هذه الكلمات المجنونة في قلب الملك، فقد خُيل إليه أن قصره قد تهدّم على رأسه، فاصفر واحمرّ، وتمتم وبكى، وعاد إليه رشده في نهاية الأمر، وقال يجيب عن كلام ابنه:) [2].

إن الراوي هنا غير ممسرح لأنه الراوي الإطاري الذي يسرد الأحداث، ويقف على مسافة من الشخصيات لمعرفة سلوكها وتصرفاتها وكل ما في دواخلها لتصل الإرسالية السردية إلى مروي له غير ممسرح، ولعل توجيه خطابه بقوله: **حدّث ولا عجب**، إنما هي إشارة سردية وذكية من الراوي لتحديد من يتلقى عنه الخبر، وهذا يدلل على أن ثمة مستمع يستمع له ويتلقى عنه، بل يشاركه هذه الإرسالية من خلال فعل الاستقبال ومن خلال تلقيه.

ولا نريد الإكثار من هذه الأمثلة لأن هذا النمط من المروي له لا تخلو منه قصة من هذه القصص، ولا يمكن لأي نص سردي كان أن يخلو من آثاره .

وقد يحاول الراوي غير الممسرح إشراك المروي له الذي هو في الرتبة نفسها بوصفه غير ممسرح في العملية السردية كما هو الحال في قصة " **الملك عادل** " إذ يقول :

(وكنت أتمنى أن تشترك أنت، واشترك أنا في هذا الاحتفال الجميل .) [3].

---

(1) المغامر الجريء، 46 .

(2) الليمون العجيب ، 5.

(3) الملك عادل ، 43 .

مجلة المصدر The Source

وفي قصة " **الأميرة والثعبان** " يقول الراوي :

(ولستُ في حاجة إلى أن اذكر لك أن الأمير والأميرة عاشا بعد زواجهما عيشة سعيدة هانئة ، كلها وفاء وإخلاص طول الحياة.) [1].

أما في قصة " **القداحة العجيبة** " يشرك الراوي/ الكلاب المروي له/ يا سيدي في الفعل السردي، إذ يقول الراوي :

(إن واجبنا قد انتهى . ولستَ في حاجة إلينا يا سيدي بعد الآن .

وقد انتظرنا حتى نرى إحساسك نحو أختك في أيام سعادتك، وتحققنا انك شجاع ولم تنسها مطلقا. وبلغت كل ما تتمنى من الحظ السعيد .) [2].

إذ تتم هنا عملية استجابة من الطرف الآخر لتوجهات الطرف الأول، وأن المروي له هنا يشكل مع الراوي الخط السردي الذي لا يمكن له أن ينقطع طالما أن العملية السردية عملية تبادلية بين الاثنين.

- المروي له المتعدد :

هنا يتبادل الراوي موقعه مع المروي له، ففي الوقت الذي يستثمر الراوي جهوده لتوجيه سرده إلى مروي له، تدخل شخصيات حكائية حيز المشهد القصصي، فتعمل على إثارة جدل واضح في قضية معينة، وهذا الجدل يستوجب حوارا بين هذه الشخصيات، أحدهما يسأل والآخر يجيب ، وهذه الأسئلة والإجابة عنها تؤدي إلى أن يكون الراوي والمروي له في موقع متبادل، على أن كل هذا يتم بتدخل مباشر وقسري من الراوي غير الممسرح الذي يمكن أن نعده راويا إطاريا يوجه خطابه السردي إلى مروي له غير ممسرح / أو مروي له إطاري ينطلق الراوي من وجهة نظر محدد يكشف من خلالها عن طريق تعامل الشخصيات مع بعضها البعض وكيفية تحويلها من راو إلى مروي له أو بالعكس وهذا يعني أن هناك وجهات نظر مختلفة أولها وجهة نظر الراوي الإطاري موجهة إلى مروي له إطاري، والآخر وجهة نظر إحدى الشخصيات فلنقل " س" موجهة إلى " ص" ، ثم وجهة نظر " ص" موجهة إلى " س" وهكذا ...

ففي قصة " **سندريلا**" يقول الراوي :

(لأنها رأت أمامها سيدة وقورا، وفي يدها عصا رفيعة طويلة تخاطبها وتقول لها :

---

(1) الأميرة والثعبان ، 46 .

(2) الراعي الشجاع ، 45 .

مجلة المصدر The Source

عزيزتي النبيلة سندرلا، إني أمك الحورية، وقد حضرت إليك ؛ لأزيل ما تشعرين بـــه من الم. ولا أحب أن أراك حزينة باكية. فاذكري لي لماذا تبكين ؟ وماذا تريدين ؟) [1].

يبرز المروي له في نداء الراوي/ الشخصية وتجسدها هنا السيدة الوقور لسندريلا التي تبرز بوصفها مرويا له ممسرحا، يتم الدخول إلى مسرح الأحداث عبر جملـــة مـــن الأســـئلة تطرحها السيدة على سندريلا: **فاذكري لي لماذا تبكين ؟ وماذا تريدين ؟** فهذه الأسئلة الموجهة تحتاج إلى أجوبة شافية من الطرف الآخر/ الموجهة إليه هذه الأسئلة وهي سندريلا، والتقاليد السردية تحتم على الآخر الإجابة وإلا فانه يعد من باب قلة الحياء وعدم المعرفة بأصول هذه اللعبة وتقاليدها، هنا تغدو سندريلا راويا عندما تجيب على أسئلة الأم الحورية، وهي تقول :

(وقد عجبت سندرلا حينما رأت السيدة واقفة أمامها ، لأنها لم ترها من قبل، وازداد بكاؤها، ولم تستطع في الأول أن تجيب وهي تبكي، ثم قالت :

إني حزينة لهذه المعاملة الشديدة التي اشعر بها؛ فزوجة أبي وبنتاها يعاملنني مثـــل خادم في المطبخ..)[2].

هنا تحولت سندريلا بفعل اللعبة السردية إلى راو ممسرح ، وأصبحت السيدة الوقـــور/ الأم الحورية مرويا له ممسرحا يتلقى السرد بفعل عملية الاستجابة والتلقي، ويستمر الحـــوار بينهما، ويستمران في تبادل الأدوار بينهما، إلا أنهما يشكلان محطة بـــارزة مـــن محطـــات المروي له الممسرح الذي يستغرق في تلقي السرد من الـــراوي بـــسماته وهويتـــه الـــسردية الواضحة داخل الحكاية .

وفي قصة " **أليس في بلاد العجائب** " يبرز المروي له ممسرحا في قول الراوي :

(فقبلتها أختها، وقالت لها: " لقد كان مناما غريبا، يا شقيقتي العزيزة، بدون شك ... فاجري الآن لنتناول الشاي، فقد تأخر الوقت "...) [3].

تتم الإشارة إلى المروي له من خلال فعل النداء: يا شقيقتي العزيزة أولا ومـــن خـــلال الحوار الذي يتم بين الأخت وشقيقتها الصغيرة أليس التي تشكل المدار السردي الأهم بوصفها محور الحدث القصصي، تتبادل الأختان الأدوار من خلال عملية الإرسال والتلقـــي، وهمـــا ممسرحتان، مجسدتان داخل النص، لهما سمات محددة وبارزة من خلال الاســـم أولا/ أليـــس

---

(1) سندريلا ، 16 .

(2) سندريلا ، 16-17 .

(3) أليس في بلاد العجائب ، 46 .

مجلة المصدر The Source

ومن خلال الصفة/ أختها ثانيا، أي أنهما شخصيتان تتحركان على وفق الهوية السردية المسموحة لهما، وكذا الحال في قصة " **الصياد الماهر** " وفي الحوار الذي يتم بين الأبناء ووالدهم، إذ يقول الراوي مهيئا لدخول الشخصيات مسرح الأحداث :

(فلما طار النبأ إلى أخويه، جاءا إلى أبيهما، وقد تقلد كل منهما سيفه، وقالا له :

" اسمح لنا يا والدنا الكريم ! أن نصحب أخانا في رحلته حول العالم، فلن نكون أقل مهارة ممن يملك القوس والسهام وكان الوالد لا يريد أن يدعهم يرحلون، ولا يود في الوقت نفسه، أن يجعلهم يعدلون عن رغبتهم، فقال لهم بعد تفكير قليل :

-" **افعلوا يا أبنائي، ما ترون انه الصواب.)** [1].

نجد التعليقات بارزة وواضحة ودالة على شخصية المروي له الممسرح في الإشارات السردية: **يا والدنا الكريم /يا أبنائي**، إذ إنهما يتبادلان الأدوار طالما أن هناك حواراً، وهذا الحوار يتعلق بسؤال ينتظر جوابا معينا.

وقد يوجه الراوي سؤالا فيحاول الإجابة عنه فيصبح هو في موقع الراوي والمروي له الممسرحان، كما هو الحال في قصة " **أطفال الغابة** " إذ يقول الراوي:

(فقال الملك : من انتم ؟ انتم بلا شك أولادي الذي فقدتهم منذ سنوات .) [2].

إذ كنا في هذه النصوص اشرنا إلى تبادل المواقع بين الراوي والمروي له الممسرحان، فان هذا لا يمنعنا من إضافة تعليق بسيط هو تدخل الراوي غير الممسرح في توجيه السرد وهو يوجه خطابه إلى مروي له غير ممسرح أيضا، فنصبح هنا أمام رواة ومرويين لهم متعددين، مما يظهر وبشكل واضحا تعددا في المواقع والأدوار .

الخاتمة:

إن وجود الراوي ومحاولة استثمار الطرف الآخر كركن أساسي في العملية السردية كونه مشاركا له في العملية السردية، كان أمرا ضروريا لتقبل هذه النصوص على أنها حكايات وقصص موجهة للأطفال .

قامت قصص الأطفال على مجموعة متواليات هندسية لبناء الشخصية القصصية، فظهور الشخصية واختفاء أخرى لا تأتي اعتباطا بل أن ثمة بناء يصمم أساسا لهذه المعمارية،

---

(1) الصياد الماهر ، 5-7 ، وينظر : 47 .

(2) أطفال الغابة ، 43 .

وتتحرك الشخصيات في فضائها المكاني والزماني مرتبطة بتسلسل حكـــائي مـــشدود بخـــيط سردي قوي، ويكون الحدث أساس كل ذلك عبر أساليب سردية تخترق الموضـــوعية تـــارة، وتلج إلى ذاتية الشخصيات ووعيها السردي تارة أخرى مـــع حرصـــها علـــى تبـــادل الآراء والأفكار، وهي في كل ذلك لا تظهر إلا مرتبطة بأوصاف معينة قد تكون للمظهر الخارجي أو أوصافا للمشاعر والأحاسيس وهي قليلة، وتتمثل مقومات قصص الأطفال، ولكي تظهر هـــذه الصورة متكاملة في النصوص القصصية كان لابد من راوٍ ماهر يتسلم رواية الحكاية ومبدع يستطيع ان يصل إلى أعماق المتلقي من خلال ما يرويه، فكان عليه أن يظهر على النحو ظهر فيه من راو غير ممسرح يحاول ان يكون المهيمن والمتسلط في آن واحد، وآخـــر ممـــسرح يتفاعل مع شخصياته ويتاقلم مع الأجواء المكانية ليسلط ن خلالهما الضوء على الحدث الـــذي ظهر هو الآخر بأنساق متنوعة ومختلفة إلا أنها متشابكة ، ولكي تتم هذه الإرسالية الحكائيـــة لابد أن يقف هناك في الطرف المقابل مروي له يستلم الحكاية بشغف ومن دون تدخل، ليكون هو الآخر الشكل المطابق للراوي .

وقد حاولنا استثمار هذه العناصر والانشداد إليها عبر طرقها الحكائيـــة لتكـــون هـــذه الدراسة لعبة سردية أخرى تستند أساسا على اللعبة الأولى/ القصص لتكون اللعبتان في النهاية لعبة واحدة قائمة على الرؤية السردية التي تنظر إلى القصص والحكايات على أنها نـــصوص كاملة لذا فهي تسمح بمثل هذه الدراسات وتستوعب الغاية منها .

المصادر والمراجع:

اولا: القصص

- **أطفال الغابـــة** ، محمد عطية الإبراشي ، ط21، سلسلة المكتبة الخضراء 1، دار المعارف، القاهرة ، 2003 .
- **أليس في بلاد العجائـــب**، عبد الله الكبير، ط21، سلسلة المكتبة الخـــضراء 23، دار المعارف، القاهرة ، 2003
- **الأميرة الحسناء**، محمد عطية الإبراشي، ط21، سلسلة المكتبة الخضراء 6، دار المعارف ، القاهرة ، 2003
- **الأميرة والثعبان**، محمد عطية الإبراشي، ط21، سلسلة المكتبة الخضراء8 ، دار المعارف، القاهرة، 2003 .
- **البجعات المتوحشات** ، عبد الله الكبير، ط21، سلسلة المكتبة الخـــضراء 5، دار المعارف ، القاهرة ، 2003 .
- **البلبل** ، عادل الغضبان ، ط21، سلسلة المكتبة الخضراء 10، دار المعـــارف، القاهرة ، 2003 .
- **البنت والأسد**، محمد عطية الإبراشي ، ط21، سلسلة المكتبة الخضراء 16، دار المعارف، القاهرة ، 2003.
- **جبل العجائب**، نظمي لوقـــا، ، ط21 ، سلـــسلة المكتبـــة الخـــضراء 22 ، دار المعارف ، القاهرة ، 2003 .
- **الجميلة النائمة** ، عادل الغضبان ، ط21، سلسلة المكتبة الخـــضراء 12 ، دار المعارف ، القاهرة ، 2003 .
- **الراعي الشجاع**، محمد عطية الإبراشي، ط21، سلسلة المكتبة الخـــضراء 24، دار المعارف، القاهرة، 2003.
- **السلطان المـــسحور**، محمد عطية الإبراشي، ط21، سلسلة المكتبة الخضراء 3، دار المعارف، القاهرة، 2003 . **سندريلا** ، محمد عطيـــة الإبراشـــي ، ط21 ، سلسلة المكتبة الخضراء 2، ، دار المعارف ، القاهرة ، 2003 .
- **الصياد الماهر**، عادل الغضبان، ط21 ، سلسلة المكتبـــة الخـــضراء 25 ، دار المعارف ، القاهرة ، 2003 .

- **عقلة الإصبع** ، عادل الغضبان ، ط21 ، سلسلة المكتبة الخضراء 14 ، دار المعارف ، القاهرة ، 2003 .
- **الفأرة البيضاء**، عادل الغضبان، ط21 ، سلسلة المكتبة الخضراء 21 ، دار المعارف ، القاهرة ، 2003 .
- **في جزيرة النور**، عادل الغضبان ، ط21 ، سلسلة المكتبة الخضراء20، دار المعارف ، القاهرة ، 2003 .
- **القداحة العجيبة** ، عبد الله الكبير ، ط21 ، سلسلة المكتبة الخضراء 4 ، دار المعارف ، القاهرة ، 2003 .
- **الليمون العجيب**، عادل الغضبان ، ط21 ، سلسلة المكتبة الخضراء 19 ، دار المعارف ، القاهرة ، 2003.
- **المغامر الجريء** ، عادل الغضبان ، ط21 ، سلسلة المكتبة الخضراء 17، دار المعارف، القاهرة ، 2003 .
- **الملك عادل**، محمد عطية الإبراشي ، ط21، سلسلة المكتبة الخضراء 9، دار المعارف، القاهرة ، 2003 .

ثانيا: المصادر والمراجع:

- **أركان الرواية**، ا. م. فورستر، تر: سمر روحي الفيصل ، ط1، جروس برس، طرابلس– لبنان، 1994..
- **البعد ووجهة النظر**، واين بوث، ترجمة:علاء العبادي، مجلة الثقافة الأجنبية، بغداد، ع (24)، 1992 .
- **بناء الحدث في قصة الحرب العراقية القصيرة، – دراسة تحليلية**، هبة محمد هاشم، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات، جامعة تكريت، 2009 .
- **بناء الرواية – دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ**، سيزا أحمد قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984 .
- **البناء الفني في الرواية العربية في العراق**، شجاع العاني، دار الشؤون الثقافية، بغداد ، 1994 .
- **البنية والدلالة في روايات إسماعيل فهد إسماعيل**، عمر صبحي محمد، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2002 .

مجلة المصدر The Source

- **تأويل النص الروائي في ضوء علم اجتماع النص الأدبي**، عبد الهادي احمد الفرطوسي، ط1، بيت الحكمة، بغداد ، 2009 .
- **تحليل الخطاب الروائي، (الزمن، السرد، التبئير)**، سعيد يقطين، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1989.
- **تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي**، يمنى العيد، ط1، دار الفارابي، بيروت، 1990 .
- **جماليات التشكيل الروائي، دراسة في الملحمة الروائية "مدارات الشرق "**، محمد صابر عبيد– سوسن البياتي، ط1، دار الحوار، دمشق، 2008 .
- **جماليات التشكيل السردي في قصص حميد حسن**، رمضان علي عبود، كلية التربية، جامعة تكريت، أطروحة دكتوراه، 2009 .
- **دراسات في الرواية الأمريكية المعاصرة**، مجموعة نقاد، تر: عنيد نشوان رستم، دار المأمون للنشر، بغداد ، 1989 .
- **دراسة في البناء الفني في خماسية " مدن الملح"**، حسين حمزة الجبوري، ط1، سلسلة رسائل جامعية، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2004 .
- **الراوي في الرواية الأردنية بين جيلين – دراسة نقدية تطبيقية**، أسمهان علي العقيل، ط1، أمانة عمان الكبرى ، الأردن ، 2008 .
- **الرحلة الخيالية في الأدب العربي– دراسة في بنيتها السردية من خلال قصص ألف ليلة وليلة**، مصعب عبد اللطيف عبد القادر الأنصاري، كلية التربية، جامعة البصرة، 2000.
- **السردية العربية–بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي**، عبد الله إبراهيم، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992 .
- **سيميائية النص السردي**، عبد الهادي الفرطوسي، اتحاد الأدباء، بغداد، 2007 .
- **السيميائية والنص الأدبي**، أعمال ملتقى معه اللغة العربية وأذابها، جامعة عنابة– باجي، منشورات جامعة عنابة باجي مختار ، الجزائر ، 1996 .
- **الشعرية**، تزفتيا نتودورف، ترجمة:شكري المبخوت– رجاء بن سلامة، ط2، دار توبقال، المغرب، 1990.

- **الصوت الآخر– الجوهر الحواري للخطاب الأدبي**، فاضل ثامر، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1992.
- **العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي**، محمد فكري الجزار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1998.
- **القارئ الضمني – أنماط الاتصال في الرواية من بينيان إلى بيكيت** ، ولفكانكايزر، تر: هناء خليف غني الدايني، ط1 ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 2006 .
- **قضايا الشعرية**، رومان جاكبسون، ت : محمد الولي – مبارك حنون، الدار البيضاء، المغرب، 1988 .
- **قضايا الفن الإبداعي عند دوستوفسكي**، م. باختين ، تر: جميل نصيف التكريتي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986 .
- **المتخيل السردي–مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة**، عبد الله إبراهيم، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1990 .
- **مدخل إلى نظرية القصة– تحليلا وتطبيقا**، سمير المرزوقي– جميل شاكر، الدار التونسية للنشر– ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر، د.ت .
- **المروي له في الرواية العربية الجديدة، الشكل، الموقع، الوظيفة**، رزوقي عباس مبارك، كلية الآداب، جامعة البصرة، 1994 .
- **الملحمية في الرواية العربية المعاصرة**، سعد عبد الحسين العتابي، ط1، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2001 .
- **نظريات السرد الحديثة**، والاس مارتن، تر: حياة جاسم محمد، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، 1998 .
- **نظرية الرواية – دراسة لمناهج النقد الأدبي في معالجة فن القصة**، السيد إبراهيم ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، 1998 .
- **النقد الأدبي الحديث** ، محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر ، القاهرة ، 1973 .
- **النقد الأدبي الحديث، 553.**

- **وجهة نظر في روايات الأصوات العربية**، محمد نجيب التلاوي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000.

السيرة العلمية:

أ.م.د.سوسن هادي جعفر حاصلة على لقب أستاذ مساعد في 11/29/ 2010 .

- حاصلة على شهادة البكالوريوس في آداب اللغة العربية / كلية التربيـــة / الجامعـــة المستنصرية /1994 .
- حاصلة على شهادة ماجستير آداب اللغة العربية / كلية التربيـــة للبنـــات / جامعـــة تكريت /2000 .
- حاصلة على شهادة الدكتوراه في آداب اللغة العربية /كلية التربية / جامعة تكريـــت 2005 .
- حائزة على جائزة الشارقة للإبداع العربي /الدورة الثالثة عشرة بالمرتبة الثانية فـــي النقد الأدبي عام 2010. .
- صدر لها العديد من الكتب المؤلفة والمشتركة مع نقاد وأكاديميين مـــن الجامعـــات العراقية والعربية .
- نشرت العديد من البحوث في المجلات العلمية الرصينة داخل وخارج العراق .
- شاركت في العديد من المؤتمرات العلمية داخل العراق وخارجه .
- ناقشت العديد من الرسائل والأطاريح في الجامعات العراقية .
- مرشحة لنيل درجة الأستاذية في الأدب الحديث ونقده.

الجغرافيا

الخصائص المعمارية للمسكن الريفي
في الأندلس والمغرب وتلمسان
(دراسة مقارنة من خلال بعض النماذج)

محمد رابح فيسة

جامعة تلمسان الجزائر

ملخص:

إن الغرض من إعداد بحثنا هذا هو الإحاطة بموضوع يندرج ضمن خانة المواضيع البارزة في ميدان علم الآثار ألا وهو موضوع العمارة الريفية والذي نتطرق من خلاله على وجه الخصوص إلى إبراز خصائص ومميزات المسكن الريفي، ففي البداية نتطرق إلى عوامل نشأة التجمعات السكنية في الريف بحكم أن المسكن هو الخلية الرئيسية فيها، ومساهمة هذه العوامل بقدر كبير في تكوين ما يصطلح عليه بالعمران الريفي أو حياة المجتمع القروي، كما تم بعد ذلك بتوضيح العلاقة الموجودة بين المسكن الريفي ومدى التشابه في مخططاته المعمارية وأقسامه الداخلية، حتى وإن اختلفت المناطق التي ينتمي إليها ساكنوه، لذا تم اختيار نماذج من مخططات المنزل الريفي في كل من بلاد الأندلس والمغرب وتلمسان بالإضافة إلى الحديث عن العلاقة الموجودة بين مخطط المنزل الريفي بتلمسان ونظيره في منطقة القبائل الكبرى وبالتحديد منطقة بجاية، للوصول إلى أهم المميزات والخصائص التي نجدها تشكل دائما المحور الرئيسي في المسكن الريفي وأقسامه بصفة عامة.

Architectural characteristics of the rural homes in Andalusia, Morocco and Tlemcen (compared to a study by some models)

Abstract :

The purpose of this study is to take the subject is considered among the most prominent topics in archeology that is, the subject of rural architecture, which we address in which, in particular, to highlight the characteristics and advantages of rural housing, In the beginning, we address the emergence of residential areas in the countryside by the fact that housing is a factor Home where the cell, and the contribution of these factors significantly to the formation of what is termed the rural to construction or the life of the rural community, and then we clarify the existing relationship between the rural housing and the extent of the similarity in architectural plans and internal divisions, even though different areas to which he belongs Saknoh, so we select models of the rural home schemes in both the Andalusia and Morocco, as well as the countryside Tlemcen in addition to talking about the relationship that exists between the rural home of Tlemcen scheme and his counterpart in the Greater Kabylie region, specifically the Bejaia region, to conclude then to the most important features and characteristics that we find always constitute the main focus in the dwelling rural sections in general.

مقدمة:

لقد واكب تطور العمارة بشكل عام، والعمارة السكنية بشكل خاص، عنصر الإنسان الذي دفعته حاجاته الطبيعية إلى التجمع والاستقرار، ويمكن أن يقرأ تطور الإنسانية بأكملها فيسِجل الحلول السكنية التي مافتئ الإنسان يطورها تبعا لمعطيات تقدمها الاجتماعي والصناعي والعلمي والمعرفي، وبما أن الثقافة في مفهومها العام تعني علاقات الإنسان بعالمه المحيط، تصبح العمارة التجسيد المادي الأبرز لثقافة الإنسان ولمقدرته على التكيف مع التقدم الذي يحرزه في شتى مجالات الحياة، لذا فإن استقرار الإنسان خاصة البدوي في البداية كان في الكهوف والمغارات كما عبر ابن خلدون عن ذلك في مقدمته بأن أهل البدو يأوون إلى الغيران أو الكهوف وهؤلاء هم سكان المد اشر(*) والقرى والجبال وهم عامة البربر والأعاجم ومع تحول نشاط الإنسان نحو الزراعة، هجر تلك المغارات واتّجه نحو الأراضي التي تنتج قُوته ليستقر فيها، ويبني بيوتا من المواد الموجودة في محيطه كالماء مثلا والقش والتراب في السهول، أو الحجارة وأغصان الأشجار في الجبال[1]، ليتطور فيما بعد مفهوم هذه البيوت والسكنات التي نجدها اليوم في شكل تجمعات تقليدية بسيطة، يطلق عليها في الكثير من الأحيان مصطلح القرية أو الدشرة أو حتى الدوار في المفهوم الشعبي، والتي تكون في مجملها مجموعة من المنازل والمساكن التي تجمع سكانها علاقات اجتماعية قوية ترتسم من خلالها المعالم الأولى للحياة الريفية، وإذا كان الحال كذلك فما هي خصائص المنزل الريفي عموما وما هي تفاصيله المعمارية وما مدى أهميتها ؟ وللإجابة على هذا الإشكال قمنا باختيار نماذج من المسكن الريفي ببلاد الأندلس والمغرب وكذلك ريف تلمسان وقمنا بعملية المقارنة بين التفاصيل والخصائص المعمارية كمنهج لاستخلاص أوجه التشابه والاختلاف بين ذلك كله .

عوامل تكون التجمع السكني في الريف :

إن المسكن الريفي في داخله هو جزء من محمية كبيرة والمتمثلة في القرية، حيث تشكل في مجموعها المجتمع الكبير الذي يضم سكان هذه البيوت، ولدراسة المسكن بشكل مستقل لابد من دراسة القرية أولا كتكوين عام والأسباب والظروف التي أدت لهذا التكوين، ولو تفحصنا المخطط العام لأي قرية لوجدناها غير منتظمة بشكل هندسي معين أو مسبق وإنما نلاحظ هذا

---

*- المداشر:جمع دشرة والمراد بها التجمع السكني الذي يقع بالمناطق الريفية وتسمى أيضا بالدوار أي التجمع السكني الذي يتخذ الشكل الدائري.

(1) عبد الرحمان ابن خلدون، **كتاب المقدمة**، تحقيق: عبد السلام الشدادي، ط1، بيت الفنون والعلم والآداب، الدار البيضاء، 2005، ص، 193، 67. وانظر:- روافد، الاستثمار في الموارد الثقافية، **سلسلة الموارد الثقافية في وادي النضارة، العمارة التقليدية**، دمشق، سورية، بدون سنة، ص1، - غوستاف لوبون، **حضارة العرب**، ترجمة:عادل زعيتر ط4، دار إحياء الكتب العربية، مصر، 1964، ص353، 352.

مجلة المصدر The Source

النمو العفوي لنسيج القرية حيث نرى المنازل متلاصقة ومتداخلة مع بعضها ومتراكمة، ونلاحظ الأزقة والدروب الضيقة والمتعرجة ولهذا التركيب والتلاصق أسباب وعوامل نوردها فيما يلي:

1- العامل الاجتماعي:

يتفق بعض الباحثين مع ما يراه ابن خلدون أن البيت هو مهد العصبية[1]، ففيه تنشأ أواصر القرابة وهو الذي يجمع أعضاء العائلة الواحدة التي تعتبر نواة التركيب الاجتماعي التي تكون فيها العصبية في أشد قوتها ثم تتدرج إلى أن تتلاشى فعصبية الأبوة والبنوة أقوى من عصبية الأخوة وهذه أقوى من العمومة وهكذا، ويقابل هذا التدرج الاجتماعي تدرجا فضائيا داخل الحي السكني، وبذلك تتجسد قرابة النسب في قرب المكان أو الجوار الذي يثبت مدى التلاحم الأسري[2]، فالبيت الذي ينشأ على أساس الأسرة النووية (الأب، الأم) يتوسع بعد سنوات للأبناء والبنات، ويزداد توسعا بعد زواج الأبناء وقد يجتمع لذلك في البيت الواحد المتسع عدة أفراد، ونلاحظ من خلال العلاقات الاجتماعية في القرية بأنها متينة وقوية ومتحررة نوعا ما، جاء هذا الشيء نتاجا لعاملين أساسيين هما:

أولا: هو صلة القرابة التي تربط سكان القرية، فمعظم سكانها تجمعهم روابط وأواصر أسرية متينة، وذلك عن طريق المصاهرة والتزاوج مما أدى إلى توطيد العلاقات الاجتماعية في القرى الريفية بصفة عامة [3].

ثانيا: احتكاك سكان القرى ببعضهم البعض من خلال ممارسة النشاطات الفلاحية التي تحتاج إلى أيادي عاملة كثيرة وخاصة عمل النساء الذي أدى إلى نوع من الانفتاح الاجتماعي[4]، حيث كانت المشاركة في العمل تؤدي إلى الخلط بين الجنسين والتقائهم ببعضهم

---

(1) – ابن خلدون، **مصدر سابق**، ج1، ص216. وانظر: – مصطفى بن حموش، **مرجع سابق**، ص26. – مصطفى التليلي، **قفصة والقرى الواحية المجاورة حول الحياة الجماعوية من بداية القرن 18 إلى 1881**، جمعية صيانة مدينة قفصة ، 2009، ص137.– مصطفى شاكر، **المدن في الاسلام**، حتى العصر العثماني، ط1، ج2، دار السلاسل الإسلامية، 1988، ص52.

(2)Luca Ortelli, Bruno Marchand, MarielleSavoyat,**Typologie de logements marocains, Modèles d'habitats entre persistances et mutations**, Lausanne, Février 2011, p77. Voir aussi :

–CORPUS, Architecture traditionnelle méditerranéenne, **Maison urbaine** –5**style arabo-andalou, Maroc, 2001, p.2.**

(3)Luca Ortelli, Bruno Marchand, Marielle Savoyat, **op-cit**, p27

(4) عهد خزام، **العوامل المناخية والبيئية وأثرها على تطوير المسكن الريفي (المنطقة الساحلية مثالا)**، مجلة جامعة البعث، المجلد24، العدد 4، دمشق، بدون تاريخ ، ص142، انظر:– شويشيزهية، **مجتمع**

مجلة المصدر The Source

البعض، مما أثر في البيت الريفي بحيث أننا لا نجد فيه حواجز بين قسم الرجـــال والنـــساء، وإنما يشكل البيت فراغا واحدا يستخدم للنوم والطعام والمعيشة ، وهذا الاندماج الاجتمـــاعي جعل القرية تعتبر عائلة واحدة والداخل إلى بيت من بيوتها يعتبر فردا من أفرادها وهـــو مـــا اشتهرت به أرياف كثير من المدن الهامة في التاريخ الإسلامي، كتلك المنتشرة في الحـــوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط كبلاد الأندلس والمغرب الكبير.

2- العامل النفسي للإنسان:

يميل الإنسان بطبعه إلى تكوين مجتمع متحضر يدافع عنه ويحميه، وهذا ما دفع السكان إلى تكوين تلك التجمعات السكنية المتلاحمة البنيان على المستويين المعنوي والمادي، حيث نجد الروابط الأسرية والعلاقات الاجتماعية متجذرة في تلك القرى، تغذيها العديد من العوامل والأسباب مثل العمل المشترك في الحقول وجني المحاصيل، وكذلك حضور المناسبات السنوية والاحتفال بها جماعيا[1].

3- العامل الديني:

تحث الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في كثير من المواضع المؤمنين على التراحم والترابط فيما بينهم كقول الله تعالى (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا)[2]، كما أوصانا النبي صلى الله عليه وسلم بأن نكون كالبنيان المرصوص الذي يشد بعضه بعضا، ولذلك فإن تداخل البناء وتماسكه جزء من الأدب العمراني الإسلامي، ومن الطريف في القرى والأرياف التي تتداعى مبانيها اليوم بسبب الإهمال وعدم الصيانة أنها عندما تنهار الدار الواحدة فإن الدور الأخرى المحيطة بها والملاصقة لها تبدأ هي الأخرى بالتآكل والانهيار التدريجي، وذلك بفعل الاشتراك في الحوائط والسقوف والأسس وقد تكون توصية الرسول صلى الله عليه وسلم للمؤمنين بتقديم

القصور، دراسة في الخصائص الاجتماعية والعمرانية والثقافية لقصور مدينة تقرت، مذكرة ماجستير في علم الاجتماع الريفي، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005-2006، ص21، - كريمة بوحريق، **تغير البناء العائلي في المجتمع الريفي الجزائري، دراسة ميدانية بريف الأبيار بلدية الحاسي (ولاية باتنة)**، مذكرة ماجستير في علم الاجتماع الريفي، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2009 -2010، ص78.

(1) عهد خزام، **مرجع سابق**، ص140.

(2) سورة آل عمران، آية 103.

مجلة المصدر The Source

المعونات بعضهم لبعض مثل السماح للجار بغرز خشبه والاشتراك في الجدران هي العامل الأساسي في نشأة هذا التلاحم بين المباني الذي يغلب طابعه على القرى والأرياف[1].

المواصفات العامة للمنزل الريفي بالأندلس والمغرب وتلمسان:

1- المسكن الريفي بالأندلس :

تميزت دور الفلاحين وسكان قرى الأندلس وريفه بالبساطة وعدم التكلف فقد احتوت في الغالب على طابق واحد، لكنها واسعة لوجود تربية الحيوانات بها وما تحتويه من الزرائب، ويختلف شكل المنزل وسعته حسب المستوى المادي والمكانة الاجتماعية للأسرة ومرتبتها، وقد كانت لبيوت الفلاحين عرصات تجري فيها الحيوانات والأبقار، أما بيوت الفقراء فقد كانت تحتوي على جنان بها الصهاريج والآبار والسواقي ومساحات شاسعة فيها الأشجار، وأعدت بها المجالس وتختلف مساحة دار العوام من دار لأخرى واستخدم سكان الريف الأندلسي في بناء المساكن المواد المحلية غير المكلفة مثل الطوب المصنوع من الرمل والتراب أو من الرمل والتبن المسحوق، واستعمل الحجر في بناء الأساسات، كما هيئت السقف من الحطب وذلك باستعمال جذوع الأشجار القوية، كما يحتوي المنزل على باب خشبي غالبا، ثم نجد ممر ضيق يؤدي إلى الفناء الذي يعتبر عنصرا هاما في حياة العائلة فهي تقضي فيه أوقاتها أثناء الفراغ وتمارس فيه المرأة أعمالها، كما أنه يشكل غرفة معيشة خاصة في فصل الصيف، ويعتبر البئر من بين أهم العناصر الحيوية في المنزل الأندلسي الذي غالبا ما تزرع حوله الأشجار، كما أن الأهالي يشربون من مياهها، ويحتوي المنزل في ساحته على عنصر الفرن المعد لصنع الخبز كما توجد به المطاحن الثابتة والمتحركة، ولا يستغني المنزل الريفي عن عنصر المرحاض ويتخذ موضعا في أركان المنزل أو قريب من السلم، وتكون له حفرة متصلة بالمنزل، وإذا احتاج السكان إلى التوسيع في المنزل فإنهم يبنون طابقا علويا يصعد إليه بسلم خشبي مما يدل على سعة صاحب المنزل، ويختلف أثاث المنزل الريفي من منزل لآخر حسب الحالة الاقتصادية[2].

---

(1) مصطفى بن حموش، **جوهر التمدن الإسلامي دراسات في فقه العمران الإسلامي**، ط1، دار قابس ، لبنان ، 2006، ص51. وانظر:-

- Luca Ortelli, Bruno Marchand, Marielle Savoyat, **op-cit**, p77.

(2) يحي أبو المعاطي محمد عباسي، ج1، **الملكيات الزراعية وآثارها في المغرب والأندلس(238-488هـ)(852-1095هـ)**، ج1، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ الإسلامي جامعة القاهرة، القاهرة، 2000، ص851.أنظر:

André bazzana**, La maison rurale dans la péninsule ibérique :un atelier d'ethno-archeologie**,in ruralia4,(pamatky archeologické-upplementum15),prague,p.216.

مجلة المصدر The Source

2- المسكن الريفي بالمغرب[1]:

يتخذ المنزل المغربي في الغالب شكلا غير منتظم[2]، وفي بعض الأحيان يتخذ الشكل المربع ويحتوي على مدخل واحد يتصل بغرفة تحاذيها ثلاث غرف أخرى في باقي الواجهات الداخلية، كما يحتوي على الفناء الذي يحتل تقريبا نصف مساحة المسكن، ويوجد به درج يؤدي إلى الطابق الأول الذي يتخذ نفس الشكل مع الطابق السفلي، حيث الخدم والماشية التي تعتبر ميزة من ميزات المسكن الريفي بالمغرب ويبني المغاربة منازلهم الريفية بمواد طبيعية محلية والمتمثلة في الطابية[3]، أو الآجر والجبس والرخام وقد يستعملون الحجارة عند انعدام التراب، كما يتم تدعيم الأسطح والسراديب بأعمدة تكون على شكل جذوع من مادة الخشب مجردة من قشرتها، ويتسع أعلاها لتحمل ثقل الأخشاب العمودية، ويصنع الباب المغربي من أخشاب مسمرة في إطار عوارض عمودية، وقد تميز البيت الريفي المغربي بالبساطة فقد بني من الحجارة والطين والخوص والشجر، واشتملت هذه المنازل على أثاث متواضع كالسرير مثلا، واستخدم الحطب في التدفئة في الشتاء كما أن هذه المنازل كانت تضاء بالسرج والمصابيح[4].

3- المواصفات العامة للبيت الريفي بتلمسان :

يتجلى لنا من خلال ما سبق ذكره عن المنازل الريفية ببلاد الأندلس والمغرب مدى التشابه الكبير بينها وبين المنزل الريفي بتلمسان من حيث تصميمه العام من الداخل وشكله التخطيطي الذي لا يخضع لشكل معين بل إن طابع العفوية في التصميم واللانظامية هو الغالب

- José Luis Garcia-grinda, **Connaître l'architecture traditionnelle pour la mettre en valeur,L'architecture traditionnelle méditerranéenne Territoire, paysage et architecture traditionnelle**,in,la Connaissance,p50**.**

(1) – عن المنزل الريفي بالمغرب أنظر:

- Mickael peyron, **Habitat rural et vie montagnarde dans le Haut Atlas de Midelt, Maroc,** In: Revue de géographie alpine. Tome 64, N°3 1976, pp. 327-363.

(2)- Luca Ortelli ,Bruno Marchand, Marielle Savoyat, **op-cit, p77**

(3) – J.-P. Molénat et J. Passini, **L'emploi de la terre dans la construction en nouvelle castille à la fin du moyen âge, L'architecture de terre en méditerranée,** Seri colloque et seminaire N°80, Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines –Rabat, sans date, p122.

(4) - Luca Ortelli, Bruno Marchand, Marielle Savoyat, **op-cit,** p70**.**

عليه، بحيث يكشف لنا المسكن الريفي بتلمسان صورة أخرى من صور الحياة الاجتماعية لسكان الريف ومدى تمسكهم بعاداتهم وتقاليدهم وموروثهم الثقافي الذي ورثوه عن أجدادهم، حيث اصطبغت مساكنهم بهذه الصبغة الثقافية من خلال مخططاتها وتصاميمها الداخلية فقد بنيت وفق فكر معين تراعى فيه الكثير من المصالح سواء على مستوى الفرد أو الجماعة، فجمع هذا البيت أكثر من نشاط في آن واحد فكان غالبا ما يستخدم للسكن وللتخزين ولتربية المواشي والدواجن، وأما بالنسبة لنمط الكتلة العمرانية ونمط المباني في هذه القرى فهي ليست مجرد كتلة من المباني بقدر ما هي مركب يتكون من وظائف تتشابك مع بعضها البعض وتتفاعل دائما فيما بينها، وكما ذكرت سابقا كباقي أغلب القرى الريفية، وهي كتلة بنائية قديمة ذات النسيج العمراني غير المنتظم، والذي يميز هذه المباني أنها متشابهة نوعا ما في طريقة البناء ومواده، فنجد البيوت التي كانت تقطنها عائلات بسيطة مبنية من اللبن الطين والتبن والحجر ومسقوفة بجذوع الأشجار الضخمة والطين والحجر، مما دل على أن مفهوم البقاء والاستدامة كان موجودا عند السكان القدامى للمنطقة، ويبرز ذلك أيضا من خلال طريقة عيشهم وفي نمط حياتهم الذي بني أساسا على البيئة المحيطة والتي شكلت على مر التاريخ وإلى غاية اليوم مصدر هذه الحياة، وبالتالي فإنهم عاشوا مفهوم البقاء وطبقوه بشكل عفوي ولم يستخدموه كمصطلح بل عبروا عليه بطريقة عيشهم وكيفية توفير مصادر العيش والأسلوب الذي يبنون به، ولقد ضمن استغلال الموارد الطبيعية جزءا هاما من بقائهم على هذه الأرض بالتوافق معها واستغلال ماتجود به من خيرات والتكيف مع الظروف الصعبة كالمناخ القاسي وندرة بعض الموارد[1]، وجميع هذه المباني مكونة من طابق واحد أو اثنان، وإن وجد الطابق الثاني فهو يدل على المكانة الاجتماعية للأسرة، وكان البيت مكونا من عدة غرف على الأغلب، وكانت تضاف لهذا البيت عدة غرف صغيرة تستعمل للتخزين ولتربية المواشي والدواجن، وكان غالبا ما يتم عمل فتحة في الأرض وهي بمثابة غار كما يسميه أهل المنطقة وهو لتخزين المؤونة وللاحتماء من حر الشمس أيام فصل الصيف، كما تستعمل في تخزين علف الدواب، وقد احتوت هذه المغارات داخل المنازل فتحات في الأعلى لتهويتها وذلك حتى لا تفسد المواد المدّخرة فيها، فتترك مفتوحة بالصيف كي يخرج الهواء الساخن والرطب من الأعلى حتى لا يتجمع بالأسفل وتتعفن الحبوب أو التبن، وهذه البيوت كانت ملتصقة بعضها البعض فتكون مشتركة مع بعض بجدار أو جدارين، وكانت تشكل كتلة تسمى بالحوش أو الفناء الذي يستعمل

---

(1) – مها صباح سلمان الزبيدي وبهجت رشاد شاهين، **مبادئ الاستدامة في العمارة التقليدية وفق المنظور الإسلامي** قسم الهندسة المعمارية، كلية الهندسة، جامعة بغداد، بدون سنة، ص80. أنظر:– باسم عيسى عبد الرحمان ظاهر، **تشكيل وتوجيه التنمية الريفيّة في الريف الفلسطينيّ حالة دراسيّة قرية بيت ايبا**، مذكرة ماجستير في هندسة العمارة، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح، فلسطين، 2009، ص12.

مجلة المصدر The Source

لأشغال الحياة اليومية كالطبخ والغسيل[1]، وكان لكل حوش موقد مشترك تتناوب نساء الحوش على إبقائه مشتعلا والحطب فيه، وأغلب هذه البيوت تكون من طابق أو طابقين وغالبا ما كان الطابق الأرضي يستخدم للتخزين وأحيانا لتربية المواشي والدواجن، وغالبا ما كان المبنى مكونا من غرفة في الطابق الأرضي وغرفة في الطابق العلوي تسمى (غرفة) وأحيانا كانت مكونة من غرفتين في الطابق الأرضي وغرفة في الطابق العلوي، أو غرفتين في الطابق الأرضي وغرفتين في الطابق العلوي، والذي يحكم عدد الغرف هو إمكانيات العائلة ومقدرتها الاقتصادية ومكانتها الاجتماعية وعدد أفرادها، وكان كل بيت له موقده الخاص به.

أما بالنسبة للبيت من الداخل فكان عبارة عن عدة غرف تستخدم للنوم والضيافة، أما الطبخ فكان يتم في المطبخ الذي يحتوي على مدخنة تظهر من خلال المظهر الخارجي للمنزل وبدخانها المتصاعد، إذ أنها تعتبر الجزء الأعلى من كل منزل ويتم إضرام النار فيها بالطرق التقليدية المتمثلة في استعمال الحطب الذي يتم جلبه من الغابات المجاورة، وأما بالنسبة لمحتويات المنزل فقد سمحت سماكة الجدران لعمل ما يسمى بالحنيات لتخزين المواد الغذائية للاستعمال اليومي، وهناك حنيات كبيرة تستخدم لوضع الفراش وسجاد البيت داخلها.

أما المرحاض فكان عبارة عن حفرة صغيرة تكون عادة في طرف مستقل من المنزل فوق حفرة امتصاصية.

وهذه المباني ذات الطابق أو الطابقين معظمها متصلة بعضها البعض، حيث كانت تشكل ما يسمى بالحوش الذي يتحول في فصل الصيف إلى فضاء للجلوس خاصة في الليل وحتى إلى مكان للنوم في الليالي التي تشتد فيها الحرارة، وبه تنجز أعمال منزلية أخرى مثل ندافة الصوف وغزله، وتكتل عدة أحواش كان يشكل بما يسمى بالحي السكني، وهناك من القرى ما كان يضم حيين سكنيين كقرية الثلاثا التي تضم حي المغانين وحي الجعالين.

من الملاحظ حول تكامل مباني القرية سواء أكانت للأغنياء أم للبسطاء، فمادة البناء واحدة، وتقنية البناء واحدة، واللون واحد في غالب الأحيان، لكن الفرق البسيط هو عدد الغرف أو الطوابق التي لا تزيد عن طابقين وشكل المنزل ومخططه الداخلي، فالنسيج متكامل دون فروقات مميزة تلفت النظر.

---

(1) – محمد علي الكحلوت، **قراءة تقييمية للمدينة الإسلامية وأسس تخطيطها**، قسم الهندسة المعمارية، غزة، بدون سنة ص11. وانظر:– علي ثويني، **المنحى البيئي في العمارة الإسلامية**، مجلة ينابيع، العدد 25، 1429هـ، ص118.

مجلة المصدر The Source

أما بالنسبة لمصادر المياه ففي المناطق التي كانت تكثر فيها الينابيع كانت تنقل المياه بالقرب والجرار على رؤوس النساء وأحيانا كانت تستعمل الدواب، وكانت تجمع المياه في آنية فخارية كبيرة ووسائل أخرى ، إذ أن الملاحظ أن المنازل الريفية بتلمسان لا نجدها تحتوي على عنصر البئر كما هو الحال داخل منازل المدينة أو المنازل في الأندلس، وهذا راجع إلى كون المنطقة غنية بمصادر المياه الطبيعية .

أما شبكة الطرق القديمة فكانت متعرجة وبدائية استعملت في تهيئتها الحجارة وفي كثير من الأحيان نجد هذه المسالك والطرق الصعبة على طبيعتها أي أنها هيأت طبيعيا من كثرة ما تطؤها الأقدام وأنها غير مرصوفة بالحجر.

لقد أظهرت عملية المقارنة التي أجريت بين مخططات معمارية لمنازل ريفية من الأندلس(*) والمغرب(**) وتلمسان[1] (المخططات3، 2، 1، 4)، أنها اتبعت نفس التقاليد المعمارية ، وتظهر جليا من خلال شكلها الخارجي ونجد فيها الأسقف تظهر بشكل مسطح (الصور:3، 2، 1) واستعملت فيها مواد بناء بسيطة اعتمد فيها على المواد المحلية التي تميز سائر المناطق الريفية، أما عن المداخل الرئيسية لهذه المنازل فيبدوا أنها مداخل بسيطة خالية من الزخارف والعقود، وعن الشكل الداخلي للمسكن فقد احتوى نفس الأقسام المعمارية، فقط يكمن الاختلاف في موضع هذه الأقسام من المنزل وفي بعض الأحيان تختلف التسمية أو المصطلح الخاص بها، وقد تبين لنا من خلال الجدول رقم (1) الخاص بمقارنة أقسام المسكن الريفي في كل من الأندلس والمغرب وتلمسان أن نفس المخططات تتكرر غير أن شكلها الداخلي غير منتظم، كما أن توزيعها يختلف حسب مساحة المنزل ، فهي تتكون في مجملها من الغرف الخاصة بالنوم والضيافة التي تنتشر حول الفناء أو ما يعرف ب (الحوش) في لغة أهل المغرب وتلمسان أو الصحن ويسمى أيضا بالفناء أو الفراغ المكشوف، ولا بد من الإشارة

---

*- لتفاصيل أكثر عن مواصفات المنزل الريفي بالأندلس أنظر:- يحي أبوا المعاطي محمد عباسي، **مرجع سابق** 2000.ص851.

-Mickael peyron, **op-cit , pp. 327-363.

- J.-P. Molénat et J. Passini, **L'emploi de la terre dans la construction en nouvelle castille à la fin du moyen âge, L'architecture de terre en méditerranée,** Seri colloque et séminaire N°80, Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines –Rabat, sans date, p122.

(1) – مدينة تلمسان مدينة تقع بالغرب الجزائري وتبعد عن العاصمة الجزائر بحوالي 550كلم، وقد اعتبرها الزيانيون عاصمة لهم ، فهي مهد حضارتهم ومركز حكمهم .انظر في ذلك، محمد رمضان شاوش، **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، الجزائر1985، ص25، – محمد عمرو الطمّار، **تلمسان عبر العصور**، الجزائر 1984م، ص45، 46.

هنا بأن عدد الغرف في المنزل الريفي قد يزيد أو ينقص من مسكن إلى آخر وذلك لعدة أسباب، لعل أبرزها عدد أفراد الأسرة الريفية الذي يبلغ أحيانا عشرة أفراد، ففي كثير من الأحيان تضم العائلة الواحدة عدة أسر بحيث تتكون من الأبناء والآباء بالإضافة إلى أرباب العائلة الممثلين في الأب والأم، كما أن الحالة المادية للعائلة تتحكم أيضا في حجم المنزل ومساحته فكلما كانت الحالة الاقتصادية ميسورة كلما وجدنا أكبر عدد من الغرف وأحيانا عدد الطوابق التي لا تزيد عن الطابق بطبيعة الحال، كما أن عنصر المطبخ في المنزل الريفي يعتبر من بين أهم العناصر في مخططات المنازل الريفية والذي نجده بأشكال مختلفة وفي بعض الأحيان يضم المنزل الواحد عدة مطابخ (المخطط رقم :2، 1)، ويضم بداخله عنصر الموقد الذي يستعمل للطهي وفي بعض الأحيان للتدفئة علما بأن الكثير من العائلات الريفية تستغل وقت الغداء أو العشاء وهي مجتمعة داخل المطبخ خاصة في أيام البرد، هذه المواقد تنتهي في أعلاها بمداخن يمكن ملاحظتها من خلال المظهر الخارجي للمنزل، وقد احتوى المنزل الريفي عنصرا هاما في حياة المجتمع الريفي ألا وهو عنصر الإسطبل(*) كما أن المنزل المغربي أيضا ضم هذا العنصر الحيوي الذي يشكل مصدر رزق هام بالنسبة لسكان القرية، أما عن مخطط المنزل ببلاد الأندلس فلم يضم عنصر الإسطبل وذلك ربما استعمال أهل الأندلس هذا العنصر بمعزل عن المسكن الرئيسي، كما أن المنازل في الريف التلمساني استعملت فيها الطوابق وحتى في المغرب غير أن مخطط منزل الريف الأندلسي اعتمد على طابق واحد في النموذج الذي قمنا بدراسته حتى أن عنصر الفرن في المنزل المغربي جاء خارج المنزل بينما في المنزل الريفي بتلمسان نجده داخل المطبخ ولا يظهر له موقع داخل المنزل الريفي بالأندلس نتيجة استعماله ربما في الخارج، وقد اعتمد سكان الريف التلمساني والمغربي المياه الطبيعية من الأودية والأنهار المجاورة للقرى في حياتهم اليومية بينما نجد أن عنصر البئر في منزل الريف الأندلسي هو من العناصر الأساسية فيه، ويظهر عنصر الغار كما يسميه السكان أو القبو في مخطط المنزل الريفي بتلمسان، في حين أن المنزل الريفي المغربي والأندلسي يخلوا من هذا العنصر ولعل الاختلاف في التكوين الداخلي للنماذج الثلاث تحكمت فيها الطبيعة والمحيط وكذلك النمط العمراني المتفاوت المستوى بين بلاد المغرب عامة وبلاد الأندلس خاصة وليس ذلك في العمارة السكنية فقط، وإنما نجد هذا الاختلاف حتى في أنواع أخرى من العمارة.

---

*- الاسطبل هو المكان المخصص لإيواء الأبقار والأغنام وغيرها من الأنعام التي تعتبر موردا هاما لدى سكان الريف .

مجلة المصدر The Source

وقد شاع استعمال نفس المخططات المعمارية للمنزل الريفي حتى في الجهة الشرقية من بلاد الجزائر أين توجد منطقة القبائل الكبرى، فقد يكمن الاختلاف في تسمية الأقسام المكونة للمنزل وفي توزيعها في بعض الأحيان، إذ أننا نجدها باللغة الأمازيغية التي تمثل اللغة الرسمية لسكان منطقة بجاية(**)الذين استوطنوا القرى والمد اشر التي تنتشر عبر كامل منطقة القبائل الكبرى ، وقد اخترنا منها نموذجين للتدليل على أن نفس النسق المعماري تداوله سكان المنطقة (المخطط : 5) ، فمثلا الفناء نجده يتقدم الأقسام الأخرى من المنزل ويسمى (أمراح)، كما أن الفضاء الخاص بالحيوانات أطلق عليه بالأمازيغية إسم (أداينين)، والذي يقابله في المخططات الأخرى عنصر الإسطبل، ولدينا عنصرا آخرا يشبه في وظيفته عنصر الفناء وهو من بين العناصر الهامة في المنزل الريفي ببلاد القبائل الكبرى ألا وهو الفضاء الخاص بالنشاطات اليومية والذي أطلق عليه مصطلح (تغرغرت) (*)، وسمي الفرن بالكانون وهو موقد بسيط يستعمله سكان الريف والقرى للطهي خاصة، وجل العناصر الموجودة في المنازل الريفية نجدها في المنزل الريفي في الشرق الجزائري فقط تتغير التسمية التي كما ذكرنا سابقا أنها تكون باللغة الأمازيغية، وهكذا فإن جل العناصر المكونة للمنزل الريفي تتشابه من حيث الشكل وموقعها من الدار حتى وإن اختلفت تسميتها ، وهذا إن دل فإنما يدل على مدى تمسك سكان الريف بالنسق المعماري الذي أملته عليهم الظروف الطبيعية والعادات والتقاليد، التي جعلت من المنزل الحلقة الرئيسية التي تتكون فيها حركة الفرد مع المحيط الذي يعيش فيه ، وقد خضعت الكثير من تلك المنازل الريفية إلى تعديلات سببها الحالة الاجتماعية للأسرة الريفية والحالة المادية لها، وهذا ما يبدوا جليا من خلال النماذج التي قمنا بدراستها في قرى بني سنوس.

خلاصة :

استطعنا من خلال دراستنا هذه إبراز أهم الخصائص المعمارية للمنازل الريفية في كل من الأندلس والمغرب وكذلك تلمسان ومدى التشابه الكبير الذي يجمعها من حيث المخطط

- مدينة بجاية تقع في الشرق الجزائري ضمن ما يعرف بمنطقة القبائل الكبرى، ولها مكانة تاريخية مرموقة في تاريخ الإمارات الاسلامية التي قامت في بلاد الجزائر، وقد تحدثت عنها الكثير من المصادر والمراجع، نذكر منها:- البكري **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، بغداد، بدون سنة، ص82.- الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ليدن 1864، صص، 90 -91.- عزوق عبد الكريم، **المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية ونواحيها(دراسة أثرية)**، أطروحة دكتوراه في الآثار الإسلامية، معهدالأثار، جامعة الجزائر، 2007-2008، ص 8، 10.

*- هو فضاء يشبه الفناء ومخصص للنشاطات اليومية كغزل الصوف مثلا .

مجلة المصدر The Source

العام الذي جاء في مجمله بسيطا، كما تبين لنا بأن سكان الأرياف اعتمدوا في بناء مساكنهم على المواد المحلية وذلك لتوفرها في البيئة المحيطة وهو الأمر الذي سهل من استعمالها، وما يمكن قوله في الأخير هو أن المنازل الريفية ماهي إلا انعكاس لفكر تصميمي يعتمد على التقاليد والأعراف التي يقدسها سكان القرى والأرياف ولا يزال معظمهم يعتز بهذا الارث الحضاري ويحاول توريث أسسه ومعانيه للأجيال القادمة.

الجداول والمخططات :

المنزل / مكونات المنزل	منزل الريف التلمساني	منزل الريف المغربي	منزل الريف الأندلسي
الفناء (الحوش)	×	×	×
الغرف	×	×	×
الطوابق	×	×	
المطبخ	×	×	×
الاسطبل	×	×	
الأروقة		×	×
الفرن		×	
البئر			×
الميضأة			×
المخزن	×	×	×
الغار (القبو)	×		
السقف المسطح	×	×	×

جدول 1 يبين عملية المقارنة بين مخططات المنزل الريفي بالأندلس والمغرب وتلمسان المصدر:

إعداد الباحث بالاعتماد على بيانات : Mickael peyron, Habitat rural et vie montagnarde dans le Haut Atlas de Midelt, Maroc, In: Revue de géographie alpine. Tome 64, N°3 1976, pp. 327.363.

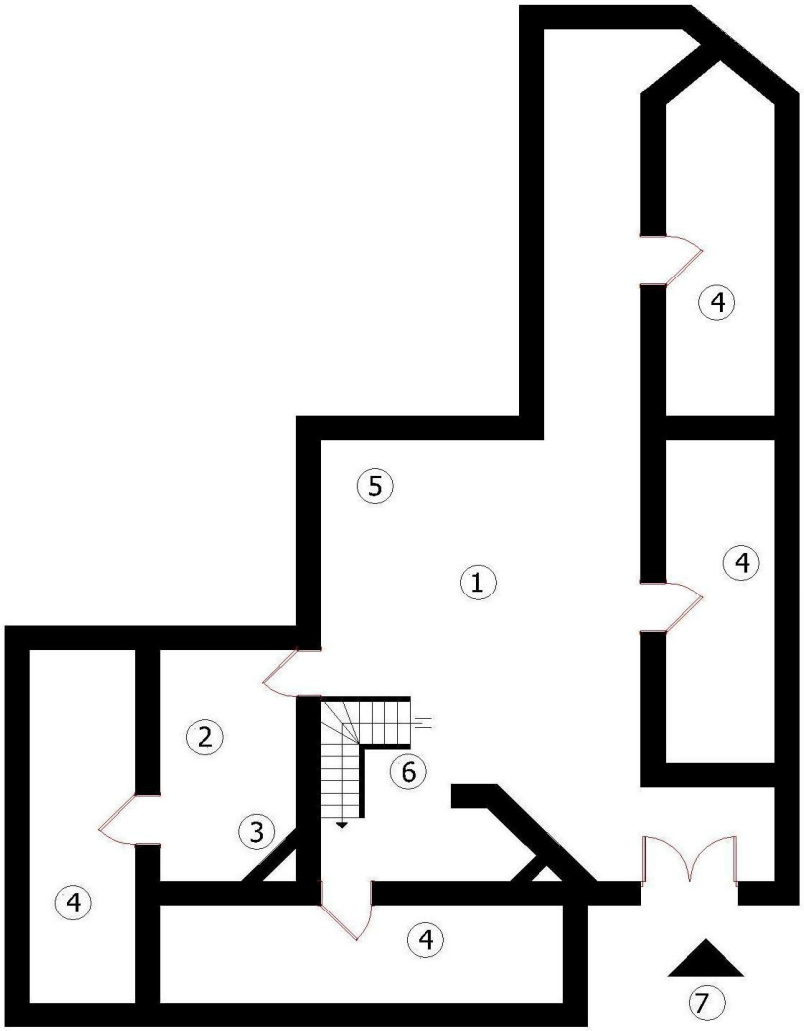

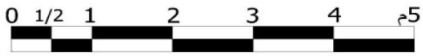

1- فناء

2- مطبخ

3- مدخنة

4- غرفة

5- إسطبل

6- درج

7- مدخل

مخطط 1 الطابق الأرضي لدار باسعيد بـــ بأولاد موسى قرية الخميس المصدر: إعداد الباحث

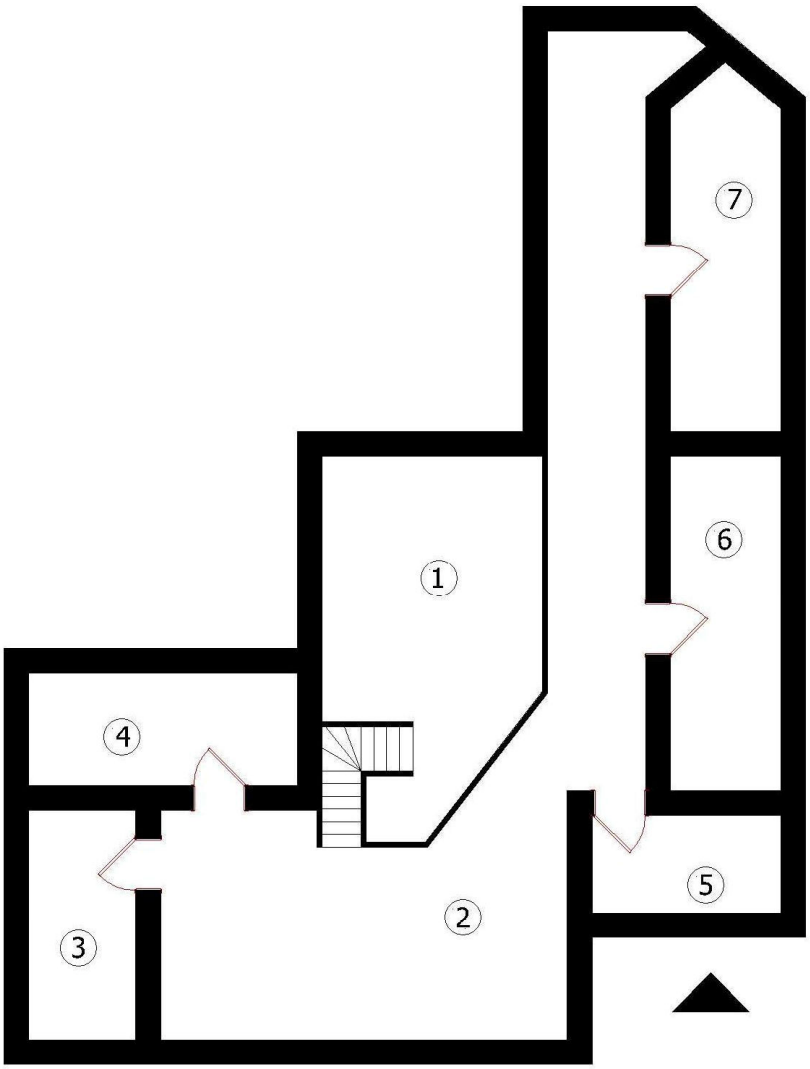

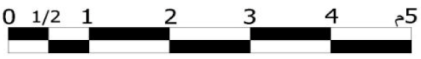

1- فناء

2- سطح

3- غرفة

4- غرفة

5- غرفة

6- غرفة

7- غرفة الضيوف

مخطط 2 الطابق العلوي لدار باسعيد بـــ بأولاد موسى قرية الخميس المصدر: إعداد الباحث

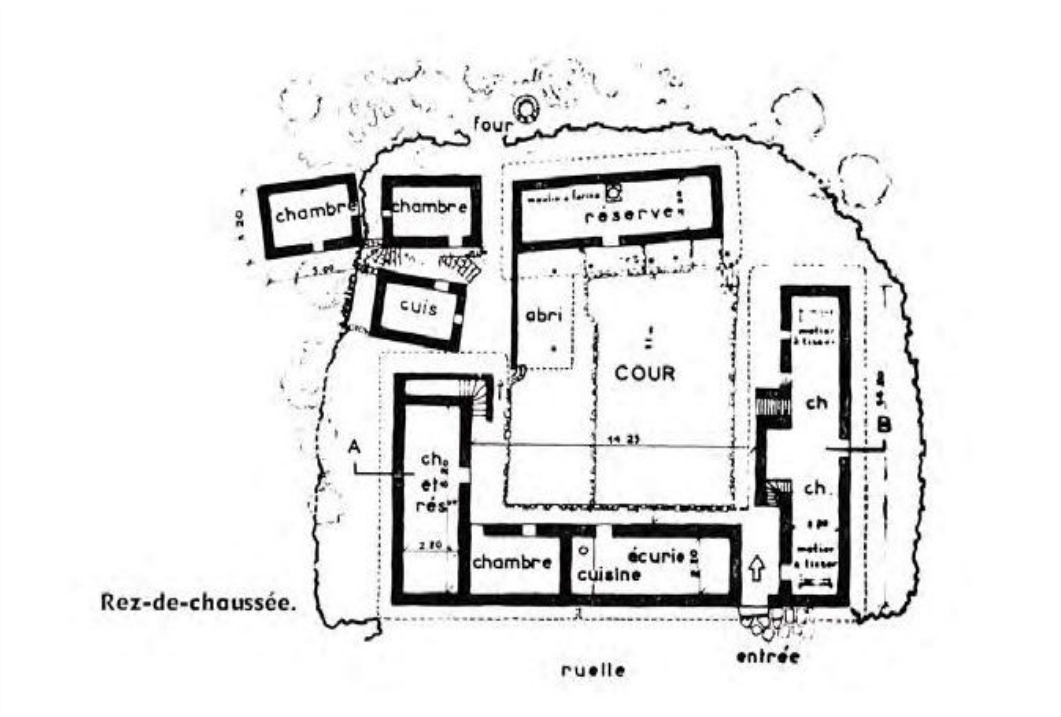

مخطط 3 مخطط لمنزل بمنطقة الريف المغربي عن: - Luca Ortell, Bruno Marchand, MarielleSavoyat, Typologie de logements marocains, p74.

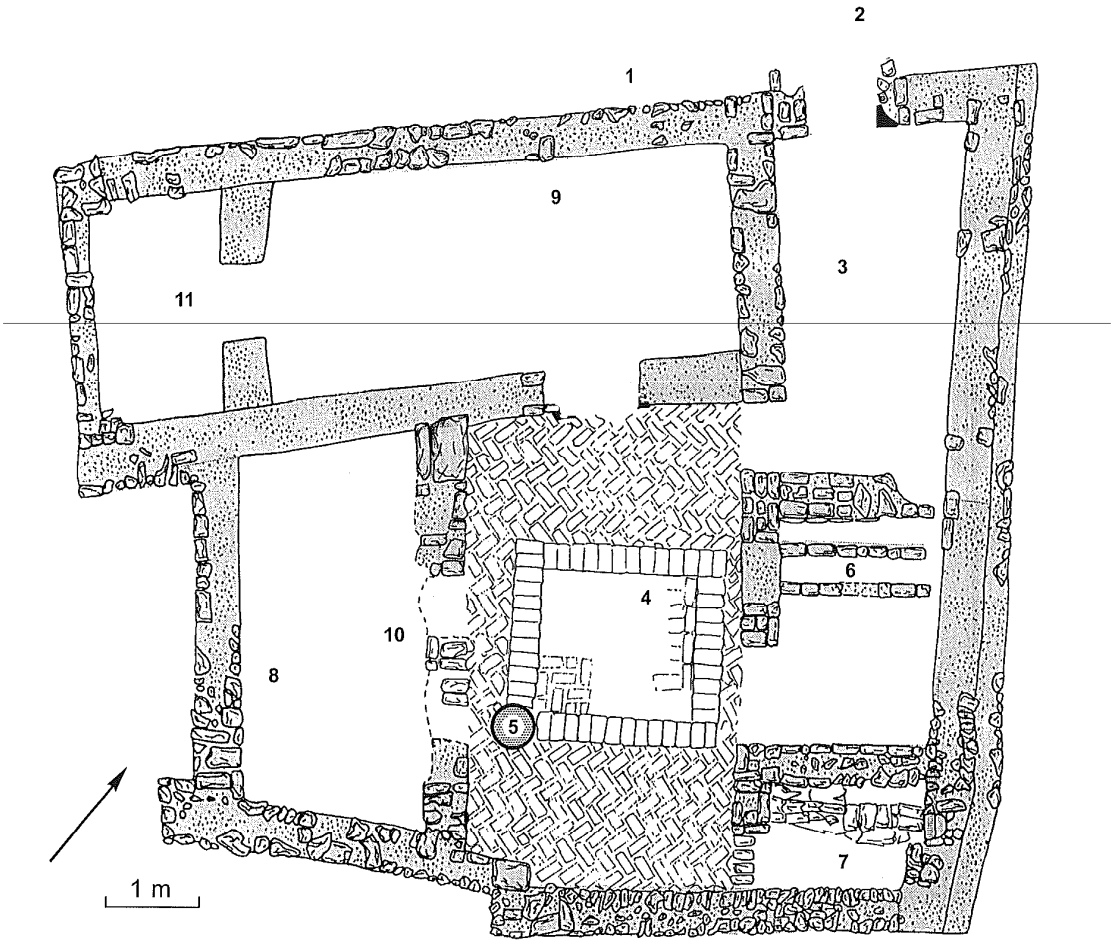

مخطط رقم : 4 مخطط لمنزل ريفي بمنطقة هولفا بالأندلس الغربي (بتصرف)

عن: André bazzana, **La maison rurale dans la...p.218.**

1– طريق

2– المدخل

3– رواق

4– الفناء

5– بئر

6– المطبخ ومخزن المؤونة

7– الميضأة

8، 9 – غرف

10– مدخل بيت الضيافة

11– غرفة نوم

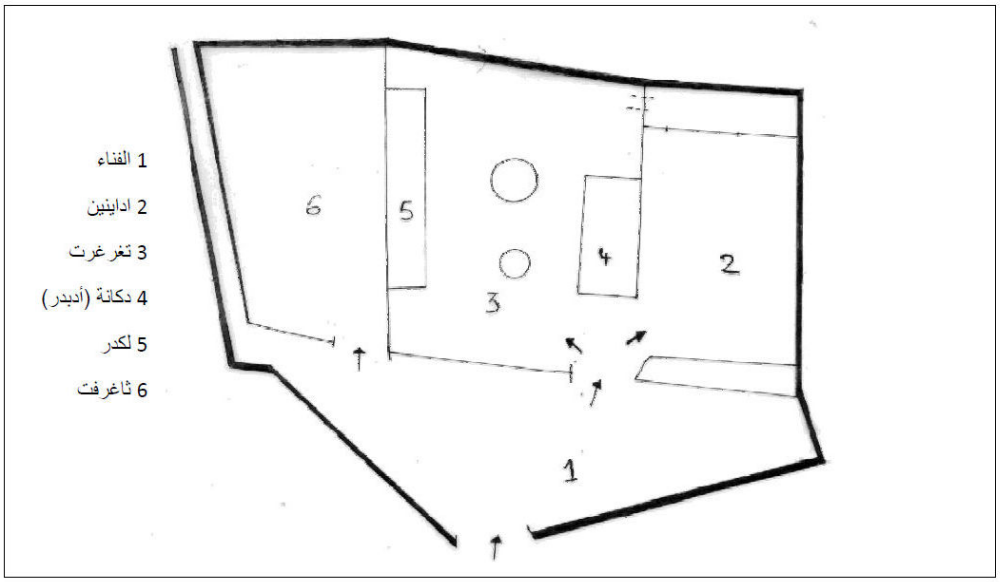

مخطط 5 منزل بربري من منطقة (أثروثن بني معوش) بريف بجاية بالشرق الجزائري

عن:(عزوق عبد الكريم)، المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية ونواحيها(دراسة أثرية)، أطروحة دكتوراه في الآثار الإسلامية، معهدالأثار، جامعة الجزائر، 2007–2008.

الصورة 1 المنزل الريفي بالأندلس (منطقة تريفيليز) عن: José Luis Garcia-grinda,

Connaître l'architecture traditionnelle pour la mettre en valeur, L'architecture traditionnelle méditerranéenne Territoire, paysage et architecture traditionnelle, in ,la Connaissance, sans date. **p60.**

الصورة 2 المنزل الريفي المغربي(منطقة ورزازات) عن: Luca Ortelli ,Bruno, -
Typologie de logements marocains ,Modèles d'habitats entre persistances et mutations, Lausanne, Février 2011.**p44.**

الصورة 3 منزل ذوا طابق بسقف مسطح من قرية الخميس

المصادر والمراجع :

باللغة العربية:

1- الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ليدن، 1864.

2- البكري، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، بغداد، بدون سنة.

3- عبد الرحمان ابن خلدون، **كتاب المقدمة**، تحقيق:عبد السلام الشدادي، ط1، بيت الفنون والعلم والآداب، الدار البيضاء، 2005.

4 - روافد، الاستثمار في الموارد الثقافية، **سلسلة الموارد الثقافية في وادي النضارة، العمارة التقليدية**، دمشق، سورية، بدون سنة.

5- عزوق عبد الكريم، **المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية ونواحيها(دراسة أثرية)**، أطروحة دكتوراه في الآثار الإسلامية، معهدالآثار، جامعة الجزائر، 2007-2008.

6- عهد خزام، **العوامل المناخية والبيئية وأثرها على تطوير المسكن الريفي(المنطقة الساحلية مثالا)**، مجلة جامعة البعث، المجلد24، العدد 4، دمشق، بدون سنة.

7- غوستاف لوبون، **حضارة العرب**، ترجمة:عادل زعيتر، ط4، دار إحياء الكتب العربية، مصر، 1964.

8- كريمة بوحريق، **تغير البناء العائلي في المجتمع الريفي الجزائري، دراسة ميدانية بريف الأبيار بلدية الحاسي(ولاية باتنة)**، مذكرة ماجستير في علم الاجتماع الريفي، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2009-2010.

9- مصطفى التليلي، **قفصة والقرى الواحية المجاورة حول الحياة الجماعوية من بداية القرن 18 إلى 1881**، جمعية صيانة مدينة قفصة، 2009.

10- محمد رمضان شاوش، **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، الجزائر1985.

11- محمد علي الكحلوت، **قراءة تقييمية للمدينة الإسلامية وأسس تخطيطها**، قسم الهندسة المعمارية، غزة، بدون سنة.

12- محمد عمرو الطمّار، **تلمسان عبر العصور**، الجزائر، 1984.

13- مها صباح سلمان الزبيدي وبهجت رشاد شاهين، **مبادئ الاستدامة في العمارة التقليدية وفق المنظور الإسلامي** قسم الهندسة المعمارية، كلية الهندسة، جامعة بغداد، بدون

سنة، ص80. أنظر:- باسم عيسى عبد الرحمان ظاهر، **تشكيل وتوجيه التنمية الريفيّة في الريف الفلسطينيّ حالة دراسيّة قرية بيت ايبا**، مذكرة ماجستير في هندسة العمارة، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح، فلسطين، 2009.

14- مصطفى بن حموش، **جوهر التمدن الإسلامي دراسات في فقه العمران الإسلامي**، ط1، دار قابس، لبنان .

15- مصطفى شاكر ، **المدن في الاسلام**، حتى العصر العثماني، ط1، ج2، دار السلاسل الإسلامية، 1988.

16-علي ثويني، **المنحى البيئي في العمارة الإسلامية**، مجلة ينابيع، العدد 25، 1429هـــــ

17- شويشي زهية، **مجتمع القصور، دراسة في الخصائص الاجتماعية والعمرانية والثقافية لقصور مدينة تقرت**، مذكرة ماجستير في علم الاجتماع الريفي، جامعة منتوري ، قسنطينة، 2005 -2006.

18- يحي أبوا المعاطي محمد عباسي، **الملكيات الزراعية وآثارها في المغرب والأندلس(238-488هـ)(852-1095هـ)**، ج1، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ الإسلامي جامعة القاهرة، القاهرة، 2000.

المراجع بالفرنسية:

1- André bazzana**, La maison rurale dans la péninsule ibérique :un atelier d'ethno-archeologie**, in ruralia4,(pamatky archeologické-upplementum15),prague,sans date.

2- CORPUS, Architecture traditionnelle méditerranéenne, **Maison urbaine style arabo-andalou, Maroc, 2001.**

3- J.-P. Molénat et J. Passini, **L'emploi de la terre dans la construction en nouvelle castille à la fin du moyen âge, L'architecture de terre en méditerranée,** Seri colloque et séminaire N°80, Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines –Rabat, sans date, p122.

4- José Luis Garcia-grinda, **Connaître l'architecture traditionnelle pour la mettre en valeur, L'architecture traditionnelle méditerranéenne Territoire, paysage et architecture traditionnelle**, in ,la Connaissance, sans date.

5- Luca Ortelli, Bruno Marchand, MarielleSavoyat, **Typologie de logements marocains ,Modèles d'habitats entre persistances et mutations**, Lausanne, Février 2011.

6- Mickael peyron, **Habitat rural et vie montagnarde dans le Haut Atlas de Midelt, Maroc,** In: Revue de géographie alpine, Tome 64, N°3 1976.

7- Mickael peyron, Habitat rural et vie montagnarde dans le Haut Atlas de Midelt, Maroc, In: Revue de géographie alpinemmm Tome 64, N°3 1976,pp. 327.363.

التاريـخ

أحداث الخليل عام 1929م
والعنف الصهيوني

إعداد

د. نعمان عاطف عمرو

جامعة القدس المفتوحة / فلسطين.

ملخص الدراسة :

يركز البحث على أحداث سنة 1929م، والتي عرفت بثورة البراق، ووقعت في مدينة القدس الشريف، حيث تطورت الاضطرابات حتى وصلت مدينة الخليل الأمر الذي يقودنا إلى ضرورة وضع هذه الثورة ضمن سلسلة تطور الصراع العربي الفلسطيني – اليهودي الصهيوني، ولا سيما أن ثورة عام 1929م قد حازت أهمية كبرى، استناداً لوقائعها الضخمة والمميزة ، مما عمل على اعتبارها بحق إحدى المفاصل الرئيسة في الصراع العربي الصهيوني.

وتم التركيز في هذه الدراسة على أحداث عام 1929م وتحديداً في مدينة الخليل متتبعاً وقائع اضطرابات مدينة الخليل ودور الحركة الصهيونية فيها، التي جاءت تبعاً لأحداث البراق في القدس وتكمن أهمية هذا البحث في احتوائه على وقائع جسام من حيث أعمال العنف، حيث قتل 60 يهودياً و22 فلسطينياً، وأُعدم ثلاثة مواطنين، منهم اثنين من الخليل، حاملة في طياتها مواقف دراماتيكية كان المسبب الأول منها الحركة الصهيونية وما ارتكبته من أعمال في الخليل أدت إلى ردات فعل من قبل أهل الخليل على الجالية اليهودية. والتي تعايشت مع أهل الخليل ما يزيد على أربعة قرون بدون تدخل الحركة الصهيونية.

وتم تقسيم هذه الدراسة إلى أطر مكانية وزمانية، حيث تم التركيز في هذه الدراسة على الأسباب والدوافع بشكل عام عن أحداث ثورة البراق، ثم تدرج الباحث في ذكر أسباب أحداث الخليل عام 1929م، منطلقاً من فكرة الخليل في المخيلة الصهيونية، كما تحدث عن السياسة البريطانية في مدينة الخليل من 1917–1929م، ونشاط الحركة الصهيونية بالخليل حتى عام

1929م. واختتم البحث بالآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية لأحداث عام 1929م على أهل مدينة الخليل.

يعتقد الباحث أن نشاط الحركة الصهيونية وتحريض شرطة بريطانيا كانت سبباً في تأجيج المشاعر، حيث كان ظاهراً أن هذه الأحداث تركزت على اليهود الاشكناز دون غيرهم من اليهود الشرقيين الذين تعايشوا مع أهل الخليل، وقد أثبتت لجان التحقيق أن أهل الخليل لم يكونوا سفاحين ولم يمثلوا بالجثث، كما ادعت الحركة الصهيونية .

Abstract

The study focuses on the events that took place in Palestine in 1929. The events of 1929 were called Al- Buraq revolution. The events of this revolution launched in Jerusalem. The disturbance of that revolution heavily influenced Hebron city. The strong influence of the revolution on the people of Hebron led the researchers to study the events as a part of the Arab-Zionist conflict. Al- Buraq revolution occupied a prime importance at that time since it became one of the prominent events of the Arab-Zionist conflict.

The study also focuses on the events of 1929 in Hebron to investigate the impact of the events on the lives of the Palestinians in the city. The study also investigates the role of Zionism in generating violence in Hebron at that time. The significance of the study flows from its concentration on the violence generated through the course of 1929 revolution. 60 Jews and 20 Palestinians were killed, and three Palestinians were executed; two of them were from Hebron. The extremely violent actions at the part of the Jews generated a strong violent reaction from the Palestinians in Hebron city against the Jews who have lived for four centuries in peace until the events of 1929.

The study tackles both the place and the time of the events of 1929. The study focuses on the reasons that led to 1929 incidents in general. The researcher gradually mentions the reasons behind the violent actions that took place in Hebron in 1929. The writer also discusses the role of the policies of both Zionism and The British mandate in Palestine at that time. The researcher concluded with the political, economic and social impacts of 1929 events on the people of Hebron. The researcher thinks that both the deeds of Zionism and the incitements of the British police were the main reasons that provoked the violent emotions of the Arabs in Hebron. The violent actions were mainly against the Ashkenazi Jews in the city. The commissions of inquiry asserted that people of Hebron were not thugs as the Zionists claimed.

المقدمة:

تعود أسباب الصراع بين اليهود والفلسطينيين عام 1929م إلى سياسة بريطانيا في تطبيق وعد بلفور وإقامة وطن قومي لليهود بدأ الصراع الجدي بين المسلمين واليهود يتبلور متمركزاً ومنطلقاً من الصراع حول الأماكن الدينية وكانت الأحداث تراكمية واشتدت حدتها الأولى في 1929/8/14م، عندما قام اليهود باستفزاز المسلمين، بتنظيم مظاهرة ضخمة في تل أبيب بقيادة المنظمات الصهيونية، بمناسبة ذكرى تدمير هيكل سليمان، ثم أعقبها في اليوم التالي مظاهرة كبيرة في شوارع القدس، وصل اليهود فيها قرب حائط البراق، حيث رفعوا العلم الصهيوني وأنشدوا النشيد القومي الصهيوني(الهاتكفا: الأمل). قام المسلمون في اليوم التالي بمظاهرة مضادة من المسجد الأقصى وحدث شجار بين العرب واليهود في 17/أغسطس الأمر الذي زاد الأوضاع توتراً، ثم وقعت صدامات واسعة بعد صلاة الجمعة يوم 22/أغسطس في القدس، ولم تكد أخبار هذه الصدامات تصل إلى الناس حتى عمت المظاهرات والصدامات جميع أنحاء فلسطين واستمرت بشكل عنيف أسبوعاً كاملاً، غير أن قوتها لم تنطفئ إلا بعد عدة أيام.

وفي 24/أغسطس انتقلت الأحداث إلى الخليل بسبب الإشاعات التي وصلت المدينة وهاجموا الحي اليهودي فقتلوا أكثر من ستين يهودياً وجرحوا أكثر من خمسين آخرين، وعملت الشرطة على الحيلولة دون وقوع مذبحة هائلة فاصطدمت بالمتظاهرين، وذكر أنها قتلت العشرات منهم وجرحت آخرين. أضف إلى ذلك أن العلاقات الاجتماعية والروابط الاقتصادية ما بين الخليل والقدس من القوة والترابط بمكان، حيث كان الاحتكاك اليومي أو الاتصال المباشر بين المدنين، فمن المعلوم أن أعداد كبيرة من أهل الخليل كانت قد سكنت القدس، وأن الخليل حلقة وصل ما بين القدس وبئر السبع وغزة، فمن الطبيعي إذاً أن تمس أحداث القدس أهل الخليل مباشرة وتتفاعل معها تفاعلاً قوياً، خاصة إذا طالت المقدسات الإسلامية التي تمس قلب كل مواطن من المدينة المعروف عنهم بالتدين الواضح.

يضاف إلى ذلك الإشاعات التي وصلت وتفيد بمقتل العديد من سكان أهل الخليل في أحداث القدس. كانت هذه الثورة من القوة والتصميم حيث اعتبرت أولى الثورات التي تشمل كل فلسطين، لكنها ضد اليهود فقط وليس البريطانيين، حيث لا يزال بعض الأمل في أن يغير البريطانيون مواقفهم، ولكن الفلسطينيون أدركوا تماماً بعد هذه الثورة أن المشروع الصهيوني تحميه الحرب البريطانية ، وأن صراعهم يجب أن يوجه بالدرجة الأولى ضد بريطانيا نفسها.

فكانت نقطة تحول ضد بريطانيا ومقاومة ومقاومة الحركة الصهيونية لذلك نرى أن العمل العسكري الأول انطلق على أثر هذه الأحداث منطلقاً من صفد شمال فلسطين ضد بريطانيا فيما عرف بمجموعة الكف الأخضر

حدود الدراسة:

المكان هو حائط البراق بالقدس الشريف ومدينة الخليل، أما من الناحية التاريخية كان عام 1929م، هذا العام الذي تم فيه تفجير الثورة الفلسطينية ضد الحركة الصهيونية وضد بريطانيا.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث بأنه ربط بين النشاط الصهيوني في الخليل والأحداث في المدينة ، وقد بين الباحث أن أهل الخليل ميزوا في الأحداث بين المنتمين للحركة الصهيونية من يهود غربيين "اشكناز" وبين اليهود الشرقيين الذين أقاموا في الخليل قروناً.

منهج البحث:

هو المنهج التاريخي والمنهج التحليلي الوصفي.

الأسباب والدوافع لثورة عام 1929م

يعتقد العديد من الباحثين أن الأسباب العامة للأحداث عام 1929م تعود إلى سياسة بريطانيا في تمكين الحركة الصهيونية لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وما نتج عنها من فقر واضطهاد وأحداث تجاه قضايا مختلفة خاصة ونشاط الحركة الصهيونية في الهجرة، وشراء الأراضي، وإيجاد حيز لنظام سياسي يؤيد الوطن القومي اليهودي في فلسطين. وبداية ظهور وعي عربي بازدياد احتمالية نجاح الحركة الصهيونية في تحقيق أهدافها، خاصة بعد إقامة الوكالة اليهودية الموسعة [1]

وقد رافق ذلك مقالات مُنهَجة في الصحف وحملات تحريضية بعد توسيع الوكالة اليهودية، الأمر الذي كشف عن شعور عام بالغموض في السياسة البريطانية وأن قرارات الحكومة البريطانيا في فلسطين تتأثر بالاعتبارات السياسية لمصلحة اليهود[2] وأصبح هذا يدل على أن الحركة الصهيونية لديها شعور بالقوة التراكمية والدعم المطلق من انتداب بريطانيا.

أما الدوافع المحددة للثورة فتكمن في محاولة غُلاة اليهود المتدينين بدعم من الحركة الصهيونية لإثبات وجودهم من خلال مجموعة من الاعتداءات على السكان العرب ابتداءً من عام 1920م في النبي موسى مروراً باعتداءات مُمَنهجة في يافا وصفد وغيرها من المواقع ضد السكان العرب، ومحاولة تغيير الوضع القائم في الأماكن المقدسة وخاصة حائط البراق، وتجلى ذلك في عام (1928م) تحديداً[3] لدرجة لا يمكن السكوت عليها، والتي تُرجمت بإقامة العديد من المظاهرات إما بجانب حائط البراق أو تنتهي بحائط البراق، وكان ذلك واضحاً أنه بتنظيم ودعم من الحركة الصهيونية [4] وخاصة تلك المظاهرات التي أقيمت في عيد الفصح في آب 1929م ورُفع فيها العلم الصهيوني وأنشدوا النشيد الصهيوني مطالبين بملكية الحائط[5] حيث فُسر هذا الأمر أنه استشعار بالقوة والدعم البريطاني.

---

(1) توما، أميل، 1978:88.

(2) زعيتر، أكرم، 1955:801.

(3) توما، أميل، 1970:76.

(4) جبارة، تيسير، 1998:165.

(5)علوش، ناجي، 1970:70.

مجلة المصدر The Source

إن تجميع الصهيونية لليهود من كافة أرجاء فلسطين ونفخهم في البوق لتغيير الأمر الواقع بالقوة، والضغط، ومحاولتهم شراء أملاك الوقف المجاورة للحائط بأسعار مغرية [1] وإقامة الحواجز على الأرض الوقفية لفصل الرجال عن النساء كما هو متبع في معابد اليهود، أدى إلى خوف العرب من تحويل الوَقف إلى معبد، وما رافق ذلك من اعتداءات الصهاينة على المغاربة الذين يسكنون بالقرب من الحائط [2].

ويستدل مما سبق أن سياسة بريطانيا في دعم وتمكين الحركة الصهيونية تنفيذاً لوعد بلفور وصك الانتداب أدت إلى زيادة نفوذ الحركة الصهيونية، وزيادة استفزازها للسكان العرب في فلسطين، مما أوجد حالة من الاحتقان لدى الفلسطينيين وعدم الثقة في سياسة بريطانيا.

وقد ازدادت هذه النشاطات والأحداث حدةً كلما شعرت الحركة الصهيونية بأنها أكثر قوة من ذي قبل، فمظاهرات 14 آب 1929م وحادثة البخارية وما نتج عنها من مشاجرة بين العرب واليهود أظهرت وبشكل لا يقبل الشك فيه أن الصهيونية تهدف إلى رفع مستوى التوتر، وأوجدت سلسلة من الصدامات بين العرب واليهود[3]. والتي أدت إلى ردة فعل قوية من قبل السكان العرب لخوفهم على مستقبلهم وخوفهم على مقدساتهم. فكانت البداية بالمظاهرات القومية في ذكرى المولد النبوي الشريف في 16/آب 1929م، والتي فتحت المجال إلى الشائعات مما أدى إلى حالة من الهيجان في المدن والقرى ومنها الخليل[4] كردة فعل أولية على النشاطات الصهيونية الهادفة إلى تغيير الوضع القائم في المقدسات الإسلامية في القدس.

أما في الجانب الرسمي فقد جاءت ردة الفعل العربية على شكل مذكرة مقدمة من المراجع الإسلامية إلى الحكومة البريطانية ومن أهم ما جاء فيها:

"..... أن مطامع اليهود لا حدود لها في هذا الموضوع وأن غايتهم امتلاك المسجد الأقصى تدريجياً بزعم أنه الهيكل مبتدئين في الجدار الغربي منه وهو قطعة لا تنفصل

---

(1) توما، أميل، جذور القضية الفلسطينية:169.

(2) السفري، عيسى ، 1937:125.

(3) محسن، خليل عيسى ، 1998:74.

(4) توما، أميل، جذور القضية الفلسطينية:169.

مجلة المصدر The Source

عن المسجد الأقصى"[1] وجاء موقف بريطانيا من الأحداث مرائي ومتناقض بين العرب واليهود فتارة تدعي أن اليهود لم يثيروا قضية ملكية حائط البراق ولم يطالبوا بأي شيء يتعارض مع حركة الأماكن المقدسة وفي مواطن أخرى ذكرت أن الأحداث رَدَة فعل على تشكيل الوكالة اليهودية [2] ونشاطاتها الممنهجة تجاه مصادرة الأراضي والهجرة والاعتداءات على السكان الفلسطينيين ومحاولة الاستيلاء على مصادر الإنتاج التابعة لهم مما يعني فقدانهم مصادر الرزق الخاص بهم.

أما تقرير لجنة "شو" فأرجع أسباب الاضطرابات إلى سياسة الوطن القومي اليهودي التي تشترك فيها الحكومة البريطانية مع المنظمة الصهيونية وما نتج عنها من سلوك اليهود تجاه الأماكن المقدسة[3]

وكانت بريطانيا تحاول السيطرة على ردة الفعل الرسمية العربية من خلال المؤسسات الرسمية إلا أن الأحداث أوجدت ردات فعل فردية وثقافية عامة ضد سياسة بريطانيا وضد نشاطات الحركة الصهيونية.

أسباب أحداث الخليل عام 1929م.

كان للأحداث في الخليل من الخصوصية التي تحتم علينا البحث والتحري للوقوف على أسباب انفجار الأوضاع بعد استقرار في العلاقات اليهودية الفلسطينية استمر ما يقارب أربعمائة عام، وبما أن الأحداث العامة في فلسطين فيما يتعلق بسياسة بريطانيا المنحازة تجاه الحركة الصهيونية وشعور الحركة الصهيونية بالقوة نتيجة لهذه السياسة، إلا أن هنالك أحداث خاصة ومحددة قامت بها الحركة الصهيونية في الخليل أدت إلى عدم قدرة المجتمع في الخليل على التحمل وكان من أهمها ما يلي:

1- بدأ ظهور نشاط الحركة الصهيونية في الخليل بشكل علني وعدواني منذ عام 1919م، عندما عملت على تنظيم المجتمع اليهودي وانتخاب لجنة خاصة بهم، حيث انتخبت "موشي ماني" رئيساً للجنة يهود الخليل وانتخبت "اسحق شامي" سكرتيراً للجنة [4] هذا يدل على أن الحركة الصهيونية بدأت بالتعامل مع الخليل من

---

(1) شوفاني، الياس، 1996:439.

(2)ابيشار، عوديد ، 1970:27.

(3)ALexWinder:2012:14

(4)Alex Winder 2012:15

مجلة المصدر The Source

منطلق فرض الإرادة بالقوة الأمر الذي ينسجم مع وجود اليهود في فلسطين كاحتلال منذ زمن داود وسليمان. وانتخاب لجنة لسكان الخليل كان دليلاً على نشاط الحركة الصهيونية وتوجيهها للأحداث.

2- تحديث المؤسسات اليهودية التقليدية وتغيير وجهها إلى وجه عصري عن طريق رفدها بالمهاجرين الجدد، خاصة طلاب المدارس الدينية " يشفوت" وزيادة أعداد المتواجدين فيها خاصة وأنهم يتسمون بسمات أوروبية وأمريكية ويختلفون كلياً عن اليهود السفارديم الذين وجدوا بالخليل[1] حيث وصلوا إليها بعد تهجيرهم من الأندلس وتميزهم من حيث الثقافة واللباس واللغة وإيجاد المؤسسات الخاصة بالطقوس الدينية مثل الذبح الحلال والحمامات وإقامة عيادة طبية في بيت هداسا، والعديد من دور الضيافة التي تقدم خدمات إلى المهاجرين الجدد والوافدين، وما نتج عنها من احتياجات توسعية، وهذا يعني بداية تغير اجتماعي في المجتمع اليهود في الخليل لصالح الحركة الصهيونية. وبدأ يظهر التمايز داخل الجالية اليهودية بسبب دعم الحركة الصهيونية ونشاطها.

3- إقامة مؤسسات اقتصادية مثل البنك انجلوا – فلسطيني ومدى تأثيره على الاقتصاد[2]، حيث أضافت نشاطات البنك الاقتصادية أزمة اقتصادية خاصة ناجمة عن التعامل الربوي للبنك، والقروض.

أضيفت إلى الأزمة الاقتصادية العامة الناتجة عن الجراد والطاعون، الأمر الذي شكل فقراً مدقعاً للسكان الفلسطينيين ونفوذاً اقتصادياً بيد الحركة الصهيونية في الخليل. مما شكل تمايزاً حقيقياً بينهم.

4- توسيع الجالية اليهودية في الخليل جغرافياً وخروجها خارج نطاق حارة اليهود التقليدية، الأمر الذي خلق توترات إضافية[3]، وهذا التوسع ناتج عن تحسن الأوضاع الاقتصادية بسبب دعم الحركة الصهيونية للسكان اليهود. وحضور قادمين جدد من اليهود إلى الخليل يتبعون للحركة الصهيونية.

5- وصول مجموعة من الهاجانات تتكون من 12 شخصاً إلى الخليل قبل الأحداث بعدة أيام ومعهم صناديق من الذخيرة إلى الخليل، حيث تم إخفائها لدى رئيس الجالية [4].

---

(1) Alex Winder 2012:15

(2) جبارة وآخرون، 43:1987.

(3) حجازي، عرفات، د.ت.ن:18.

(4) العُـــــــليمي، مُجير الدين، الحنبلي، 139:1999.

ويذكر "عوديد ابيشار" أن الأسلحة تم إخفائها داخل البنك انجلو– فلسطيني لكي لا تعثر عليها الشرطة البريطانية، كان الهدف منها حماية الجالية اليهودي، أي بمعنى أن تواجد الحركة الصهيونية الأمني بدأ ينعكس على سكان الخليل اليهود. وبدأوا يشعرون بالقوة الأمر الذي انعكس على سلوكهم العام.

ويتضح من الأسباب السابقة أن هناك تحولاً طرأ على اليهود في الخليل، ولم يعد كما كان في السابق من اليهود المتدينين الورعين، بل أصبح هناك نشاط واضح للحركة الصهيونية داخل الخليل معتمدين بذلك على تعاون جزء من اليهود في الخليل مع الحركة الصهيونية، وعُــزز موقف هؤلاء بالدعم الذي تلقوه من خلال طلاب المدارس الدينية، والمهاجرين الجدد، ومسلحي عصابات الهاجاناه، الأمر الذي يشكل استفزازاً للسكان الفلسطينيين الذين طالما حافظوا على إقامة اليهود في الخليل، وخلق واقعاً جديداً تتحكم به الحركة الصهيونية من خلال المؤسسات المجتمعية التي أقامتها في الخليل وممثلوا الجالية المنتخبين.

وينسجم سلوك الحركة الصهيونية في الخليل مع وجود ما يسمى بممالك اليهود في فلسطين والتي فرضت نفسها بقوة السلاح كقوة احتلال لفلسطين، مما تسبب في تغير الوضع القائم منذ أربعة قرون وحدوث شك وريبة لدى السكان الفلسطينيين، مما حدى بهم إلى صد محاولات اليهود الاستيطانية والرد عليها، حيث نبههم هذا الى سياسة بريطانيا المنحازة والتي تهدف الى طمس معالم القومية العربية وإقامة قومية يهودية في فلسطين حسب نص وعد بلفور وصك الانتداب.

الخليل في المخيلة اليهودية:

تعتبر مدينة الخليل من أقدم المدن الكنعانية التي تشير الدراسات الأثرية إلى أن بنائها يعود إلى العصور الحجرية القديمة والمتوسطة، وأن استقرار الكنعانيين كان في تل الرميدة حوالي 5500 عام قبل الميلاد وأطلقوا عليها اسم كريات أربع[1] نسبة إلى القبائل الأربع التي اتحدت في نظام حكم موحد حسب أحد الروايات التاريخية.

وتعتبر زيارة سيدنا إبراهيم عليه السلام عام 1805 قبل الميلاد واتخاذه منها مسكناً ومدفناً، من أهم الأمور التي اكسبها شهرة ومكانة دينية لارتباطها بسيدنا إبراهيم عليه السلام، ومن الخطأ أن ينسب اليهود إلى إبراهيم عليه السلام حيث قال الله تعالى في محكم التنزيل:

(ما كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)

(آل عمران –67)

(1) الدباغ، مصطفى مراد، 2003 :ج5 :126.

مجلة المصدر The Source

لذلك ارتبطت بديانة إبراهيم الذي كان حنيفاً مسلماً. أما في حوالي 1049 قبل الميلاد فقد زارها سيدنا داود عليه السلام واستقر فيها لمدة سبع سنوات وحكم الخليل بقوة السلاح[1]

وعن إدعاء اليهود بالأحقية لسيدنا داود عليه السلام فإن اليهود يعتبرونه ملكاً وليس نبياً وكان ثاني ملوك مملكة إسرائيل الموحدة وحكم ما بين 1011 ق.م – 971 ق.م ولم تذكر رواياتهم بأنه نبي، بل ذكر في الديانة الإسلامية على أنه النبي داود عليه السلام، أحد الأنبياء والمرسلين إلى بني إسرائيل، حيث أن وجهة نظر بني إسرائيل تعزز الدور القهري والتسلطي التي كانت عليه مملكة إسرائيل الموحدة والتي اغتصبت الحكم اغتصاباً. أما وهو نبي موحد جاء في القرآن، فإن المسلمون أولى به ممن أنكروا نبوته واعتبروه ملكاً أقام حُـكماً قسرياً واستعارياً .

ومن الواضح أن ما ذكر في هذا الخصوص هو فقط ما وصل إلينا من العهد القديم الذي دوّنَـه اليهود، بعد فترة طويلة من الزمن، وليس بالضرورة أن يكون صحيحاً إذ أن المدارس الأثرية العالمية مثل: الأمريكية والبريطانية لم تعثر على أي آثار بالإمكان الاستناد إليها، بل على العكس فإن الحديث يدور عن عدم صحة ما ورد في العهد القديم وأن بالإمكان إعادة صياغة تاريخ جنوب سوريا على ما تم التوصل إليه واكتشافه من آثار. صياغة جديدة تختلف عما جاء في العهد القديم من أوهام كتبها اليهود.

لقد تعززت مدى الأهمية الدينية عندما بنى سيدنا سليمان عليه السلام سور حول قبور الأنبياء وكانت خالية من السكان[2] بينما كان التواجد البشري في تل الرميدة، فوجود قبور الأنبياء في المغارة المزدوجة جعل من الخليل مدينة ذات قدسية خاصة، يحترم هذه القدسية من يؤمن بالأنبياء المدفونين فيها وهم إبراهيم وإسحق ويعقوب وزوجاتهم عليهم السلام ويؤمن برسالاتهم كذلك، ونحن معشر المؤمنين من نؤمن بالرسل والكتب التي أنزلت عليهم[3] وأن استخدام اليهود الحركة الصهيونية لهذه الرموز الدينية لإثارة النزعة الدينية لدى أتباعهم لم تغير من الحقيقة شيئاً. ويضاف إلى ذلك زيارة تميم بن أوس الداري إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وإقطاعه حبرون والمرطوم وبيت عينون وبيت إبراهيم سنة 9 هجري[4] حيث يبشر هذا بالفتح الإسلامي إليها ليبدأ عهد جديد في مدينة الخليل. تنفيذاً لإقطاعها من قبل الرسول إلى تميم الداري وبعد ذلك جرت معركة أجنادين وما سقط فيها من الشهداء

---

(1) العُـــــــليمي، مجير الدين، الحنبلي، 1999:ج2 :146

(2) الموسوعة الحرة، Wikipedia.org :4.

(3) السيد والزرو، 31:2001.

(4) ابيشار، عوديد 3:1970.

مجلة المصدر The Source

دفنت رفاتهم في مدينة الخليل أو محيطها، حيث أدى ذلك مع اهتمام المسلمين من مختلف أصقاع الأرض وزيارة الخليل والمسجد الإبراهيمي فيها بعد زيارتهم للمسجد الأقصى وقبة الصخرة [1]. وما نتج عن ذلك من فرض الأمن والاستقرار في الخليل الأمر الذي حولها إلى مركز تجاري وديني أدى إلى مساهمتها في الحركة الفكرية وانتشار العديد من المساجد والزوايا والمدارس فيها على مدى العصور الإسلامية المختلفة [2] ويعزز ما ذكر الأهمية الدينية للخليل لدى المسلمين.

أما اليهود المتدينين فيعتبرون أن صلة سيدنا إبراهيم بالمدينة ومن بعده سيدنا داود عليه السلام وسيدنا سليمان عليه السلام مصدر تقديس لليهود الورعين المؤمنين بالأنبياء ورسالتهم إلا أن استخدام السياسة للدين، أدى إلى بلورة فكرة التطرف تجاه المقدسات وكان ذلك نتيجة لنشاطات الإمبريالية والاستعمار الذي أوجد الحركة الصهيونية، والتي بدأت في حركة إحياء التراث وكأن اليهود وجدوا في هذه البلاد بالأمس القريب، وأن هذه الروايات لم تذكر إلا في العهد القديم ولا يوجد عليها شواهد أثرية كما ترويه الحركة الصهيونية عن صلة الشعب اليهودي بفلسطين دينياً. وللدلالة على نفي هذا الادعاء نستشهد بما قاله توماس تومبسون من جامعة كوبنهاجن عن تاريخ منطقة فلسطين في القرن العاشر قبل الميلاد " أن ما كتبه العهد القديم لا يمكن الوثوق به وما نعرفه الآن عن تاريخ سوريا الجنوبية، نستطيع من خلاله إعادة بناء الشواهد الأثرية ويعطينا صورة مختلفة عن الصورة التي تقدمها الروايات التوراتية" [3] وهذا بحد ذاته ينفي ما ورد في العهد القديم لأنه بُـــني على شواهد أثرية وليس على روايات توراتية كما في العهد القديم.

أما فيما يتعلق بالدعاية اليهودية من أن الخليل مدينة الآباء، فإن الدين الإسلامي الحنيف نص على إحقاق ديني رباني بأن هذه الأرض إسلامية بحتة، ويبرئ الآباء منهم وأنهم، لأنهم خرجوا عن ملة الآباء، وإن تظاهروا بكلام معسول مسموم، وخالفوهم من حيث العقيدة والمنهج. ولا علاقة لهذا بما تقوم به الحركة الصهيونية، فالحركة الصهيونية حركة تسلطية قمعية احتلالية، قائمة على السلب والقهر والاستبداد، وتستغل الدين لتحقيق أهدافها الاستعمارية.

---

(1) السيد والزرو، 10:2001.

(2) السيد والزرو، 34:2001.

(3) أبو الضباع، أحمد شحاده، 94:2010.

وما جاء في الفترات المتعاقبة من احتلال كان امتدادا لتلك الحركات القديمة، بدأت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة بتعزيز المخيلة الصهيونية تجاه الخليل مستغلةً ما حدث عام 1929م. بعد نشاط الحركة الصهيونية واستفزازاتها، وبدأت تتحدث عن أيدلوجية الاستيطان الصهيوني في الخليل وتجديد الحياة اليهودية فيها، مما مهد في أيام الاحتلال الأولى إلى انطلاق قاطرة الاستيطان الصهيوني في الخليل[1].المعتمدة على أوهام الماضي وما زرعته الحركة الصهيونية من أفكار عدوانية في مخيلة اليهود تجاه السكان الفلسطينيين. وإحياء المخيلة القديمة والمستندة إلى أوهام العهد القديم.

وبدأ ذلك يظهر من خلال مواقف وتصريحات زعماء الحركة الصهيونية فكان موقف بن غوريون. ." أن الخليل مكاناً مقدساً في تاريخ الشعب اليهودي القديم وورد ذكرها في الإصحاح الأول من سفر التكوين"[2] فقد قدم إليها إبراهيم عليه السلام وكانت مركز حكم داود عليه السلام بعد ثمانمائة عام، لذلك علينا إقامة مستوطنات يهودية كبيرة تكون مصدر بركة لمن حولها. وهنا يتحدث بشكل واضح عن استغلال الدين. وهذا كلام ليس صحيحا وإنما جاء من رجال الدين لترويج سلعة الإجرام، ولتفشي السرطان الصهيوني.

وقد اعتبر الحاخام "غورون" أن العرب في الخليل مجرد غرباء تسللوا إلى الخليل أثناء الحكم العربي والإسلامي، ناسياً أو متناسياً الوجود البشري العربي في الخليل واستمراره، وأن الوجود الصهيوني جاء مغتربا ومستبدا اليهود. وقد لاقى موقف الحاخامات الإسرائيليين رواجاً لدى السياسيين الإسرائيليين نظراً لاستخدام الحركة الصهيونية الدين والرموز الدينية، لتكون محركاً سياسياً ووسيلة لنشر الوعي اليهودي واستقطاب يهود العالم خلف الحركة الصهيونية.

ويرى الباحث مشروع "ألون" منح خلفية أيدلوجية واستراتيجية للاستيطان الصهيوني في الخليل، ووفر لهم الدعم السياسي في الحكومة لذلك نجد أن "إيجال ألون" أول وزير تضامن مع المستوطنين الأوائل في الخليل ووفر لهم الدعم السياسي والاقتصادي واللوجستي منذ البدايات، حيث عبر هذا عن موقف التجمع العمالي الحاكم في تلك الفترة. وينسجم ذلك مع موقف الحاخامات المستمد من العهد القديم تجاه الخليل وأهلها، ولذا فإن الاستيطان كان امتدادا للقديم وله إرهاصات منذ تلك الأحداث القديمة.

حيث يعتبر التجمع العمالي وحزب المفدال هم الداعم الرئيس للاستيطان في الخليل منذ البدايات الأولى للاستيطان في الخليل، حيث شكل موقف الأحزاب السياسية المُـشَـكلة

---

(1) السيد والزرو، 40:2001.

(2) هآريتس 2000/7/12م.

مجلة المصدر The Source

للحكومة مؤثراً قوياً على أحزاب المعارضة والتي بدورها دعمت وساندت الاستيطان في الضفة الغربية بشكل عام وفي الخليل بشكل خاص. ونستدل على ذلك من مواقف زعماء حزب الليكود ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر كل من " مناحيم بيجن " رئيس الليكود و" ارئيل شارون " و" موشي ارنيز". حيث اعتبر " مناحيم بيجن" أن دخول بيت في الخليل ليس استيطاناً ولم نوافق أن يكون هنالك نظام الكتاب الأبيض في الخليل وسنعمل على تكثيف الاستيطان في مدينة الآباء، لنعيد الحياة اليهودية فيها[1]

بروتوكول الخليل

يعتقد العديد من الباحثين الإسرائيليين أن سبب تأخير انسحاب الجيش الإسرائيلي المحتل من الخليل بعد اتفاقية أوسلو هو وضعها الديني وأهميتها لدى اليهود المتطرفين، الذين مارسوا ضغوطاً هائلة على المستوى السياسي الممثل بحكومة "اسحق رابين" متهمينها أنها تستند إلى أغلبية عربية ويسارية في الكنيست، لتمرير خطة الانسحاب من أرض الآباء والأجداد، وبسبب هذه الضغوطات تلكأت الحكومة في تضيّـــق القرار وأجلت الانسحاب، وبعدها تم اغتيال رئيس الوزراء، بسبب التطرف اليميني، وعلى أساس معتقدات دينية، مستندة بذلك إلى آراء الحاخامات المتطرفين وموقفهم من أرض الميعاد، وبعد الاغتيال مرت الحكومة الإسرائيلية بفترة انتقالية برئاسة "شمعون بيرس" و حدث التبدل السياسي وصعد اليمين المتطرف إلى الحكم برئاسة "بنيامين نتنياهو" عام 1996م، وفهم ذلك بأنه مكافأة لنشاط اليمين المتطرف مقابل نشاط حكومة اليسار. وانعكس ذلك على واقع الأمر في الخليل، إلى أن وصلنا إلى اتفاق إعادة الانتشار في الخليل الذي قسم الخليل إلى منطقة (أ) تحت السيادة الفلسطينية، ومنطقة (ب) تحت السيادة الإسرائيلية وشملت جميع الأماكن الدينية كالحرم الإبراهيمي وتربة اليهود وغيرها من الأماكن في المنطقة الجنوبية، وظهر تأثير المستوطنين عندما قامت الحكومة بإغلاق شارع الشهداء ولم تمتثل لقرار المحكمة الإسرائيلية العليا بضرورة فتح الشارع. مشكلين منطقة جغرافية مغلقة للمستوطنين وتقطع الشريان الرئيس بين شمال الخليل وجنوبها.

ويحدد موقف الزعماء الصهاينة بعد أوسلو موقفهم من الخليل الذي يستند إلى ما ذكر سابقاً بغض النظر عن موقع أي منهم على الخارطة السياسية أو الحزبية في إسرائيل. فمثلاً " يوسي بيلن " مهندس اتفاقية أوسلو حيث طرح أن مستوطنات الخليل ممكن أن تبقى تحت

(1) الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، الكتاب السنوي، 32:2010.

السيادة الإسرائيلية، ويشاركه في الموقف نفسه " أيهود براك" رئيس وزراء إسرائيل في حينه رداً على شائعات لإخلاء مستوطنات الخليل، حيث أكد أن موضوع الخليل لم يطرح في المفاوضات وأنه لم يوافق على إجلاء المستوطنين اليهود من قلب مدينة الخليل [1] وقد عمل براك على إرضاء المستوطنين قبل المفاوضات كذلك من خلال إيفاد مبعوث خاص لهم هو الجنرال " يعقوب أور" إلى كبار الحاخامات لاستيضاح موقفهم إزاء المسائل الدينية الخاضعة للمفاوضات مع الفلسطينيين وكان موقفهم كالتالي: " أنهم لم يعارضوا نقل السلطة في قبر راحيل في بيت لحم وقبر يوسف في نابلس وحتى الحرم الإبراهيمي في الخليل إلى أيدي الفلسطينيين شريطة ترتيب صلاة لليهود في هذه الأماكن[2] وهذا الموقف بحد ذاته يدل على أن الموقف من هذه الأماكن المقدسة لا علاقة له بالتوراة ولا بالرموز الدينية اليهودية وإنما يقتصر الأمر على نظرة الحركة الصهيونية الاستعمارية. ورغم ذلك استمر موقف حكومة الاحتلال المتشدد تجاه الخليل يهدف إرضاء غلاة المستوطنين المقيمين في المدينة.

السياسة البريطانية في الخليل 1917-1929م.

بعد احتلال القدس أعلن الجنرال اللنبي قيام إدارة عسكرية وعُـينَـت باسم الإدارة الجنوبية لبلاد العدو المحتلة يديرها مدير عام خاضع للقائد العام اللنبي، وبما أن احتلال فلسطين جاء في سبتمبر 1918 شملها الحكم العسكري[3] حيث دخلت القوات البريطانية فلسطين سنة 1917م وفي الثاني من تشرين الثاني من العام نفسه، أُعلن وعد بلفور، ولم يعلم عرب فلسطين الذين دعموا الثورة العربية عام 1916م أن الانجليز والفرنسيين قد اتفقوا على اقتسام سوريا الكبرى بينهم[4]. إن المتتبع للتواريخ والأحداث يتضح له أن وعد بلفور صدر في وقت لم تكن بريطانيا سيطرت على فلسطين بعد الأمر الذي يوضح مدى التآمر الاستعماري.

وفي ربيع عام 1918م زار "وايزمن" القدس وهيأت السلطات العسكرية البريطانية كل السبل، وخطب في جموع من النخب ومنها الفلسطينية في دار الحكومة وأعلن سعادته لفتح الباب أمام اليهود للعودة إلى وطنهم حيث انسحب الزعماء العرب من الاجتماع احتجاجاً على هذه التصريحات[5] وبانسحاب العرب من هذا المحفل يعد الاحتجاج الأول على السياسة

---

(1) الجعبري، طارق، 8:1999.

(2) الدباغ، مصطفى مراد، ط2 :ج5 :16.

(3) ابيشار، عوديد، 28:1970.

(4) الشناق، محمود، 2005 :230 .

(5) السيد والزرو، 60:2001.

البريطانية، إلا أنه كان من الأولى عدم حضور اجتماع من هذا القبيل. وحضور الاجتماع يعبر إما عن عدم إدراك من حضر لخطورة السياسة البريطانية وإما تغليب العصبية القبلية والتي أدت إلى الارتماء في أحضان بريطانيا، وأي منهما لا ينسجم ونضالات الشعب الفلسطيني.

ويستدل من ذلك أن بريطانيا أعدت سلفاً سياسة واضحة تجاه فلسطين وآليات دعمها للحركة الصهيونية للاستيلاء عليها. وتسهيل الهجرة الصهيونية التي ساهمت في تعزيز العنف وتنظيم الجماعات المسلحة بهدف إيجاد الوطن القومي اليهودي.

أما بخصوص الخليل فقد استشعر أهل الخليل مبكراً خطر احتلال بريطانيا لفلسطين، وأنها قدمت إلى فلسطين بهدف تطبيق وعد بلفور، لذلك كان العديد من الاحتجاجات التي ساهم أهل الخليل بها فبدأ من توقيع العرائض إلى المظاهرات، حيث كان لأهل الخليل فعالية بشكل واضح في أحداث النبي موسى عام 1920م، وسارعوا في تنظيم أنفسهم في جمعيات وتجمعات وشاركوا وأرسلوا من خلالها ممثلين فاعلين في المؤتمرات الفلسطينية السبعة التي عقدت لتدارس الوضع، وبلورة سياسة نضالية موحدة ضد الصهيونية وأهدافها في استقلال فلسطين[1]

وكذلك الأمر ضد بريطانيا التي ساعدت الحركة الصهيونية من خلال إصدار وعد بلفور وصك الانتداب والدعم اللامتناهي لها لتمكينها من السيطرة على فلسطين، ومن الناحية الرسمية على الأرض فقد خصصت حكومة الانتداب قبل الأحداث عشرات الدونمات من الأرض الأميرية للمؤسسات الصهيونية ومنها على سبيل المثال:

أ. (8200) دونم مخصصة للاستيطان.
ب. (7500) دونم خصصت لشركة البوتاس.
ج. (1800) دونم خصصت لشركة الكهرباء.
وحولت امتياز تجفيف بحيرة الحولة [2]

كما وضعت الحكومة البريطانية برنامجاً لتطوير الاقتصاد بضغط من الحركة الصهيونية تجمَّــع تحت رعاية عصبة الأمم وبعناية الحكومة البريطانية وذلك لشراء المزيد من الأراضي الأميرية لصالح الحركة الصهيونية، أدت السياسة البريطانية إلى زيادة حالة الإحباط لدى الفلسطينيين بسبب إصرار بريطانيا على إقامة الوطن القومي

(1) السيد والزرو، 67:2001.
(2) الجعبري، طارق، 10:1999.

اليهودي في فلسطين وما أحدثته هذه السياسة من زيادة الهجرة الصهيونية وشراء الحركة الصهيونية للأراضي. وعدم معالجة بريطانيا الضغوط الطبيعية على السكان الفلسطينيين الناتجة عن الطاعون والجراد وغيرها من الكوارث[1] الأمر الذي يُـعد إهمال متعمد لتوسيع حالة الفقر والعوز لدى الشعب الفلسطيني بهدف إجباره على بيع أرضه.

إن إصرار الصهيونية على الوصول إلى البراق أضاف تحدٍ آخر على بريطانيا وأحدث ردود أفعال كبيرة وعنيفة لدى المسلمين في خريف عام 1928م. فشعرت الحركة الصهيونية بالقوة نتيجة سياسة بريطانيا في فلسطين، وأن بإمكانها في هذا الوقت البدء في تغيير الواقع على الأرض من خلال الاعتداءات على الفلسطينيين وأماكنهم المقدسة، ومن جهة أخرى أدت حالة الإحباط لدى الفلسطينيين والعرب بشكل عام، إلى انفجار الأحداث في عهد المندوب السامي السير جون تشانسلور عندما كان في إجازة في بريطانيا، وفور عودته أصدر المندوب السامي بتاريخ 1/أيلول 1929م منشوراً وزع بالطائرات حمل فيه على الفلسطينيين وحملهم المسؤولية عما جرى من أحداث[2] دون أن يفحص الأمر أو يشكل لجنة تحقيق لفحص ملابسات ما حدث، الأمر الذي ترك آثاراً سلبية لدى الفلسطينيين وعزز لديهم فكرة انحياز السياسة البريطانية للحركة الصهيونية، وتوعدت العرب بالعقاب وإشارته بشكل خاص إلى الخليل وما جرى فيها من أحداث تحديداً يؤكد أن سياسة بريطانيا تجاه الخليل مستندة إلى أوهام اليهود وخرافاتهم حول العلاقة التاريخية بالخليل وبداية التفكير بالانتقام من الخليل وسكانها.

وكان هذا مكملاً لما استشعر به السكان في الخليل من السياسة البريطانية الاقتصادية تجاه فلسطين بشكل عام، والخليل خاصة تجاه الضرائب والزراعة وفصل العمال العرب، [3] مما أدى إلى سوء الأوضاع الاقتصادية وظهور التميز الاقتصادي لصالح اليهود حيث ساهم البنك الأنجلو– فلسطيني بذلك، وأدى إلى احتقانات تجاه هذه السياسة وتجاه الحركة الصهيونية في فلسطين ونشاطاتها الاقتصادية والأمنية في الخليل. وظهور تمايز طبقي بين اليهود والعرب بسبب هذه السياسة.

---

(1) زعيتر، 49:1955.

(2) علوش، ناجي، 40:1970.

(3) علوش، ناجي 14:1970.

مجلة المصدر The Source

وتم اكتشاف السياسة البريطانية على حقيقتها من خلال استقدامها لقوات برية وجوية وبحرية من مصر ومالطة وشرق الأردن لضرب، وقمع الاحتجاجات الفلسطينية، وكذلك سلحت العناصر الصهيونية[1] وكانت مشاركة بريطانيا حسب شهادة قائد الأسطول البريطاني بالمعدات التالية:

سفينة حربية وحاملة طائرات وطرّاد ومدمرة وبقيت في فلسطين حوالي ثلاثة أسابيع[2] هذا عدا عن قوات البوليس والقطع البحرية التي كانت تزور فلسطين بشكل يومي والغريب أن تكلفة هذه القوات والمعدات تحملتها حكومة الانتداب في فلسطين والتي بدورها رفعت الضرائب والرسوم وحصلتها من الفلسطينيين، أي بمعنى أن سكان فلسطين مولوا ثمن حملة قمع أحداث عام 1929م التي اعتبرتها بريطانيا بأنها ساحة حرب.

أما بخصوص الخليل فإن دور بريطانيا في الأحداث هناك كان سلبياً وإن لم تكن ساهمت في تأجيج المشاعر كون الموضوع مختلف عليه فإنها وقفت موقف يصعب تفسيره، فهي لم تمنع الأحداث ولم توفر الحماية اللازمة لمنع الأحداث، بل صبت جل غضبها على السكان العرب وأن الغالبية العظمى من القتلى الفلسطينيين من الخليل كانت على يد القوات والبوليس البريطاني[3]

ويُـــعتقد بأنها ساهمت في ترويج الإشاعات عن قتل عدد من أهل الخليل في القدس وما قام به قائد الشرطة بالخليل " كفراتا " من دعاية فهمت بإشارة نحو الانتقام من اليهود في الخليل، يضاف لذلك العادات في مثل هذه الأحداث والحالات وما يعرف بالثأر. انتقاماً لمن قتل من العرب.

وبالإمكان الاستدلال على دور بريطانيا في الأحداث من خلال ما توصلت إليه لجنة التحقيق وعبرت عنه " لجنة شو" التي حضرت إلى فلسطين حيث ذكرت، " أن السبب الرئيس الذي لولاه لما وقعت الاضطرابات، هو شعور العرب بالعداء والبغضاء نحو اليهود وخيبة الأمل تجاه أمانيهم السياسية والوطنية وخوفهم على مستقبلهم السياسي والاقتصادي ورأى العرب أن المهاجر اليهودي يشكل خطراً على معيشتهم ويرون أنه قادم للسيطرة على البلاد في المستقبل".[4] ويعتبر موقف بريطانيا تجاه المفتي نموذجاً حيث عملت على إضعاف مركزه وطرده من كافة وظائفه على اعتبار أنه عقبة أمام محاولات اليهود لشراء حائط

---

(1) السيد والزرو، 67:2001.

(2) شوفاني، الياس ، 433:1996.

(3) Alex Winder.p9.

(4) السفري، عيسى، 128:1937.

البراق يدل على أن بريطانيا تلعب دوراً رئيسياً لمساندة الصهيونية ضد الفلسطينيين، وهذا مخالف لمحاولة إثارة الفتن التي قام بها ضابط الشرطة كفراتا من تأجيج المشاعر من خلال نقله للأخبار التي حدثت بالقدس وبشكل مضخم على اعتبار أنه يحاول جر الفلسطينيين في الخليل إلى مواجهة غير متساوية من خلال استفزازهم[1] وبذلك يكون قد تسبب في إلغاء حالة التعايش ومكن الحركة الصهيونية من خلال إيجاد تبرير لها لاستخدام القوة.

استمرت الأحداث عدة أيام في الخليل وأدت إلى مقتل (60) يهودياً وجرح العديد من اليهود، أما سكان الخليل فقد استشهد منهم 22 شخصاً وجرح العديد من السكان الفلسطينيين، وقد حكم على العديد من العرب بالإعدام، إلا أن العرب قدموا إلى مجلس الملك الخاص استئنافاً وخفض حكم الإعدام على سبعة عشر إلى الحكم المؤبد وثبتَ الحكم بالإعدام على كل من محمد جمجوم وعطا الزير من الخليل، وفرضت الحكومة غرامات باهظة تم تحصيلها من السكان[2] أما اليهود في الخليل فلم يعاقب منهم أحد.

ومن ناحية أخرى شكلت بريطانيا محكمة عسكرية بعد أحداث عام 1929م، وذلك بادعاء محاكمة العرب واليهود الذين اشتركوا في الحوادث، حيث أصدرت المحكمة حكم الإعدام بحق عشرين فلسطينياً نفذت في ثلاثة منهم هم محمد جمجوم وفؤاد حجازي وعطا الزير، اثنين منهم من الخليل والآخر من صفد.

ونستدل على موقف الفلسطينيين من بريطانيا مما قاله فؤاد حجازي لزائريه في السجن " إذا كان إعدامنا الثلاثة يزعزع كابوس الانجليز عن الأمة العربية ليحل الإعدام في عشرات الآلاف مثلنا لكي يزول هذا الكابوس[3] ويتضح مما سبق أن بريطانيا تعاملت مع العرب بقسوة واعتقلت المئات منهم وشكلت محاكم عسكرية وأعدمت ثلاثة منهم[4] مما يشكل شاهداً على انحياز بريطانيا أنها حكمت على يهودي واحد بالإعدام اعتدى على عائلة عربية في يافا وخففت الحكم ولم يُـــــــعدم.

حيث مارست دوراً خبيثاً لتحقيق سياسة قائمة على مبدأ فرق تسد وأججت الكراهية بين اليهود والعرب خاصة في الخليل، وحولت العداء تجاه سياستها إلى صراع ديني بين المسلمين واليهود. مما ترك آثاراً حتى يومنا هذا.

---

(1) السفري، عيسى، المرجع نفسه ، 129.

(2) توما، أميل، ب، د، ن:166.

(3) خلة، محمود كامل، 1982:458.

(4) الجعبري، طارق ، 1990:25.

وجاء موقف العرب ملخصاً في رد اللجنة التنفيذية العربية يوم 3 أيلول عام 1929م ليشاهد العالم أن اليهود تجاوزوا التحرش السياسي إلى التحرش الديني الأمر الذي لا يحتمل، حيث حددت اللجنة التنفيذية أن سبب الاضطرابات هو سياسة بريطانيا في دعم الصهيونية بهدف إخفاء القومية العربية من وطنها الطبيعي فلسطين لكي تحل مكانها القومية اليهودية التي لا وجود لها[1]

كما حاول العرب ممارسة الضغوط على بريطانيا لنشر تقرير البعثة الدولية التي جاءت للتحقيق في الأحداث وقررت بريطانيا تطبيق قرار اللجنة ابتداء من 1931/6/30م، والتي اثبت فيه حق الملكية الحصرية للمسلمين على البراق كونه وقف إسلامي وحق اليهود بالزيارة فقط.

ورغم تأييدنا لما جاء في الشق الأول من القرار وتثبيت حق الملكية للمسلمين، إلا أن الشق الثاني يثبت حق اليهود بالزيارة لم يكن مستنداً إلى أي وثيقة أو أي حق، ويتناقض مع الشق الأول الذي ثبت الملكية للمسلمين.

لذلك يتضح من جميع اللجان التي حققت أن الأحداث حصلت بسبب السياسة البريطانية في دعم الصهيونية لتنفيذ مخططاتها في فلسطين تطبيقاً لوعد بلفور وصك الانتداب البريطاني للحركة الصهيونية وقاوموه بما تيسر لهم، وهذا ما حدث في الخليل فعلاً.

اليهود ونشاط الحركة الصهيونية في الخليل حتى عام 1929م .

لقد تأثر وضع اليهود في الخليل بنشاط الحركة الصهيونية والتي عملت على النهوض بالمشروع الصهيوني بشكل عام وفي الخليل بشكل خاص، خاصة وأن موارد الحركة الصهيونية ازدادت بعد أن توسعت الوكالة اليهودية مما أدى إلى تنشيط الهجرة وتكثيف الاستيطان الأمر الذي أثر على ما يلي:

أ- زيادة شراء الأراضي لسد احتياجات المستوطنين الجدد من المسكن والعمل، وخاصة الأعمال الزراعية تسبب هذا في زيادة طرد الفلاحين الفلسطينيين من أرضهم، مما أدى إلى تعزيز فكرة أن الوطن القومي اليهودي سيقام على إنقاذ القومية العربية في فلسطين.

ب- زادت الوكالة اليهودية ضغطها على حكومة الانتداب للإسراع في وضع برامج تطوير الاقتصاد بما يخدم الاستيطان[2] وقد نجح هذا الضغط في توفير قرض

(1) خلة، محمود كامل، 1982:445.

(2) السفري، عيسى، 1937:128.

مجلة المصدر The Source

بقيمة مليون جنيه إسترليني يُــجمع تحت ورعاية عصبة الأمم، وبضمان الحكومة البريطانية .

وقد وفرت هذه العوامل الإمكانيات لإيجاد نشاط صهيوني فاعل في الخليل أدى إلى إحضار مستوطنين جدد، وخاصة طلاب المدارس الدينية الذين شكلوا الوجه الحقيقي للصهيونية في الخليل، حيث كان واضحاً أنهم غرباء ويحملون ثقافة مختلفة وسلوكهم مختلف عن الجالية اليهودية في الخليل.

إن إيجاد مؤسسات اقتصادية صهيونية في الخليل على غرار البنك الأنجلو – فلسطيني ونشاط هذا البنك جعل سمة واضحة للحركة الصهيونية في الخليل، خاصة الاحتكارات التي قام فيها، والفوائد التي يجنيها، والتميز في التعامل بين اليهود والعرب الأمر الذي أزم الأوضاع الاقتصادية وزاد حدة الكراهية [1]

إن شعور اليهود بالقوة في الخليل جعلهم يتحدون ضد العرب ويتعدون عليهم بالشتائم والتهكم وغير ذلك، مما أثار حفيظة أهل الخليل وغضبهم ضد طلاب المدارس الدينية الذين لم يحترموا التقاليد ولا النسيج الاجتماعي بين العرب واليهود على مر أربعة قرون من الزمن، وكان هذا شعور مستهجن من قبل أهل الخليل، حيث شعروا أن التوجه العام لليهود في الخليل تغير ولم يعد كما كان في السابق، من أجل العيش الكريم وإقامة حياة دينية مستقرة.

حيث استفاد طلاب المدارس الدينية اليهودية في الخليل من الزخم الناتج عن انعقاد المؤتمر الصهيوني السادس عشر في " زيورخ " حيث وسع الوكالة اليهودية ودخل التيار التصحيحي على العمل السياسي بقوةٍ واندفاع[2]

حيث أدى التنافس بين التيار العمالي الذي قادة الحركة الصهيونية والحركة التصحيحية بقيادة " زئيف جابوتنسكي" إلى مضاعفة نشاط الاستيطان والهجرة، وتنظيم الخلايا لصالح المنظمات السرية العسكرية، وانعكس ذلك على نفوذ اليهود بشكل عام وفي الخليل بشكل خاص، وترجم ذلك باعتداءات على السكان الفلسطينيين في كل من الخليل والقدس، مما أدى إلى ارتفاع الدعوات للإسراع في الإعلان عن الدولة اليهودية من قِـــبل أتباع "جابوتنسكي" وأمعنوا في استفزازاتهم للعرب.

---

(1) جبارة، تيسير، 163:1998.

(2) محسن، عيسى خليل ، 88:1998.

مجلة المصدر The Source

أن المُـــتتَـــبع لاستفزازات اليهود واحتكاكهم بأهل الخليل منذ عام 1920م أثناء مشاركتهم في أحداث النبي موسى بالقرب من القدس، مروراً بالشائعات حول تعدي اليهود على العَـــلم وقتلهم أحد رجال الموكب[1] حيث اعتبر هذا الاعتداء الأول من قِـبل الصهاينة في القدس على وفد الخليل وعَـــلَـــم الخليل، مما شكل بداية احتقانات داخلية خدمتها الإشاعات حتى انفجرت. طالب أهل الخليل الكابتين "تشامبيون" نائب الحاكم العسكري البريطاني أن يسمح لهم بالسفر إلى القدس لنجدة إخوانهم بسبب الإشاعات الواردة من القدس والتي أججت المشاعر، إلا أن الطَـــلب رُفِـــض وأغلقت الطريق المؤدية إلى القدس، وسمح لهم بإجراء مظاهرة داخلية فقط. الأمر الذي انعكس على تطور الأحداث في الخليل.

وتتابعت الأحداث في أماكن مختلفة من فلسطين نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر؛ كل من حادث البخارية والمشاجرة بين العرب واليهود إِثْـــر العبث في بستان فلسطيني من قبل أحد الشبان اليهود وما تبع ذلك من تداعيات بدعم ومشاركة من الحركة الصهيونية، وهجوم الصهاينة على محلة أبو كبير في يافا وقتل إمام المسجد وعائلته ..... الخ.

حيث انعكست هذه الأحداث على مدينة الخليل صاحبة الاحتكاك الدائم وما يُـــسببه طلاب المدارس الدينية من تغييرات اجتماعية، ونستشهد بذلك بما قاله "عيسى مرقه "عندما حضر وفد اليهود إلى قائد الشرطة، عندما سمعه يقول طلب من " الحاخام سلونيم "تسليم الغرباء المتواجدين بينهم وبذلك ينقذون حياتهم وللوهلة الأولى لم يَـــعِـــر " الحاخام سالونيم" عيسى مرقه أي اهتمام، وبعد أن تمعن في كلماته امتلأ غضباً وقال: " نحن معشر اليهود لسنا كالمسلمين بل أننا شعب واحد وليس بيننا غرباء، واعلم أن هؤلاء الغرباء الذين تعنيهم يجتمعون الآن في بيتي وهم بالعشرات"[2] ويشكل هذا اعتراف من " الحاخام سالونيم" على وجود يهود غرباء، وأن هؤلاء باختلافهم جاءوا لينفذوا أجندة مختلفة لها علاقة بإثارة العنف والشغب في الخليل لفرض واقع جديد فيها تنفيذاً للنشاط الوطني القومي اليهودي.

وعند اندلاع الأحداث أصدر قائد شرطة الخليل " كفراتا " أمراً يقضي بملازمة اليهود منازلهم، وعقد اليهود اجتماعاً تشاورياً في بيت " الحاخام فرانكو" للاحتجاج على هذا الإجراء خوفاً من أن يفسر هذا الإجراء بأنه يشُـــــد من عضد المعتدين ويذكر " شنيرسون " أنهم أثناء توجههم للاحتجاج وجدوا في الطريق أحد وجهاء الخليل وهو " عيسى مرقه" فقال له اليهود..." إذا أجمع رؤساء الحمايل الإسلامية في الخليل وتحملوا المسؤولية عن حياة السكان

(1) السفري، عيسى، 130:1937.

(2) شوفاني، الياس، 432:1996.

مجلة المصدر The Source

اليهود فعندئذٍ فإننا نستمر في علاقات الصداقة والروابط التجارية معهم، وسوف يتمتعون كما تمتعوا في السابق من القروض التي حصلوا عليها من البنك الانجلو–فلسطيني، وإلا أبلغهم من الآن فصاعداً أن العلاقات بيننا ستنتهي"[1]

ويستدل من هذا أن اليهود كانوا يُـــلَـــوحِـــونَ إلى تغير التعامل مع المسلمين بما يشبه التهديد بالمس بالعلاقات التجارية والتضييق على المسلمين في أمورهم التجارية، الأمر الذي يفسر من أنه شعور بالقوة والخوف في آنٍ واحد، حيث أن التهديد بالمس بالعلاقات التجارية هو ترغيب المسلمين بالحفاظ على هذه العلاقات، وكذلك الأمر بأن اليهود كانوا قلقين من سلوك السكان العرب في الخليل .

أما الصهيونية فقد حاولت الاستفادة من الأحداث في أكثر من اتجاه فقد عبر "وايزمن " عنها بأنها تُـــــشكل ردة فعل القيادة العربية نحو الاجتماع المشترك الذي عقده المؤتمر الصهيوني والوكالة اليهودية وأنها " أقوى محاولة قام بها الزعماء العرب لإرهابنا من تنفيذ مخططاتنا في فلسطين إلا أنهم فشلوا فإذا كانت هذه الاضطرابات بهدف هدم بناء الوطن القومي فإنها جاءت متأخرة لأننا بنينا برسوخ وقوة " [2] ويعتبر هذا مؤشراً قوياً على ما ذهبت إليه الحركة الصهيونية في إعداد البرامج والسياسات للاستيلاء على فلسطين لإنشاء الوطن القومي اليهودي على الأرض الفلسطينية.

وألقت الحركة الصهيونية مسؤولية الأحداث في الخليل على السلطات البريطانية لأنها لم تتخذ الإجراء المناسب لحماية السكان اليهود، ويتجاوز ذلك بذهاب البعض من الصهاينة باتهام الإدارة البريطانية المحلية في فلسطين مسؤوليتها المباشرة عن الأحداث، فيما يذهب البعض إلى اتهام حكومة بريطانيا بالتقصير[3]. وعندما نتمعن في هذه الاتهامات نجد أن هدفها استفزاز بريطانيا لعمل المزيد من خلال اتهامها بالتقصير، وإضافةٍ لما سبق حاولت الحركة الصهيونية توظيف الأحداث لصالحها في محاولة لإثارة اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية لجمع التبرعات لتحقيق البرنامج الصهيوني في فلسطين وشراء المزيد من الأراضي، فنجد أن" وايزمن" أثناء زيارته للولايات المتحدة عام 1928م حاول نسج علاقة تقارب بين العناصر الصهيونية وغير الصهيونية هناك بهدف للاتفاق على الدفاع عن المصالح اليهودية في فلسطين ودعمها، في محاولة لإثارة المشاعر الطائفية اليهودية في كافة

---

(1) شوفاني ، الياس، 433:1996.

(2) ابيشار، عوديد ، 27:1970.

(3) خلة، كامل محمود ، 445:1982.

مجلة المصدر The Source

أنحاء أمريكا[1] والحقيقة أن نشوب نزاع ديني في فلسطين يمكن أن يستغل كسلاح دعائي رئيسي في حملة ناجحة لجمع التبرعات وخلق وعي جماعي لبناء الشعور القومي اليهودي.

هدفت الحركة الصهيونية من إثارة العنف لتعزيز وجودها وإعادة تعريف وضعها من خلال إيجاد حيز جغرافي لممارسة حدودها عليه بعيداً عن بريطانيا، وتحت دعمها ورعايتها مثل الثقافة اليهودية واللغة العبرية والملابسات وغيرها من الممارسات الخاصة القصد منها إيجاد تفكير جمعي في تحصين الذات، نحن مقابل هم اليهود ضد المسلمون، ....الخ، من أجل تحصين وتقوية الذات، من خلال تقوية الشعور بهذه الهوية والتعبئة العامة في إطارها من خلال إيجاد خطر دائم لإبقاء الصفوف متراصة مقابل هم " أي العرب الفلسطينيين"، وفي سياق تفسير الحركة الصهيونية للأحداث في الخليل فإنها تُـــــرجعها إلى فشل سياسة بريطانيا في توقعها وإجهاضها قبل بدايتها فيما يعرف بالتقاعس والإهمال عن أداء المهمات والتحريض الذي مارسته القيادات العربية في الخليل خاصة الجمعيات التي ناهضت السياسة البريطانية وعلى رأسها" طالب مرقه" وغيره من القيادات، بالرغم مما قيل حول الأحداث وعن أسبابها، إلا أن الجماهير الفلسطينية الغاضبة في الخليل ميزت في التعامل الغاضب بين أولئك اليهود القدامى الذين تربطهم علاقات حُـــسن جوار مع الفلسطينيين وبين أولئك الذين قدِموا بهدف تحقيق أهداف الصهيونية والاعتداء على السكان الفلسطينيين، في هذا المجال يذكر "عيزر جينسكي" .... "أثناء المظاهرات الصاخبة غادرت أمي وأخي المنزل إلى بيت " اليعيزر دان" الذي كان أكثر أمناً بسبب العلاقات الطيبة بينه وبين العرب باعتباره مواطناً قديما[2] ويعتبر هذا دليلاً آخر على أن الجماهير الغاضبة في الخليل ميزت بين اليهود من أصل إسباني والذين أقاموا في الخليل منذ زمن بعيد وبين أولئك الذين حضروا لاقتلاع السكان الفلسطينيين من بيوتهم واستغلالهم.

وهذا يفسر سبب حماية أهل الخليل لليهود وعدم الاعتداء عليهم بينما كان الاعتداء على أتباع الحركة الصهيونية في محاولة من أهل الخليل لرد العداوات على الاستفزازات، والتحرشات التي مارستها الحركة الصهيونية في الخليل عن طريق طلاب المدارس الدينية وأعضاء منظمة الهاجاناه المسلحين.

وأن تصريحات الشهيد "محمد جمجوم" رحمه الله، وهو في طريقه إلى حبل المشنقة دليل على صحة ما نقول عندما صرح "إن اليهود والذين قتلتهم هم خمسة وأنهم كانوا من

---

(1) توما، أميل، د.ت.ن:171.

(2) خلة، كامل محمود، 445، 1982.

مجلة المصدر The Source

الغرباء الذين جاءوا إلى فلسطين ليُـــــخرجوا أهلها منها[1] في إشارة إلى أتباع الحركة الصهيونية في الخليل، ونستدل مما سبق أن أهل الخليل لم يعتدوا على اليهود ولم يرتكبوا مجازر بحقهم بل على العكس قام أهل الخليل بحماية اليهود في بيوتهم وأن أحداث الخليل يتحمل مسؤوليتها الحركة الصهيونية بما قامت به من نشاطات واستفزازات ضد السكان بهدف العنف لممارسة رموزها في حيز جغرافي خاص بها نظراً لشعورها بالقوة نتيجة الدعم الذي حصلت عليه من بريطانيا.وأن سلوك أهل الخليل كان ضد الغرباء الذين هددوهم في عقر دارهم ولم يرتكبوا بحق أي منهم جرائم تنكيل وتشويه، بل أن جزءاً من هؤلاء قتلوا على يد البوليس البريطاني الذي أطلق النار على اليهود والعرب حيث قتل اثنان وعشرون فلسطينياً كذلك.

أثر أحداث عام 1929م على الخليل.

كان لسياسة بريطانيا الاقتصادية في الخليل أكبر الأثر في تعميق الشعور بخيبة الأمل تجاه السياسة البريطانية مما شكل مخزوناً ثورياً لمقاومة هذه السياسة منذ أحداث النبي موسى عام 1920م. فخشية السكان من فقدان مصدر رزقهم وحرمانهم من وسائل العيش من خلال نشاط البنك الأنجلو – فلسطيني مما تسبب في سيطرت الحركة الصهيونية على الأراضي الزراعية ومنابع الثروة والأسواق التجارية، أثر سلباً على العلاقات اليهودية العربية في الخليل[2]، الأمر الذي عمق حالة الفقر لدى سكان الخليل وزاد من نقمتهم على سياسة بريطانيا التي ساهمت برفع الضرائب لإجبار العرب على ترك أراضيهم. ويعتبر العامل الاقتصادي عاملاً أساسياً أجج المشاعر وعبأ السكان ضد السياسة البريطانية والنشاطات الصهيونية في الخليل.

ويرى الباحث أن سياسة بريطانيا الإدارية والأمنية إلى شعور السكان في الخليل بأن بريطانيا تخلت عنهم لصالح الحركة الصهيونية خاصة بعد المنشورات التي وزعت بالطائرات من قبل الحاكم العام " تشانسلور" حمَّـــل فيها أهل الخليل المسؤولية دون إعطاء فرص لفحص الأحداث أو التحقيق فيها. وإطلاق عبارات التهديد والوعيد ضد سكان الخليل، فعمَّــق شعور السكان بالعداء البريطاني لهم ولم يعودوا يأمنون جانب بريطانيا، بل خرجوا علناً ضد سياستها.

---

(1) ابيشار، عوديد، 31:1970.

(2) السيد والزرو، 75:2001.

مجلة المصدر The Source

أما من الناحية الأمنية فيعتبر البوليس البريطاني مسوؤلا عن مقتل إثنين وعشرين مواطناً في الخليل قتلوا برصاص البوليس، حيث يعتبر عملاً غير مسؤولاً تجاه المواطنين العزل، وأسماء شهداء الخليل على يد البوليس البريطاني هم:

.1	عز شحادة الجمل	.2	داود عيسى عاشور
.3	محمد صلاح حسن	.4	عبد الحفيظ حسن القاعود
.5	مرشد الحشاش	.6	عبد الفتاح عبد الحفيظ
.7	عصفور شاكر	.8	عيسى الشريف
.9	محمد حسن ابو زهرة – يطا	.10	خليل الحاج حسن
.11	حسن عليان – السموع	.12	عبد الحميد عبد الحليم التلحمي – قبا
.13	إبراهيم إسماعيل الدبابسة – قبا	.14	إبراهيم طنينه – ترقوميا
.15	إبراهيم الجسر أبو عرقوب – دورا	.16	سليم ابو سليم – بير السبع
.17	علي محمود العزة – تل الصافي	.18	خليل الجسر أبوعرقوب_ دورا
.19	عيسى ابو سقط – بني نعيم	.20	عبد الرحمن سالم أبوعصبة – حلحول
.21	محمد حماد – حلحول	.22	خليل أبوعرقوب [1]

وعند التدقيق في هويات الشهداء نجدهم من كافة محافظة الخليل، الأمر الذي يعبر عن حالة الوعي تجاه الحركة الصهيونية ونشاطها، وأدت الأحداث إلى اعتقال العديد من سكان الخليل والتنكيل بهم، ومنهم أحد عشر شخصاً حكموا بالإعدام من الخليل وهم:

.1	عبد الجواد حسين فراح	.2	عطا أحد الزير
.3	عيسى العراني	.4	خلف الخطيب
.5	شاكر محمود الحلواني	.6	شكري محمود الحلواني
.7	محمد خليل أبو جمجوم	.8	عباس ناصر الدين
.9	عبد الشكور الشرباتي	.10	عبد الحفيظ عبد النبي الحموري
.11	شحادة عويضة		

حيث استبدلت هذه الأحكام من قبل المندوب السامي إلى الحكم المؤبد باستثناء عطا الزير ومحمد جمجوم نفذ فيهم حكم الإعدام في سجن عكا[1]

(1) السيد والزرو، 77:2001.

وتعتبر سياسة بريطانيا العنيفة تجاه سكان الخليل محاباة للحركة الصهيونية، وعدم إنصاف لأهل الخليل أثر الأحداث، مما حدى بأهل الخليل إلى تنظيم أنفسهم في جمعيات كان أشهرها مركز للجمعية الإسلامية المسيحية ترأسها الناشط السياسي" طالب مرقه" ما بين 1929م– 1931م، وكان معه في الهيئة الإدارية للجمعية كل من " الشيخ محمود سلطان" سكرتيراً، وعضوية كل من: "ياسين أبو الفيلات" و" أحمد يونس" والشيخ محمد علي الجعبري" و" يعقوب شاور" و" الشيخ عبد المعطي الخطيب" و" سليم حجازي" و" عبد العظيم الخطيب "و " حميدان كاتبة بدر" و" الحاج إبراهيم أبو خلف " و"الشيخ أمين الحموري" و" الشيخ أحمد بيوض التميمي" و السيد "ظاهر دعنا[1] . وكان هدف هذه الجمعية التصدي للنشاط الصهيوني والاحتجاج على السياسة البريطانية وتعبئة السكان ضد هذه الإجراءات، حيث نجد أن الجمعية احتجت على قرار لجنة البراق الدولية التي طالبت بتنظيم زيارة اليهود للحائط الغربي للحرم من خلال برقية احتجاج أرسلت بتاريخ 1931/6/23م "..... استنكرت خلاله الحكم الدولي والقرار الملكي الصادر بشأن البراق الشريف القاضي بالسماح لليهود بزيارته[2]

ويدل هذا على أن الجمعية لم يقتصر نشاطها على الخليل، بل هدفت إلى مقاومة سياسة بريطانيا في كافة الأماكن المقدسة، ونذرت نفسها إلى قيادة العمل الوطني ضد النشاط الصهيوني والسياسة البريطانية الهادفة إلى تمكينه من إقامة وطنه القومي على أنقاض الوطن الفلسطيني في فلسطين. وعملت على نشر الوعي بين أفراد المجتمع لتعميم فكرة المقاومة للصهيونية ورفض سياسة بريطانيا في فلسطين.

خاتمة:

إن انتفاضة أهل الخليل عام 1929م " ثورة البراق" كانت موجهة ضد الصهيونية وأتباعها، ولم تكن موجهة ضد اليهود لكونهم يهوداً فقط، ويتضح ذلك من خلال أسماء الذين قتلوا وجرحوا من اليهود، حيث كان معظمهم من الصهاينة المهاجرين، الذين استوطنوا في مدينة الخليل بعد فرض الانتداب البريطاني على المدينة.

---

(1) جبارة، تيسير، 15:2001.

(2)المصدر نفسه: 16.

ثم لو كانت " ثورة 1929م" موجهة ضد اليهود كافة لتم قتل جميع اليهود، لأن ميزان القوى في هذه الثورة كان لصالح العرب ضد اليهود، بالرغم من تدخل الشرطة البريطانية لصالح اليهود ضد العرب، الذين سقط منهم العشرات من الشهداء والجرحى، برصاص الشرطة البريطانية والصهاينة.

إن ما حصل لليهود والعرب عام 1929م كان نتيجة حتمية لتطبيق السياسة البريطانية الصهيونية، الهادفة إلى تطبيق وعد بلفور، وإن مسؤولية ذلك تتحمله سلطة الانتداب البريطاني والحركة الصهيونية.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1- ابيشار، عوديد، (1970)، كتاب الخليل، ترجمة حمدي النوباني، القدس.

2- أبو ضباع، احمد شحاده، (2010)، بروتوكول الخليل وأثره على مواطني وسكان البلدة القديمة، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة القدس، فلسطين.

3- توما، أميل، جذور القضية الفلسطينية، د.ت.ن ، د.م.ن.

4- توما، أميل، (1983)، ستون عاماً على الحركة القومية العربية الفلسطينية، منشورات الأسوار، عكا.

5- جبارة، تيسير، (2001)، انعكاسات ثورة البراق على الخليل، مجلة التاريخ العربي العدد 21، المغرب.

6- جبارة، تيسير، (1998)، تاريخ فلسطين، دار الشروق للتوزيع والنشر، رام الله، فلسطين.

7- جبارة، وآخرون ، (1987)، مدينة الخليل، دراسة تاريخية جغرافية، منشورات رابطة الجامعيين، الخليل، فلسطين.

8- الجعبري، طارق، (1999)، ثورة 1929، بحث غير منشور، الخليل، فلسطين.

9- جيارة، تيسير، (1988)، تاريخ فلسطين الحديث، مؤسسة البيادر الصحفية، القدس، فلسطين.

10- حجازي، عرفات، (1995)، مدينة الخليل وحروب الحاخامات الدينية، دار الصباح ، عمان، الأردن.

11- خلة، محمود كامل، (1982)، فلسطين والانتداب البريطاني 1922-1939، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، الجماهيرية العربية الليبية.

12- الدباغ، مصطفى مراد، (2003)، الجزء الخامس القسم الثاني، في ديار الخليل، دار الهدى، كفر قرع، فلسطين.

13- الرجبي شحاده (2000)، الجالية اليهودية في الخليل 1917-1936، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية.

14- زعيتر، أكرم، (1955)، القضية الفلسطينية، دار المعارف، مصر.

15- السفري عيسى، (1937)، فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ، منشورات صلاح الدين، القدس، فلسطين.

16- السيد والزرو، (2001)، الخليل، صراع بين التهويد والتحرير من انتفاضة 1929- انتفاضة (2000) المؤسسة العربية الدولية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
17- الشناق محمود نهاد، (2005)، العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين، 1876-1914م.
18- شوفاني الياس، (1996)، الموجز في تاريخ فلسطين السياسية منذ فجر التاريخ حتى عام 1949، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ط1، بيروت، لبنان.
19- العُـــــليمي، مجير الدين، الحنبلي، (1999)، تاريخ الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، ج1، تحقيق عدنان أبو تبانة، مكتبة دنديس الخليل، فلسطين.
20- علوش ناجي، (1970)، المقاومة العربية في فلسطين 1917-1948، د.م.ن.
21- محسن، عيسى خليل، (1998)، فلسطين وسماحة المفتي الأكبر الحاج محمد أمين الحسيني، مطبعة الصخري، عمان، الأردن.
22- اليكس ويندر باللغة الانجليزية، (2012)، رسالة دكتوراه، الحائط الشرقي العنف الطائفي والمجتمع، جامعة نيويورك، قسم التاريخ والدراسات الإسلامية.

الصحف والمجلات:

- جريدة هآريتس بتاريخ 200/7/12م.

المواقع الإلكترونية:

- الموسوعة الحرة ، http://ar.wikipidia.org.

الإدارة

" أسباب ضغوط العمل لدى رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في جنوب الضفة الغربية وطرق علاجها"

د. سمير سليمان الجمل

رئيس قسم الشؤون الادارية،

وزارة التربية والتعليم، فلسطين

الملخص:

هدفت الدراسة التعرف إلى أسباب ضغوط العمل لدى رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في جنوب الضفة الغربية وطرق علاجها، وفقاً لعدة متغيرات هي: (الجنس والمؤهل العلمي والعمر والمديرية ومعدل الراتب الشهري). واتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي. تكون مجتمع الدراسة من (85) رئيس/ة قسم. وقد تم استخدام استبانة مكونة من(54) فقرة، موزعة على ستة مجالات. بلغ فيها حجم العينة الدراسية (58.8%). في الأخير أشارت نتائج الدراسة أن أسباب ضغوط العمل لدى رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في جنوب الضفة الغربية وعلى الدرجة الكلية كانت متوسطة. وجاءت الأسباب المؤدية لضغوط العمل تنازلياً كالآتي: (طبيعة العمل، العوامل التنظيمية، الرضا الوظيفي، الظروف الفيزيقية، العلاقة بالزملاء ورؤساء العمل، غموض الدور). كما جاءت أعلى فقرات الدراسة والتي تؤدي إلى زيادة ضغوط العمل لدى رؤساء الأقسام:(راتبي الذي أتقاضاه لا يتلاءم وحجم العمل الذي أقوم به، راتبي الذي أتقاضاه لا يتلاءم مع مؤهلاتي وخبراتي، أشعر بحمل زائد في عملي، متطلبات عملي كثيرة لدرجة أنها تسبب لي الشعور بالإجهاد والتعب). في حين جاءت أدنى الفقرات كالآتي: (ليس لدى وضوح كافي عن كيفية أداء الأعمال التي أكلف بها، لا أعرف كثيرا ما هو المطلوب منى في وظيفتي، لا يوجد تعاون بيني وبين زملائي في العمل، كثيرا ما أحتاج للاستفسار بشأن كيفية أداء وظيفتي). وأشارت نتائج الدراسة إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في الأسباب المؤدية إلى ضغوط العمل لدى رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في جنوب الضفة الغربية تعزى لمتغيرات: الجنس والمؤهل العلمي والعمر ومعدل الراتب الشهري. في حين أشارت النتائج إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في الأسباب المؤدية إلى ضغوط العمل لدى رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في جنوب الضفة الغربية تعزى لمتغير: المديرية ولصالح مديريات الخليل وجنوب الخليل ويطا. وقد خرجت الدراسة بعدد من التوصيات.

الكلمات المفتاحية: ضغوط العمل، رؤساء الأقسام، جنوب الضفة الغربية.

Abstract:

The causes of the pressures of work with the heads of departments in the Education directorates in south West Bank and methods of treatment."

The study aimed to identify the causes of the pressures of work with the heads of departments in south West Bank and methods of treatment, according to several variables: (Gender , educational qualification, age, Directorate and the rate of monthly salary). The study followed the descriptive analytical method. The study population consisted (85) head of department. a questionnaire consisting of (54) items, spread over six areas has been used. The sample size (58.8%). The results indicated that the reasons for the pressures of work with the heads of departments in the education directorates districts in south West Bank and the total score was medium. Came the causes leading to the pressures of work in descending order as follows:(nature of the work, organizational factors, job satisfaction, physical conditions, relationship with colleagues and heads of work, Mystery role). The highest paragraphs of the study were as follows:(my salary that I get does not fit the size of the work that I do, my salary that I get does not fit with my qualifications and my experiences, I feel carry a plus in my work, and many practical requirements to the extent that it caused me fatigue and fatigue). While the lowest paragraphs were as follows in: (I do not have clarity enough about how the performance of the business that need to take it, I do not know too much what is required of me in my job, there is no cooperation between myself and my colleagues at work, often I need to inquire on how to perform their job). The study results indicated that there were no statistically significant differences in the causes leading to the pressures of work with the heads of departments in south West Bank due to the variables: gender, educational qualification, age, the rate of monthly salary. While the results indicated that there were statistically significant differences in the causes leading to the pressures of work with the heads of departments in south West Bank due to the variable: Directorate for the benefit of the directorates of Hebron, Yatta and south Hebron . The study came out a number of recommendations.

Key words: The pressures of work, heads of departments, the southern West Bank.

المقدمة:

على الرغم مما يشهده العالم اليوم من تطورات علمية وتكنولوجية انعكست على كثير من جوانب الحياة المختلفة، إلا أن كثيرا من الباحثين قد وصفوا القرن الحالي بأنه عصر الضغوط النفسية (Psychological stress)، والاحتراق الوظيفي (Burnout) لذلك عدت من الظواهر التي تتطلب من الإنسان التعايش معها وتطوير كفاءة معينة للتعامل معها.[1] ، الاحتراق الوظيفي مرض عصري شائع، فلا نجد مجال من مجالات حياتنا المعاصرة إلا ونراه محمل بتناقضات اجتماعية وضغوط نفسية تؤدي حتما في حال استمرارها للنتيجة المأساوية (الاحتراق الوظيفي) . وقد اكتسب موضوع الاحتراق الوظيفي أهمية كبيرة لدى الكتاب والباحثين في الدول المتقدمة خلال العقود الثلاثة الماضية ليس فقط في مجال السلوك التنظيمي والعلوم الطبية ولكن أيضا في مجال التطوير الإداري لأنها من المشكلات الإدارية الهامة في عالمنا المعاصر التي تواجه العاملين في المنظمات الحكومية وغير الحكومية، ويعتبر مؤشرا على مرور المنظمات بأزمة يمكن أن تؤدي بها إلى التدني والانحدار ويصيبها الفشل على المدى الطويل للآثار السلبية على المنظمات والعاملين بها.[2]

والاحتراق الوظيفي تعبير جديد حيث يعتبر (Herbert Fried) المحلل النفسي الأمريكي أول من أدخل مصطلح الاحتراق الوظيفي (burnout) إلى حيز الاستخدام الأكاديمي وذلك عام 1974م، وناقش تجاربه النفسية التي جاءت نتيجة تعاملاته وعلاجاته مع المترددين على عيادته النفسية في مدينة نيويورك، وقد لاحظ فرويد نبيرجر أن الذين يعملون في المهن والخدمات الإنسانية كانوا أكثر تعرضا لحالات الاحتراق الوظيفي وذلك لتعاملهم اليومي مع عدد كبير من الناس، مع عدم قدرتهم تحقيق كل ما هو متوقع منهم.[3]

---

(1) الزيودي، محمد. (2007) "مصادر الضغوط النفسية والاحتراق النفسي لدى معلمي التربية الخاصة في محافظة الكرك وعلاقتها ببعض المتغيرات " ، ***مجلة جامعة دمشق*** ، مجلد (23)، عدد (2) ، ص ص 189-219.

(2) النفيعي، ضيف الله. (2001). "الاحتراق الوظيفي في المنظمات الحكومية الخدمية في محافظة جدة" ، ***مجلة جامعة الملك عبد العزيز :الاقتصاد والإدارة***، مجلد (14)، عدد (1)، المملكة العربية السعودية، ص ص 55-88.

(3) عودة، يوسف. (1998)." ظاهرة الاحتراق النفسي وعلاقتها بضغوط العمل لدى معلمي المدارس الثانوية الحكومية في الضفة الغربية " ، ***(رسالة ما جستير غير منشورة)***، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، فلسطين.

مجلة المصدر The Source

ويحدث الاحتراق الوظيفي عندما لا يكون هنـــاك توافق بين طبيعة العمل وطبيعة الإنسان الذي ينخرط في أداء ذلك العمل، وكلما زاد التباين بـــين هاتين البيئتين زاد الاحتراق الوظيفي الذي يواجهه الموظف في مكان عمله. هذا وتتداخل ظاهرة الاحتراق الوظيفي للشخص مع ظواهر أخرى متشابكة ومنها اتجاهات الفرد نحو المهنة، والرضا الوظيفي ، وكفايات الموظف، والتفاعل الاجتماعي، والسلطة الإدارية. وربما يعد اتجاه الفرد نحـــو المهنة هو المحدد الأساسي لمدى تحمله للمهنة وضغوطها النفسية والجسمية، وبالتالي للاحتـــراق الوظيفي الذي يواجهه . هذا وقد تطور الاهتمام بظاهرة الاحتراق الوظيفي بين الباحثين والممارسين، على حـــد سواء، وركزت أبحاث الاحتراق الوظيفي على الموظفين في قطاع الخدمات الإنسانية، بمـــا فـــي ذلك الباحثون الاجتماعيون، والممرضون، والمدرسون، والمحامون، والأطباء، ورجال الـــشرطة، والمهنيين الآخرين التي تتطلب أعمالهم اتصالاً مباشراً ومستمراً مع الجمهور. وتظهـــر ظـــاهرة الاحتراق الوظيفي في القطاعين العام والخاص، وبشكل خاص بين الأفراد الذين يبدون اهتمامـــاً بأعمالهم ويتسمون بالمثالية والالتزام. ولكن أعراض الاحتراق الوظيفي قد تظهر كذلك في المهن الفنية، مثل: تطوير برامج الحاسب الآلي، والحقول الأخرى للبحـــث والتطـــوير. كمـــا أن ثمـــة دراسات أظهرت وجود الاحتراق بين المهندسين، والسكرتارية. كما أظهرت الدراسات الحديثة أن الاحتراق يظهر أيضاً في الوظائف الإدارية . [1]

أولا: مشكلة الدراسة وأسئلتها:

يعاني العديد من رؤساء الأقسام العاملين في مديريات التربية والتعليم ضغوطاً في العمل تؤثر سلباً على أدائهم الوظيفي، وكون الباحث يعمل رئيساً لقسم الشؤون الإدارية في مديرية التربية والتعليم في جنوب الخليل، فقد ارتأى إجراء مثل هذه الدراسة للخروج بالنتائج والتوصيات التي تحد من تلك الضغوط، ويمكن تحديد مشكلة الدراسة من خلال السؤالين الرئيسين الآتيين:

السؤال الأول: " **ما هي أسباب ضغوط العمل لدى رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في جنوب الضفة الغربية وطرق علاجها؟**

---

(1) الكلابي، سعد؛ ورشيد، مازن. (2001) "الاحتراق الوظيفي : دراسة استكشافية لمقياس ماسلاك على الموظفين بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية" ، ***مجلة جامعة الملك سعود*** ، مجلد (13) ، العلوم الإدارية (1)، المملكة العربية السعودية، ص ص 113-150.

مجلة المصدر The Source

السؤال الثاني:"**هل تختلف أسباب ضغوط العمل لدى رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في جنوب الضفة الغربية وطرق علاجها ، تبعا لمتغيرات: (الجنس ، المؤهل العلمي ، العمر ، المديرية ، معدل الراتب الشهري) ؟**

ثانياً: فرضيات الدراسة:

وللإجابة عن سؤال الدراسة الثاني صاغ الباحث الفرضية الآتية:

*** لا توجد أسباب لضغوط العمل لدى رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في جنوب الضفة الغربية.**

*** لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq$ 0.05) في أسباب ضغوط العمل لدى رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في جنوب الضفة الغربية وطرق علاجها، تبعا لمتغيرات: (الجنس، المؤهل العلمي، العمر، المديرية، معدل الراتب الشهري).**

ثالثاً: متغيرات الدراسة:

- المتغيرات المستقلة:

1- الجنس، وله مستويان: (ذكر، أنثى).

2- المؤهل العلمي، وله ثلاثة مستويات: (دبلوم، بكالوريوس، ماجستير فأكثر).

3- العمر، وله أربعة مستويات: (أقل من 30 عام، من 30- أقل من 40 عام، من 40- أقل من 50 عام، من 50 عام فأكثر).

4- المديرية، ولها أربعة مستويات: (بيت لحم، شمال الخليل، وسط الخليل، جنوب الخليل، يطا).

5- معدل الدخل الشهري، وله خمسة مستويات : (من 3000-3500 شيكل، من 3501-4000 شيكل، من 4001- 4500 شيكل، من 4501-5000 شيكل، أكثر من 5000 شيكل).

- المتغير التابع:" أسباب ضغوط العمل لدى رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في جنوب الضفة الغربية وطرق علاجها"

ثالثاً: أهداف الدراسة:

هدفت الدراسة التعرف على:

1. أسباب ضغوط العمل لدى رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في جنوب الضفة الغربية وطرق علاجها.

2. الطرق الواجب اتباعها للتخفيف من الضغوط التي يعاني منها رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في جنوب الضفة الغربية.

3. التعرف على الفروق بين بعض المتغيرات الوظيفية والديموغرافية في أسباب ضغوط العمل لدى رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في جنوب الضفة الغربية وطرق علاجها.

رابعاً: أهمية الدراسة:

يمكن تلخيص أهمية هذه الدراسة بما يلي :

1- نتائج هذه الدراسة قد تفيد المسؤولين في وزارة التربية والتعليم العالي للوقوف على أسباب ضغوط العمل لدى رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في جنوب الضفة الغربية.

2- قد تساعد نتائج هذه الدراسة في تطوير الآليات والأساليب والطرق التي يمكن اتباعها من أجل التخفيف من الضغوط التي يعاني منها رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في جنوب الضفة الغربية من أجل العمل على تخفيف تلك الضغوط أو إزالتها من أجل زيادة الرضا الوظيفي وتحسين جودة الخدمة.

خامساً: حدود الدراسة:

تتحدد حدود هذه الدراسة بما يلي :

- الحدود الموضوعية: **تتناول الدراسة أسباب ضغوط العمل لدى رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في جنوب الضفة الغربية وطرق علاجها.**
- **الحدود البشرية:** تقتصر الدراسة على رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في جنوب الضفة الغربية والتي تضم خمس مديريات تربية وتعليم.
- **الحدود المكانية:** أجريت الدراسة على مديريات والتعليم في كل من محافظتي بيت لحم والخليل.

- **الحدود الزمنية :** شهري آب وأيلول /2015.

سادساً: مصطلحات الدراسة:

سيقوم الباحث بتعريف المصطلحات الواردة في الدراسة وفقاً للتعريفات الواردة في المراجع العربية والأجنبية، وفيما يلي تعريف لبعض مصطلحات الدراسة:

- **الضغوط الوظيفية:** هي جزء من بيئة العمل المادية ، والنفسية التي تؤثر على الفرد ، وتعتبر أحد المصادر التي ينتج عنها أمراض ، وحوادث عمل متنوعة منها ما هو نفسي ، منها ما هو جسدي ، ينعكس آثارها بالسلب على الفرد وعلى المنظمة.[1]

ويعرف الباحث الضغوط الوظيفية بأنها كل ما يحيط بالفرد من عوامل مادية ونفسية تؤثر عليه بشكل سلبي وتؤدي إلى تدني أدائه وشعوره بالتعب والملل.

– **مصادر ضغوط العمل:** العوامل المتعلقة بالوظيفة أو المهنة أو الشخص التي تتسبب بإحساس الفرد بالضغط النفسي، والجسدي وغالبًا ما توجد مصادر الضغوط أو مسبباتها في بيئة العمل بينما يوجد الضغط داخل الفرد. [2]

ويعرف الباحث مصادر الضغوط بأنها كل العوامل التي تحيط بالفرد في بيئة العمل الداخلية والخارجية والتي تؤثر عليه بشكل سلبي وتصيبه بالتوتر والإحباط.

– **صراع الدور:** ويظهر هذا النوع نتيجة لتعدد الأدوار التي يمارسها الفرد في حياته اليومية كفرد في أسرة أو كأب لأسرة ، أو كموظف أو رئيس أو في المجتمع أو مع الزملاء والأصدقاء أو مع الأهل والأقارب أو كعضو في جماعة دينية أو سياسية أو ثقافية مما ينتج عنه عدم الثبات أو التناقض.[3]

ويعرف الباحث صراع الدور بأنه شعور الفرد بعدم الثبات وعدم التوازن والتناقض في الحياة بسبب تعدد الأدوار التي يمارسها في حياته اليومية كأب أو كعامل أو كعضو في جماعة أو في جمعية ، وغيرها من المهام الملقاة على عاتقه.

---

(1) .عقيلى، عمر وصفى. (2005)." **إدارة الموارد البشرية المعاصرة – بعد استراتيجي**"، عمان: دار وائل للنشر.

(2)Robbins, S. and T. Judge. (2009) ***"Organizational Behavior"*** . Prentice Hall, 13ed. p410.

(3)Robbins, S. and T. Judge. (2009) ***"Organizational Behavior"*** . Prentice Hall, 13ed.

-غموض الدور: يقصد بغموض الدور هو النقص في المعلومات اللازمة لتأدية الدور المتوقع من الفرد .حيث يحدث غموض الدور عندما تكون الأهداف والمهام والاختصاصات ومتطلبات العمل غامضة وغير واضحة مما يؤدى إلى شعور الفرد بعدم سيطرته على العمل الذي يقوم به.[1]

ويعرف الباحث غموض الدور بأنه الضبابية وعدم والوضوح في المهام والاختصاصات الملقاة على عاتقه . (عدم وضوح الوصف الوظيفي).

-بيئة العمل المادية: يقصد بها الظروف البيئية المحيطة بمكان العمل من تهوية، وإضاءة، وضوضاء، ونظافة بالإضافة إلى التجهيزات الفنية التي تساعد العاملين في انجاز المهام المطلوبة منهم في مكان العمل.[2]

ويعرف الباحث بيئة العمل المادية بأنها كل ما يحيط بالفرد في البيئة الداخلية لمكان العمل من إضاءة وتهوية ونظافة وتجهيزات تمكنه من القيام بمهامه الوظيفية على أكمل وجه.

سابعاً: الأدب التربوي والدراسات السابقة

الأدب التربوي

مقدمة:

أشارت بعض الدراسات إلى صعوبة وجود وظيفة أو مهنة خالية من الضغوط، ولكن تختلف حدة هذه الضغوط من مهنة إلى أخرى ومن شخص لآخر؛ وذلك لاختلاف مصادر هذه الضغوط في المنظمات والمهن المختلفة، واختلاف نسبة الاستجابة إلى هذه الضغوط من شخص لآخر؛ نظرا لاختلاف الفروق الفردية فيما بينهم وردود أفعالهم تجاه المواقف الضاغطة.[3]

حظي موضوع ضغوط العمل (Job Stress) باهتمام متزايد من قبل الباحثين في مجالات عديدة : (علم النفس، الطب، العلوم، العلوم الإدارية بمختلف فروعها، الإدارة الصحية، وإدارة المستشفيات) ، وذلك بعد أن تبين أن ضغوط العمل تمثل تكلفة كبيرة على الفرد والمنظمة والمجتمع من الناحية الصحية والاقتصادية والتنظيمية. فضغوط العمل لها آثار نفسية

---

(1) العميان، محمود سليمان. (2002)." **السلوك التنظيمي في منظمات الأعمال**"، ط1، عمان: دار وائل للنشر.

(2) عقيلي، عمر وصفي. (1996)." **إدارة القوى العاملة**"، عمان : دار زهران للنشر والتوزيع.

(3) عسكر، سمير أحمد. (1988) "متغيرات ضغوط العمل - دراسة تطبيقية في قطاع المصارف بدولة الأمارات العربية المتحدة"، ***مجلة الإدارة العامة***، الرياض، معهد الإدارة العامة، عدد (60)، ص ص 7-58.

مجلة المصدر The Source

وفسيولوجية ضارة، وبجانب هذه الآثار المرضية فإن لها انعكاسات سلبية على سلوكيات الأفراد ومستوى أدائهم الوظيفي متمثلة في انخفاض الشعور بالانتماء للوظيفة، وارتفاع معدل الغياب، والتسرب الوظيفي، وزيادة نسبة الأخطاء...الخ.[1] بل إن الآثار السلبية لضغوط العمل تتعدى الفرد والمنظمة لتصل إلى المستوى الوطني والتنظيمي؛ فعلى المستوى الوطني هناك بعض الدراسات التي تشير إلى وجود خسائر اقتصاديه كبيرة ناتجة عن تعرض العاملين والموظفين لضغوط العمل، وعلى المستوى التنظيمي فقد اعتبر البعض أن ضغوط العمل هي السبب الرئيس في كثير من المشكلات التنظيمية؛ وبخاصة مشكله الأداء المنخفض، وإصابات العمل، والتغيب والتسرب الوظيفي . [2] وتشير بعض الدراسات إلى أن الاقتصاد الأمريكي يخسر سنويا ما بين 150 إلى 250 مليار دولار أمريكي نتيجة لغياب العاملين ، وانخفاض الإنتاجية ، وحوادث العمل ، والتأمين الصحي ، وهي أمور مرتبطة بضغوط العمل.[3]

مصادر ضغوط العمل :

تباينت آراء الباحثين في هذا الجانب وخاصة فيما يتعلق بالمناهج المتبعة في معالجة وتصنيف هذه الأسباب وكذلك عدد هذه الأسباب والاتفاق علي مسمياتها ، وقد توصل الباحثون من خلال المناهج التي أتبعوها في دراسة ضغوط العمل إلى تقسيم مصادره وفقاً لثلاثة نماذج رئيسية:

- **التصنيفات الثنائية:** وفي هذا النموذج تصنف مصادر ضغوط العمل إلى مجموعتين رئيستين حيث صنف كل من(Baron & Greenberg) الضغوط الوظيفية في ضوء عاملين هما:

1.المصادر المرتبطة بالعمل مثل غموض الدور ، عبء الدور ، صراع الدور.

---

(1) حجازي، جمال طاهر.(2002) " إدارة ضغوط العمل لدى الأطباء بالمستشفيات العامة بمحافظة الشرقية"، ***مجلة الدراسات والبحوث التجارية***، بنها، جامعة بنها، كلية التجارة، عدد (2)، ص ص 450-516.

(2) هيجان، عبد الرحمن أحمد. (1998) "***ضغوط العمل : منهج شامل لدراسة مصادرها ونتائجها وكيفية إدارتها***"، الرياض، معهد الإدارة العامة، مركز البحوث والدراسات الإدارية.

(3)Mureau, Anne-Marie. (2002)."Workplace Stress: A Collective Bargaining Issue", ***Health and Safety at Work*: A trade Union Priority**, Labor Education, 1(126): P. 79.

مجلة المصدر The Source

2.المصادر المرتبطة بالفرد مثل أحداث الحياة وشخصية الفرد.[1] كما أن كل من (Kahn & Kooper) قد صنفا مصادر الضغوط الوظيفية كما يلي:

1- المصادر المرتبطة بالعمل مثل صراع الدور ، غموض الدور ، العلاقات في العمل.

2- المصادر المرتبطة بشخصية الفرد مثل نمط الشخصية والدعم الاجتماعي.[2]

- **التصنيفات الثلاثية:** وفيها يمكن تصنيف مصادر ضغوط العمل لثلاثة عوامل رئيسية حيث يشير كل من (Sculer & Van sell) أنه يمكن تصنيف مصادر الضغوط الوظيفية وفقاً لثلاثة عوامل هما:

1- المصادر المتعلقة بالخصائص التنظيمية والعمليات وتشمل :

أ- السياسات التنظيمية: وتتمثل في عدم فاعلية نظام تقييم الأداء ، عدم المساواة في الأجور ، غموض السياسات ، قوة العمالة المتناوبة ، تغيير العمل بصفة مستمرة.

ب- البناء التنظيمي: ويتمثل في التردد في اتخاذ القرارات ، زيادة حجم المنظمة ، إتباع الصيغ المستمرة بصفة مستمرة، التداخل بين الوحدات التنظيمية .

ج- العمليات التنظيمية : ويتمثل في ضعف الاتصالات ، غموض أو تعارض الأهداف، التفويض غير الفعال ، برامج التدريب.

2- مطالب العمل وخصائص الدور المتمثلة في :

أ- بيئة العمل المادية: وتتمثل في ظروف العمل ، الازدحام ، غياب الخصوصية ، التنظيم غير الرسمي ، شدة الحرارة أو البرودة ، الضوضاء ، ضعف الإضاءة ، التلوث البيئي ، المخاطر الأمنية.

ب- العلاقات الشخصية : وتتمثل في عدم كفاءة المشرفين ، عدم وجود التقدير ، ضعف الثقة ، التنافس ، صعوبات في تفويض المسؤوليات ، الصراع بين وداخل المجموعات.

ج- مطالب الوظيفة: وتتمثل في العمل المتكرر ، ضغوط الوقت لإنجاز العمل ، عدم توافر المهارات المطلوبة ، المسؤولية عن الآخرين ، البطالة المقنعة.

---

(1) Baron & Greenberg.(1990) Behavior in organizations understanding and managing the human side of work .Boston : allyn and bacon, P.226.

(2) kahn & Cooper. (1993).***"Stress in the dealing room"*** : High performance under pressure. London .Rutledge. P.31.

د- خصائص الدور: وتتمثل في صراع الدور ، غموض الدور ، عبء الدور الزائد والناقص ، عدم تجانس الدور مع الكفاءة الوظيفية.

3- الخصائص الفردية والتوقعات وتشمل:

أ- الخصائص الفردية : وتتمثل نمط الشخصية A ، القلق وعدم تسامح في حالة وجود الغموض ، التشدد المفرط ، الانبساط أو الانطواء الزائد.

ب- التوقعات: وتتمثل في مهام الوظيفة، الترقية لأعلي أو تخفيض الدرجة الحالية ، الأزمات التي تحدث في منتصف حياة الإنسان العملية ، الإهمال ، عدم إنجاز الأهداف غير المتوقعة ، الشعور بعدم الأمان الوظيفي.[1]

-**التصنيفات متعددة الأبعاد** : وفيه يتم تصنيف مصادر الضغوط الوظيفية إلى عدة عوامل ، فقد صنف (Quick & Quick) مصادر الضغوط الوظيفية كما يلي:

1- مصادر الدور مثل غموض الدور ، عبء الدور الزائد ، صراع الدور.

2- المصادر المرتبطة بيئة العمل مثل الإضاءة ، الحرارة.

3- مصادر المهمة " الوظيفة " مثل نظم تقييم الأداء ، فحص التقدم الوظيفي .

4- المصادر الشخصية مثل الدعم الاجتماعي ، ضغوط الجامعة.[2] في حين صنف (Cole) مصادر الضغوط الوظيفية وفقاً للعوامل التالية :

1- مصادر البيئة الخارجية مثل الظروف الاقتصادية والتغييرات السياسية

2- المصادر التنظيمية مثل الهيكل ، نظام الاتصالات.

3- المصادر الوظيفية مثل ظروف العمل المادية ، صراع الدور.

4- العلاقات في العمل مثل العلاقة مع الرؤساء والزملاء والمرؤوسين .

5- المصادر العائلية مثل المشكلات العائلية .

6- المصادر الشخصية مثل نمط الشخصية وقدرات ودوافع الفرد.[3]

---

(1) Schuler, M. & M. Van sell. (1981) ***"Managing Job stress"*** (Boston: Little Brown) P.26.

(2) Quick. J & Quick. (1984) ***"Organizational stress and preventive management"***. New York .mc grew hill. Inc.P.19.

(3) Cole.(1995).***"Organizational behavior"*** , new York mac graw-hill. P.214.

الدراسات السابقة

-الدراسات العربية:

– دراسة عابدين (2010) بعنوان " علاقة الضغوط الوظيفية بالآثار النفسية والجسدية لدى العاملين في شركة توزيع الكهرباء بمحافظات غزة".[1]

هدفت الدراسة التعرف إلى علاقة الضغوط الوظيفية بالآثار النفسية والجسدية لدى العاملين في شركة توزيع الكهرباء – محافظات غزة، وقد تم التعرف على وجهة نظر العاملين في الشركة حول موضوع البحث، حيث تم تناول أهم مصادر الضغوط الوظيفية(صراع الدور، غموض الدور، العبء الوظيفي، وبيئة العمل المادية)، كما تم الحديث عن أهم الآثار النفسية والجسدية على مستوى العاملين في الشركة. تم استخدام الاستبانة لجمع البيانات. تكونت عينة الدراسة من (400) مفردة، كما تم إجراء لقاء مع المدير الإداري والمالي لشركة توزيع الكهرباء، وذلك للحصول على تصور كامل ودقيق حول موضوع البحث. وأظهرت نتائج البحث أن العاملين في شركة توزيع الكهرباء يتعرضون لآثار نفسية وجسدية نتيجة الضغوط الوظيفية التي يتعرضون لها حيث أدت الضغوط الوظيفية إلى آثار سلبية نفسية على مستوى الفرد مثل انخفاض معدل الرضا الوظيفي، القلق الاكتئاب الإحباط واللامبالاة كما أدت الضغوط الوظيفية على آثار سلبية جسدية على مستوى الفرد مثل صداع الرأس ارتفاع ضغط الدم قرحة المعدة أزمات قلبية ومرض السكر. وقد تم تقديم مجموعة من التوصيات في ضوء معطيات الجانب التطبيقي للبحث.

– دراسة أبو رحمة (2012) بعنوان "ضغوط العمل وعلاقتها بالرضا الوظيفي لدى المشرفين التربويين بمحافظات غزة".[2]

---

(1) عابدين، إبراهيم عبد. (2010) " علاقة الضغوط الوظيفية بالآثار النفسية والجسدية لدى العاملين في شركة توزيع الكهرباء بمحافظات غزة"، ***(رسالة ماجستير غير منشورة)***، جامعة الأزهر، كلية الدراسات العليا، غزة، فلسطين.

(2) **ابو رحمة، محمد، حسن خميس. (2012) " ضغوط العمل وعلاقتها بالرضا الوظيفي لدى المشرفين التربويين في محافظات غزة، *(رسالة ماجستير غير منشورة)*، الجامعة الإسلامية، كلية الدراسات العليا، غزة، فلسطين.**

هدفت الدراسة الكشف عن درجة تقدير المشرفين التربويين لمستوى ضغوط العمل التي تواجههم ومعرفة درجة الرضا الوظيفي لديهم. استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وتكون

مجتمع الدراسة من جميع المشرفين التربويين من وزارة التربية والتعليم ووكالة الغوث بمحافظات غزة، أما عينة الدراسة فتكونت من (189) مشرفاً ومشرفة تربوية؛ أي ما نسبته (92%). استخدمت الاستبانة لجمع البيانات اشتملت على قسمين: ضغوط العمل تسعة مجالات، والرضا الوظيفي ستة مجالات و(125) فقرة. ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة: يتعرض المشرفون التربويون في محافظات غزة إلى مستوى متوسط من ضغوط العمل بنسبة مئوية(63.34%). لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$) في متوسطات تقدير عينة الدراسة لدرجة ضغوط العمل التي تواجههم تعزى لمتغيرات:(الجنس، ونوع المدرسة، وعدد سنوات الخدمة كمشرف تربوي والمنطقة التعليمية)، وتوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى($\alpha \leq 0.05$) في متوسطات تقديرات المشرفين التربويين لدرجة ضغوط العمل التي تواجههم تعزى لمتغير المؤهل العلمي لصالح ماجستير فأعلى.كما توجد فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير عدد المدارس التي يشرف عليها المشرف لصالح (أكثر من 15 مدرسة) كما توصلت الدراسة إلى أن درجة الرضا الوظيفي للمشرفين التربويين في محافظات غزة متوسطة بنسبة مئوية (63.67%) وهي نسبة متوسطة ، ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات تقديرات المشرفين التربويين لدرجة الرضا الوظيفي لديهم تعزى لمتغيرات: النوع والمؤهل العلمي، نوع المدرسة، عدد المدارس التي يشرف عليها المشرف، وعدد سنوات الخدمة كمشرف، والمنطقة التعليمية). وقد خرجت الدراسة بعدد من التوصيات.

- الدراسات الأجنبية:

– دراسة (Peterson, 2004) بعنوان " ضغوط العمل كما يراها مديرو التعليم ومديرو المدارس الثانوية في ولاية أيوا – الولايات المتحدة ".[1]

هدفت الدراسة التعرف على ضغوط العمل لدى مديري التعليم ومديري المدارس في ولاية أيوا بالولايات المتحدة الأمريكية، وكانت عينة الدراسة عبارة عن (182) مديرا ومدير تعليم، وقد صممت استبانة أرسلت بواسطة البريد الالكتروني للعينة واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي وتوصلت الدراسة إلى أن مستوى ضغوط العمل لدى مدراء المدارس أكبر من مستوى الضغوط لدى مدراء التعليم، وأن العوامل التي أحدثت الضغوط لدى مدراء التعليم

(1) Peterson, T. (2004) "***Iowa School Superintendents And Secondary School Principals Perceived Stress In The Work Place***" ,Ed,D, university of south Dakota.

تمثلت في ضعف الموارد التي تؤدي إلى عدم تحقيق الأهداف المنشودة، بينما أكثر عوامل الضغوط لدى مدراء المدارس هو كمية العمل، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن دعم العائلة والأصدقاء هو أهم الأساليب لتخفيف ضغوط المدراء كما أن تفويض الصلاحيات يساعد على التخفيف من الضغوط لديهم.

-دراسة (Boyland, 2011) بعنوان "ضغوط العمل واستراتيجيات التصدي له عند مدراء المدارس الإبتدائية – الولايات المتحدة الأمريكية".[1]

هدفت الدراسة التعرف على درجة ضغوط العمل لدى مدراء المدارس الابتدائية في ولاية انديانا بالولايات المتحدة الأمريكية، كما هدفت إلى الكشف عن الاستراتيجيات التي يستخدمها المدراء في التصدي ومواجهة ضغوط العمل. كما هدفت إلى التعرف على الفروق في متوسطات قديرات عينة الدراسة لمتغيرات العمر والجنس وسنوات الخبرة كمدير مدرسة، وكانت عينة الدراسة عبارة عن (140) مديراً، واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي وكانت أداة الدراسة عبارة عن استبانة صممت لهذا الغرض ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن هناك مستويات إجهاد متوسطة لدى مدراء المدارس في ولاية انديانا، كما أنه لا توجد فروق دالة إحصائياً بين متوسطات تقديرات عينة الدراسة تبعاً للمتغيرات المستخدمة، كما أن مدراء المدارس يستخدمون وسائل فعالة لمقاومة الاحتراق النفسي، ومن أهم التوصيات أنه ينبغي النظر في اتخاذ تدابير لمساعدة مدراء المدارس للتغلب على الاحتراق النفسي وإحداث التوازن بينها وبين مطالب الوقت.

تعقيب على الدراسات السابقة:

بعد الاستعراض السابق للدراسات السابقة العربية والأجنبية توصل الباحث إلى أن موضوع ضغوط العمل وأسبابها وطرق علاجها قد حظي باهتمام عد من الباحثين، حيث تناولت دراسات عديدة تأثير ضغوط العمل على الرضا الوظيفي مثل دراسة أبو رحمة (2012)، وتناولت الدراسات تأثير ضغوط العمل على الحالة النفسية والجسدية للعاملين مثل دراسة عابدين (2010). وتناولت الدراسات قياس ضغوط العمل وطرق علاجها مثل دراسة (Peterson, 2004) ودراسة (Boyland, 2011) ، وقد استفاد الباحث من هذه الدراسات في التعرف إلى مجالات الدراسة ومتغيراتها والأساليب الإحصائية في تحليل نتائجها وكذلك في بناء بنود الاستبانة ومجالاتها وفقراتها، كما استفاد من النتائج والتوصيات والمقترحات

(1) Boyland, L (2011): Job Stress and Coping Strategies of Elementary Principals, ***Current Issues in Education,*** 14, (3) ,pp 1-11.

التي خرجت بها هذه الدراسات. فقد أسهمت تلك الدراسات بإثراء هذه الدراسة بالخبرات الواردة فيها. ولعل أهم ما يميز هذه الدراسة أنها عنيت بمعرفة أسباب ضغوط العمل لدى رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في جنوب الضفة الغربية وطرق علاجها، حيث لم يتم تناول هذا الموضوع بهذه الصورة في الدراسات السابقة – على حد علم الباحث – إضافة إلى تفردها في بحث أسباب ضغوط العمل لدى رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في جنوب الضفة الغربية وطرق علاجها لدى القائمين على إدارة العملية التعليمية في فلسطين.

ثامناً :منهج الدراسة :

أجريت هذه الدراسة خلال شهري أب وأيلول من العام 2015، واستخدم الباحث في إنجازها المنهج الوصفي التحليلي باعتباره المنهج الذي يقوم بوصف الظاهرة ودراستها وجمع البيانات والمعلومات الدقيقة، ولملاءمته لمثل هذا النوع من الدراسات.

تاسعاً :مجتمع الدراسة :

يتكون مجتمع الدراسة من جميع رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في محافظتي الخليل وبيت لحم والبالغ عددهم (85) رئيس/ة قسم.

عاشراً : عينة الدراسة :

قام الباحث بتوزيع أداة الدراسة على جميع رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في محافظتي بيت لحم والخليل، بحيث تم توزيع الاستبانات بنسبة 100%، وبلغ عدد الاستبانات المستردة من الميدان (50) استبانة أي ما نسبته (58.8%) من حجم المجتمع الكلي وهي عينة ممثلة إحصائياً، والجدول (1) يبين توزيع أفراد عينة الدراسة.

جدول (1): توزيع أفراد عينة الدراسة حسب متغيرات الدراسة

الرقم	المتغيرات		العدد	النسبة المئوية	القيم الناقصة
1	الجنس	ذكر	40	%80	–
		أنثى	10	%20	
2	المؤهل العلمي	دبلوم	4	%8	–
		بكالوريوس	33	%66	
		ماجستير فأعلى	13	%26	
3	العمر	أقل من 30 عام	2	%4	–
		30- أقل من 40 عام	10	%20	
		40- أقل من 50 عام	17	%34	
		من 50 عام فأكثر	21	%42	
4	المديرية	بيت لحم	9	%18	–
		شمال الخليل	6	%12	
		وسط الخليل	10	%20	
		جنوب الخليل	17	%34	
		يطا	8	%16	
5	معدل الدخل الشهري	من 3000-3500 ش	18	%36	–
		من 3501-4000 ش	14	%28	
		من 4001-4500 ش	9	%18	
		من 4501-5000 ش	6	%12	
		أكثر من 5000 ش	3	%6	

حادي عشر : أداة الدراسة :

قام الباحث بإعداد استبانة لقياس " أسباب ضغوط العمل لدى رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في جنوب الضفة الغربية وطرق علاجها"، بالاستناد إلى الأدب التربوي والدراسات السابقة، وقد تكونت الاستبانة بمجملها من قسمين:

القسم الأول: ويحتوي هذا الجزء على البيانات الأولية عن رئيس/ة القسم الذي يقوم بتعبئة الاستبانة وهي: (الجنس، المؤهل العلمي، العمر، المديرية، معدل الراتب الشهري).

القسم الثاني: ويقيس أسباب ضغوط العمل لدى رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في جنوب الضفة الغربية وطرق علاجها، ويتكون من ستة مجالات رئيسيـــة و(54) فقرة تناولت فرضيات البحث والإجابة عن أسئلة الدراسة وقد كانت إجابة هذه الفقرات (أوافق بشدةً، أوافق، غير متأكد، لا أوافق، لا أوافق بشدةً)، وقد تم تقسيم هذه الاستبانة كما في الجدول (2).

جدول (2): محاور الدراسة الرئيسية.

الرقم	المحور	عدد الفقرات
أسباب ضغوط العمل لدى رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في جنوب الضفة الغربية وطرق علاجها ويتكون من:		
1	العوامل التنظيمية	12
2	طبيعة العمل	9
3	الظروف الفيزيقية	7
4	العلاقة بالزملاء والرؤساء	8
5	غموض الدور	8
6	الرضا الوظيفي	10
	المجموع	54

ثاني عشر: صدق الأداة :

يعبر صدق الأداة عن مدى صلاحية الأداة المستخدمة لقياس ما وضعت لقياسه، وقد قام الباحث بعرض الاستبانة على عدد من المختصين وذوي الخبرة في عـــدد مـــن الجامعـــات

الفلسطينية من حملة شهادات الدكتوراه والماجستير، وقد تم تعديل فقرات الاستبانة وفق الملاحظات والتعديلات المقترحة، وأعيد صياغة الاستبانة بشكلها النهائي وفقاً لذلك ليُصبح عدد فقرات الاستبانة بشكلها النهائي (54) فقرة.

ثالث عشر: ثبات الأداة:

للتحقق من ثبات أداة القياس تم فحص الاتساق الداخلي والثبات لفقرات الاستبانة بحساب معامل كرونباخ ألفا Cronbach alpha)، وذلك وفق الجدول (3).

جدول (3): معاملات الثبات لأبعاد الدراسة الخاصة بمجالات الدراسة والدرجة الكلية حسب كرونباخ ألفا.

مجالات الدراسة	عدد الفقرات	قيمة ألفا
العوامل التنظيمية	12	%85.7
طبيعة العمل	9	%82.6
الظروف الفيزيقية	7	%78.6
العلاقة بالزملاء والرؤساء	8	%91.6
غموض الدور	8	%93.4
الرضا الوظيفي	10	%89.4
الدرجة الكلية	54	%95.6

من خلال النظر إلى جدول(3) يتبين أن معاملات ثبات أداة الدراسة في كل مجالات الدراسة تراوحت بين (78.6%) و(93.4%)، وقد حصل مجال غموض الدور على أعلى معامل ثبات في حين حصل مجال الظروف الفيزيقية على أدنى معامل ثبات، وأخيراً بلغت قيمة ألفا على الدرجة الكلية (95.6%)، مما يشير إلى دقة أداة القياس.

ثالث عشر :إجراءات الدراسة:

بعد التأكد من صدق وثبات أداة الدراسة، وتحديد العينة تمت الموافقة على إجراء مثل هذه الدراسة، والسماح بتوزيع الاستبانة على رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في محافظتي الخليل وبيت لحم، حيث تم توزيع (85) استبانة، وتم استرداد (50) استبانة منها.

رابع عشر :المعالجة الإحصائية :

بعد جمع بيانات الدراسة قام الباحث بمراجعتها وذلك تمهيدا لإدخالها للحاسب وقد تم إدخالها للحاسب وذلك بإعطائها أرقاما معينة، أي بتحويل الإجابات اللفظية إلى رقمية حيث أعطيت الإجابة أوافق بشدة خمس درجات، والإجابة أوافق أربع درجات، والإجابة غير متأكد ثلاث درجات، والإجابة بدرجة لا أوافق درجتين، والإجابة لا أوافق بشدة درجة واحدة. وذلك في جميع فقرات الدراسة وبذلك أصبحت الاستبانة تقيس أسباب ضغوط العمل لدى رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في جنوب الضفة الغربية بالاتجاه الموجب. وقد تمت المعالجة الإحصائية للبيانات باستخراج الأعداد، المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار(ت) وتحليل التباين الأحادي One Way ANOVA ومعادلة الثبات كرونباخ الفا وذلك باستخدام برنامج الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS).

خامس عشر : مناقشة نتائج الدراسة وتفسيرها:

يتناول هذا المبحث عرضاً للنتائج التي توصل إليها الباحث من خلال استجابة أفراد عينة الدراسة حول أسباب ضغوط العمل لدى رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في جنوب الضفة الغربية، وفقاً لتساؤلات الدراسة وفرضياتها، ويمكن تفسير قيمة المتوسط الحسابي للعبارات أو المتوسط العام المرجع للعبارات في أداة الدراسة (الاستبانة) كما يلي:

جدول (4): دلالة المتوسط الحسابي.

المتوسط الحسابي	الدلالة
1.80-1.00	منخفض جداً
2.61-1.81	منخفض
3.42-2.62	متوسط
4.23-3.43	مرتفع
5.00-4.24	مرتفع جداً

وفي ضوء معالجة بيانات الدراسة إحصائيا توصل الباحث للنتائج التالية:

-**تفسير ومناقشة النتائج المتعلقة بالفرضية الأولى:** لا توجد أسباب لضغوط العمل لدى رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في جنوب الضفة الغربية.

جدول (5): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأسباب ضغوط العمل لدى رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في جنوب الضفة الغربية وطرق علاجها حسب مجالات الدراسة.

مجالات الدراسة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجـــــــــة
العوامل التنظيمية	2.80	0.659	متوسط
طبيعة العمل	3.19	0.668	متوسط
الظروف الفيزيقية	2.55	0.719	منخفض
العلاقة بالزملاء والرؤساء	2.48	0.853	منخفض
غموض الدور	2.19	0.838	منخفض
الرضا الوظيفي	2.91	0.860	متوسط
الدرجة الكلية	2.72	0.593	متوسط

يتضح من الجدول (5) ومن وجهة نظر أفراد عينة الدراسة، أن أسباب ضغوط العمل لدى رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في جنوب الضفة الغربية وعلى الدرجة الكلية متوسطة بمتوسط حسابي (2.72) وانحراف معياري (0.593)، وقد جاءت أعلى الأسباب المؤدية لضغوط العمل مجال طبيعة العمل بمتوسط حسابي (3.19) وانحراف معياري (0.668)، تلاه مجال العوامل التنظيمية بمتوسط حسابي (2.80) وانحراف معياري (0.659)، تلاه مجال الرضا الوظيفي بمتوسط حسابي (2.91) وانحراف معياري (0.860)، تلاه مجال الظروف الفيزيقية بمتوسط حسابي (2.55) وانحراف معياري (0.719)، تلاه مجال العلاقة بالزملاء ورؤساء العمل بمتوسط حسابي (2.48) وانحراف معياري (0.853)، وأخيراً مجال غموض الدور بمتوسط حسابي (2.19) وانحراف معياري (0.838).

جدول (6): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأسباب ضغوط العمل لدى رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في جنوب الضفة الغربية وطرق علاجها حسب فقرات الدراسة.

فقرات الدراسة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجـــــــــة
راتبي الذي أتقاضاه لا يتلاءم وحجم العمل الذي أقوم به	**4.00**	**1.16**	**مرتفع**
راتبي الذي أتقاضاه لا يتلاءم مع مؤهلاتي وخبراتي	**3.88**	**1.11**	**مرتقع**
اشعر بحمل زائد في عملي	**3.72**	**0.990**	**مرتفع**
متطلبات عملي كثيرة لدرجة أنها تسبب لي الشعور بالإجهاد والتعب	**3.54**	**0.952**	**مرتفع**
أتصور بأن أساليب العمل داخل المديرية تنطوي على تعقيدات غير ضرورية	**3.38**	**1.02**	**متوسط**
أعبائي الوظيفية كثيرة مما يجعلني متعباً في عملي باستمرار.	**3.34**	**1.06**	**متوسط**
معايير تقييم العمل في المديرية غير واضحة	**3.24**	**1.00**	**متوسط**
لدي أحساس بالملل ناتج عن عملي لفترات طويلة دون جدوى	**3.20**	**1.08**	**متوسط**
أرى أن مهام وظيفتي كثيرة لدرجة اشعر فيها بالضيق	**3.18**	**1.02**	**متوسط**
ينتابني إحساس بأن عملي مليء بالروتين غير الضروري	**3.18**	**1.06**	**متوسط**
اعتقد أن عملي تنقصه العديد من الأدوات والأجهزة الحديثة المساندة	**3.10**	**1.01**	**متوسط**

فقرات الدراسة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجـــــــــة
اعتقد غياب الشفافية داخل المديرية التي اعمل بها في طريقة منح المكافآت	3.08	0.965	متوسط
في مكان عملي كثيرا ما يزدحم المكان بالجمهور	3.06	1.30	متوسط
اعتقد أن الهيكل التنظيمي للمديرية جامد ومتحيز	3.04	1.12	متوسط
لو عادت بي الأيام إلى الوراء لرفضت هذا العمل	2.92	1.30	متوسط
لا يتم توزيع المكافآت بعدالة بيني وبين زملائي.	2.92	1.11	متوسط
أشعر أن متطلبات عملي متكررة مما يجعلني أشعر بالملل.	2.90	1.11	متوسط
لا يوجد تنافس شريف بين الزملاء في المنظمة التي اعمل بها	2.88	1.22	متوسط
الترقية في مكان عملي تعتمد على العلاقات الشخصية	2.86	1.21	متوسط
تتم الترقيات في المديرية اعتمادا على العلاقات الشخصية	2.82	1.15	متوسط
أعتقد أن سير العمل لا يتم بطريقة تسلسلية	2.80	1.06	متوسط
اشعر بعدم الارتياح نتيجة قلة النظافة في مكان عملي	2.80	1.24	متوسط
كثيرا ما أفضل بأن التحق بعمل أخر	2.72	1.16	متوسط
لا تهتم المديرية بدرجة حرارة الجو صيفا وشتاءا	2.72	1.10	متوسط
في مكان عملي لا يهتم المدير بتشجيع العاملين	2.68	1.11	متوسط
العمل الذي أقوم به لا يحقق طموحاتي	2.66	1.22	متوسط
ما أقوم به من عمل ليس ما كنت أتمناه	2.66	1.30	متوسط

فقرات الدراسة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجـــــــــة
رئيسي في العمل يتمسك برأيه رغم خطاه	2.66	1.09	متوسط
كثيرا ما أعاني من الصراعات مع زملائي في العمل	2.64	1.10	متوسط
اعجز عن تنظيم وقتي داخل العمل لكثرة الأعمال الروتينية	2.62	0.987	متوسط
أرى أن رؤسائي لا يلتزمون بالتعليمات والقوانين مما يعيق عملي	2.62	1.02	متوسط
اشعر بالارتباك في عملي نتيجة تضارب تعليمات رؤسائي	2.60	1.14	منخفض
تراودني من حين لأخر الرغبة في ترك العمل	2.58	1.24	منخفض
اشعر بالندم لوجودي في هذا العمل	2.50	1.16	منخفض
اشعر بالتوتر نتيجة للضوضاء المستمرة داخل عملي	2.48	1.12	منخفض
كثيرا ما تنطوي تعليمات انجاز العمل على نقص في المعلومات	2.46	1.11	منخفض
في مكان عملي لا يحترم المدير أرائي	2.44	1.10	منخفض
أرى أن رؤسائي يتجاهلوا أرائي في سير العمل	2.44	0.929	منخفض
اعجز عن فهم الهدف من وراء الكثير من تعليمات رؤسائي	2.44	0.907	منخفض
ليس لدي وصف وظيفي واضح يحدد مهامي الوظيفية	2.40	1.22	منخفض
أرى أن تخصصي الأكاديمي بعيد عن طبيعة العمل الذي أقوم به	2.38	1.14	منخفض
اشعر بضيق نتيجة لسوء التهوية في مكان عملي	2.36	0.936	منخفض

فقرات الدراسة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجـــــــــة
في مكان عملي لا يعدل المدير بيني وبين زملائي في الواجبات الوظيفية	2.34	1.08	منخفض
أحس بالاختناق داخل عملي نتيجة لضيق المكان	2.34	0.917	منخفض
أنا غير راضي عن عملي بشكل عام	2.32	1.16	منخفض
لا تتناسب السلطات الخاصة بعملي مع المسئوليات التي أكلف بها	2.32	1.01	منخفض
في مكان عملي يختفي التسامح بيني وبين زملائي لفترات كثيرة	2.22	0.953	منخفض
لا تتوفر المعلومات الكافية لانجاز الأعمال المطلوبة منى	2.20	1.01	منخفض
المسئوليات والواجبات الخاصة بي في العمل غير واضحة	2.14	0.947	منخفض
أعاني من ضعف الإضاءة داخل المؤسسة التي اعمل بها	2.10	0.863	منخفض
كثيرا ما احتاج للاستفسار بشأن كيفية أداء وظيفتي	2.04	0.924	منخفض
لا يوجد تعاون بيني وبين زملائي في العمل	2.02	0.863	منخفض
لا اعرف كثيرا ما هو المطلوب منى في وظيفتي	2.00	0.903	منخفض
ليس لدى وضوح كافي عن كيفية أداء الأعمال التي أكلف بها	1.98	0.914	منخفض

من خلال النظر إلى جدول (6)، يتبين أن أعلى الفقرات في كافة مجالات الدراسة كانت كالآتي:

- **راتبي الذي أتقاضاه لا يتلاءم وحجم العمل الذي أقوم به.**

- **راتبي الذي أتقاضاه لا يتلاءم مع مؤهلاتي وخبراتي.**
- اشعر بحمل زائد في عملي.
- متطلبات عملي كثيرة لدرجة أنها تسبب لي الشعور بالإجهاد والتعب.
- أتصور بأن أساليب العمل داخل المديرية تنطوي على تعقيدات غير ضرورية
- **أعبائي الوظيفية كثيرة مما يجعلني متعباً في عملي باستمرار.**
- معايير تقييم العمل في المديرية غير واضحة.
- لدي أحساس بالملل ناتج عن عملي لفترات طويلة دون جدوى.
- أرى أن مهام وظيفتي كثيرة لدرجة اشعر فيها بالضيق.
- ينتابني إحساس بأن عملي مليء بالروتين غير الضروري.
- اعتقد أن عملي تنقصه العديد من الأدوات والأجهزة الحديثة المساندة.
- اعتقد غياب الشفافية داخل المديرية التي اعمل بها في طريقة منح المكافآت.
- في مكان عملي كثيرا ما يزدحم المكان بالجمهور.
- **اعتقد أن الهيكل التنظيمي للمديرية جامد ومتحيز.**

في حين جاءت أدنى الفقرات كالآتي:

- ليس لدى وضوح كافي عن كيفية أداء الأعمال التي أكلف بها.
- لا اعرف كثيرا ما هو المطلوب منى في وظيفتي.
- لا يوجد تعاون بيني وبين زملائي في العمل.
- كثيرا ما احتاج للاستفسار بشأن كيفية أداء وظيفتي.
- أعاني من ضعف الإضاءة داخل المؤسسة التي اعمل بها.
- المسئوليات والواجبات الخاصة بي في العمل غير واضحة.
- لا تتوفر المعلومات الكافية لانجاز الأعمال المطلوبة مني .
- في مكان عملي يختفي التسامح بيني وبين زملائي لفترات كثيرة
- لا تتناسب السلطات الخاصة بعملي مع المسئوليات التي أكلف بها.
- أنا غير راضي عن عملي بشكل عام.

- أحس بالاختناق داخل عملي نتيجة لضيق المكان.
- في مكان عملي لا يعدل المدير بيني وبين زملائي في الواجبات الوظيفية.
- اشعر بضيق نتيجة لسوء التهوية في مكان عملي.
- أرى أن تخصصي الأكاديمي بعيد عن طبيعة العمل الذي أقوم به .
- ليس لدي وصف وظيفي واضح يحدد مهامي الوظيفية.
- اعجز عن فهم الهدف من وراء الكثير من تعليمات رؤسائي.
- أرى أن رؤسائي يتجاهلوا أرائي في سير العمل.
- في مكان عملي لا يحترم المدير أرائي.
- كثيرا ما تنطوي تعليمات انجاز العمل على نقص في المعلومات.
- اشعر بالتوتر نتيجة للضوضاء المستمرة داخل عملي.
- اشعر بالندم لوجودي في هذا العمل.
- تراودني من حين لأخر الرغبة في ترك العمل.
- اشعر بالارتباك في عملي نتيجة تضارب تعليمات رؤسائي.

- **تفسير ومناقشة النتائج المتعلقة بالفرضية الثانية:** لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في أسباب ضغوط العمل لدى رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في جنوب الضفة الغربية وطرق علاجها باختلاف: الجنس والمؤهل العلمي والعمر والمديرية ومعدل الراتب الشهري.

وللإجابة عن هذه الفرضية فقد تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، ونتائج اختبار "ت"، ونتائج اختبار تحليل التباين الأحادي، ويبين ذلك الجداول من(7- 12).

جدول (7): نتائج اختبار "ت" لدلالة الفروق لأسباب ضغوط العمل لدى رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في جنوب الضفة الغربية وطرق علاجها تبعا لمتغير: الجنس.

الجنس	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجات الحرية	قيمة ت	مستوى الدلالة الإحصائية
ذكور	30	2.70	0.519	48	_ 1.008	0.318
اناث	20	2.90	0.842			

***دالة عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$).**

بالنظر إلى جدول (7) يتبين عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في أسباب ضغوط العمل لدى رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في جنوب الضفة الغربية حسب متغير الجنس. ويعزو الباحث السبب في ذلك إلى أن الضغوط التي يعاني منها رؤساء الأقسام مشابهة بغض النظر عن جنسهم ذكوراً أم إناثاً، رغم أن النتائج تشير إلى شعور الإناث بالضغوط أكثر من الذكور.

جدول (8): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، ونتائج اختبار ف ونتائج اختبار تحليل التباين الأحادي لدلالة الفروق لأسباب ضغوط العمل لدى رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في جنوب الضفة الغربية وطرق علاجها تبعا لمتغير: المؤهل العلمي.

المجالات	المؤهل العلمي	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعيارية	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف المحسوبة	الدلالة الإحصائية
أسباب ضغوط العمل وطرق علاجها	دبلوم	4	2.66	1.03	بين المجموعات	0.266	2	0.133	0.368	0.694
	بكالوريوس	33	2.67	0.487						
	ماجستير فأكثر	13	2.84	0.717	داخل المجموعات	16.994	47	0.362		
	المجموع	50	2.72	0.593	المجموع	17.260	49			

بالنظر إلى جدول (8) يتضح أن نتائج الدراسة أظهرت عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية ($\alpha \leq 0.05$) في أسباب ضغوط العمل لدى رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في جنوب الضفة الغربية تعزى لمتغير المؤهل العلمي، حيث كانت الدلالة الإحصائية >0.05 وهي غير دالة إحصائياً. ويعزو الباحث السبب في ذلك إلى أن الضغوط التي يعاني منها رؤساء الأقسام متشابهة بغض النظر عن مؤهلهم العلمي.

جدول (9): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، ونتائج اختبار ف ونتائج اختبار تحليل التباين الأحادي لدلالة الفروق لأسباب ضغوط العمل لدى رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في جنوب الضفة الغربية وطرق علاجها تبعا لمتغير: العمر.

المجالات	العمر	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعيارية	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف المحسوبة	الدلالة الإحصائية
أسباب ضغوط العمل وطرق علاجها	أقل من 30	2	2.30	0.890	بين المجموعات	2.588	3	0.863	2.705	0.056
	من 30- اقل من 40	10	3.13	0.604						
	من 40- أقل من 50	17	2.71	0.558	داخل المجموعات	14.672	46	0.319		
	من 50 عام فأكثر	21	2.56	0.528						
	المجموع	50	2.72	0.593	المجموع	16.270	49			

بالنظر إلى جدول (9) يتضح أن نتائج الدراسة أظهرت عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في أسباب ضغوط العمل لدى رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في جنوب الضفة الغربية تعزى لمتغير العمر حيث كانت الدلالة الإحصائية >0.05 وهي غير دالة إحصائياً. ويعزو الباحث السبب في ذلك إلى أن الضغوط التي يعاني منها رؤساء الأقسام متشابهة بغض النظر عن العمر.

جدول (10): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، ونتائج اختبار ف ونتائج اختبار تحليل التباين الأحادي لدلالة الفروق لأسباب ضغوط العمل لدى رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في جنوب الضفة الغربية وطرق علاجها تبعا لمتغير: المديرية.

المجالات	المديرية	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعيارية	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف المحسوبة	الدلالة الإحصائية
أسباب ضغوط العمل وطرق علاجها	بيت لحم	9	2.21	0.508	بين المجموعات	3.245	4	0.811	2.605	0.048
	شمال الخليل	6	2.59	0.332						
	وسط الخليل	10	2.84	0.598	داخل المجموعات	14.015	45	0.311		
	جنوب الخليل	17	2.85	0.612						
	يطا	8	2.94	0.556						
	المجموع	50	2.72	0.593	المجموع	17.260	49			

بالنظر إلى جدول (10) يتضح أن نتائج الدراسة أظهرت وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في أسباب ضغوط العمل لدى رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في جنوب الضفة الغربية تعزى لمتغير المديرية، حيث كانت الدلالة الإحصائية <0.05 وهي دالة إحصائياً، ولمعرفة مصدر الفروق تم استخدام اختبار (LSD) للمقارنات الثنائية البعدية، ويوضح ذلك الجدول (11).

جدول (11): اختبار(LSD) للمقارنات الثنائية البعدية حسب المديرية.

المديرية	بيت لحم	شمال الخليل	الخليل	جنوب الخليل	يطا
بيت لحم	–	–	0.62444 -*	0.64150 -*	0.72819 -*
شمال الخليل	–	–	–	–	–
الخليل	0.62444*	–	–	–	–
جنوب الخليل	0.64150*	–	–	–	–
يطا	0.72819*	–	–	–	–

بالنظر إلى جدول (11) يتضح أن الفروق كانت مابين مديرية تربية بيت لحم ومديريات كل من الخليل وجنوب الخليل ويطا ولصالح مديريات (الخليل وجنوب الخليل ويطا). ويعزو الباحث السبب في ذلك إلى أن الضغوط التي يعاني منها رؤساء الأقسام في مديريات الخليل وجنوب الخليل ويطا متشابهة، وربما بسبب تشابه الموقع الجغرافي أو ربما تشابه الظروف الاجتماعية أو تشابه النمط الإداري السائد في تلك المديريات.

جدول (12): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، ونتائج اختبار ف ونتائج اختبار تحليل التباين الأحادي لدلالة الفروق لأسباب ضغوط العمل لدى رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في جنوب الضفة الغربية وطرق علاجها تبعا لمتغير: معدل الراتب الشهري.

المجالات	الراتب الشهري	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعيارية	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف المحسوبة	الدلالة الإحصائية
أسباب ضغوط العمل وطرق علاجها	3000 -3500	18	2.89	0.697	بين المجموعات	0.947	4	0.237	0.653	0.628
	3501- 4000	14	2.68	0.599						
	4001 -4500	9	2.59	0.502	داخل المجموعات	16.313	45	0.363		
	4501- 5000	6	2.53	0.475						
	أكثر من 5000	3	2.61	0.325						
	المجموع	50	2.72	0.593	المجموع	17.260	49			

مجلة المصدر The Source

بالنظر إلى جدول (12) يتضح أن نتائج الدراسة أظهرت عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في أسباب ضغوط العمل لدى رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في جنوب الضفة الغربية تعزى لمتغير الراتب الشهري حيث كانت الدلالة الإحصائية >0.05 وهي غير دالة إحصائياً. ويعزو الباحث السبب في ذلك إلى أن الضغوط التي يعاني منها رؤساء الأقسام متشابهة بغض النظر عن الراتب الشهري.سادس عشر :نتائج الدراسة : **في ضوء تحليل البيانات توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:**

- إن أسباب ضغوط العمل لدى رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في جنوب الضفة الغربية كانت متوسطة على الدرجة الكلية.

- جاءت الأسباب المؤدية لضغوط العمل تنازلياً كالآتي:

1. طبيعة العمل.
2. العوامل التنظيمية.
3. الرضا الوظيفي.
4. الظروف الفيزيقية.
5. العلاقة بالزملاء ورؤساء العمل.
6. غموض الدور.

- جاءت أعلى فقرات الدراسة والتي تؤدي إلى زيادة ضغوط العمل لدى رؤساء الأقسام كالآتي:

1- راتبي الذي أتقاضاه لا يتلاءم وحجم العمل الذي أقوم به.

2- راتبي الذي أتقاضاه لا يتلاءم مع مؤهلاتي وخبراتي.

3- اشعر بحمل زائد في عملي.

4- متطلبات عملي كثيرة لدرجة أنها تسبب لي الشعور بالإجهاد والتعب.

5- أتصور بأن أساليب العمل داخل المديرية تنطوي على تعقيدات غير ضرورية

6- أعبائي الوظيفية كثيرة مما يجعلني متعباً في عملي باستمرار.

7- معايير تقييم العمل في المديرية غير واضحة.

8- لدي أحساس بالملل ناتج عن عملي لفترات طويلة دون جدوى.

9- أرى أن مهام وظيفتي كثيرة لدرجة اشعر فيها بالضيق.

10- ينتابني إحساس بأن عملي مليء بالروتين غير الضروري.

11- اعتقد أن عملي تنقصه العديد من الأدوات والأجهزة الحديثة المساندة.

12- اعتقد غياب الشفافية داخل المديرية التي اعمل بها في طريقة منح المكافآت.

13- في مكان عملي كثيرا ما يزدحم المكان بالجمهور.

14- اعتقد أن الهيكل التنظيمي للمديرية جامد ومتحيز.

<u>في حين جاءت أدنى الفقرات كالآتي:</u>

1- ليس لدى وضوح كافي عن كيفية أداء الأعمال التي أكلف بها.

2- لا اعرف كثيرا ما هو المطلوب منى في وظيفتي.

3- لا يوجد تعاون بيني وبين زملائي في العمل.

4- كثيرا ما احتاج للاستفسار بشأن كيفية أداء وظيفتي.

5- أعاني من ضعف الإضاءة داخل المؤسسة التي اعمل بها.

6- المسئوليات والواجبات الخاصة بي في العمل غير واضحة.

7- لا تتوفر المعلومات الكافية لانجاز الأعمال المطلوبة مني .

8- في مكان عملي يختفي التسامح بيني وبين زملائي لفترات كثيرة

9- لا تتناسب السلطات الخاصة بعملي مع المسئوليات التي أكلف بها.

10- أنا غير راضي عن عملي بشكل عام.

11- أحس بالاختناق داخل عملي نتيجة لضيق المكان.

12- في مكان عملي لا يعدل المدير بيني وبين زملائي في الواجبات الوظيفية.

13- اشعر بضيق نتيجة لسوء التهوية في مكان عملي.

14- أرى أن تخصصي الأكاديمي بعيد عن طبيعة العمل الذي أقوم به .

15- ليس لدي وصف وظيفي واضح يحدد مهامي الوظيفية.

16- اعجز عن فهم الهدف من وراء الكثير من تعليمات رؤسائي.

17- أرى أن رؤسائي يتجاهلوا أرائي في سير العمل.

18- في مكان عملي لا يحترم المدير أرائي.

19- كثيرا ما تنطوي تعليمات انجاز العمل على نقص في المعلومات.

20- اشعر بالتوتر نتيجة للضوضاء المستمرة داخل عملي.

21- اشعر بالندم لوجودي في هذا العمل.

22- تراودني من حين لأخر الرغبة في ترك العمل.

23- اشعر بالارتباك في عملي نتيجة تضارب تعليمات رؤسائي.

- أشارت نتائج الدراسة إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في الأسباب المؤدية إلى ضغوط العمل لدى رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في جنوب الضفة الغربية تعزى لمتغيرات: الجنس والمؤهل العلمي والعمر ومعدل الراتب الشهري.
- أشارت نتائج الدراسة إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في الأسباب المؤدية إلى ضغوط العمل لدى رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في جنوب الضفة الغربية تعزى لمتغير: المديرية ولصالح مديريات الخليل وجنوب الخليل ويطا.

سابع عشر :توصيات الدراسة :

في ضوء نتائج الدراسة وأهدافها، ولتقليل ضغوط العمل ولعلاج الأسباب المؤدية إلى ضغوط العمل لدى رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم يوصي الباحث بالآتي:

- **أن يتم منح الرواتب لرؤساء الأقسام حسب عبء وحجم العمل وحسب المؤهل العلمي والخبرة.**
- محاولة التقليل من أعباء العمل بتعيين العدد الكافي من الموظفين.
- محاولة التقليل من آثار الإجهاد والتعب بمنح رؤساء الأقسام فترات راحة، وعمل رحلات ترفيهية لهم.
- محاولة تغيير أساليب العمل والتقليل من المركزية في العمل وتفويض الصلاحيات.
- تعديل معايير تقييم الأداء وتوضيحها للعاملين بشكل موضوعي، وأن يتم تقييم الأداء بشكل موضوعي ومهني بعيدا عن الاعتبارات الشخصية.
- محاولة التخلص من الروتين الزائد في العمل، وذلك بتعديل آليات وتعليمات العمل.
- العمل على توفير الأدوات والأجهزة الحديثة المساندة للعمل.

- العمل على تعزيز مبدأ الشفافية فعلاً وليس قولاً في منح المكافآت والعلاوات.
- العمل على تعزيز مبدأ التطور والنمو الوظيفي، وفتح المجال لرؤساء الأقسام للتقدم الوظيفي وفق أسس علمية مدروسة بعيدة عن المحسوبية والتدخلات الخارجية.
- **تعديل الهيكل التنظيمي بشكل مستمر بحيث يلاءم رغبات وأهداف العاملين ويحقق أهداف المؤسسة.**

ثامن عشر :المصادر والمراجع :

- المراجع العربية:
- **ابو رحمة، محمد، حسن خميس. (2012).** " **ضغوط العمل وعلاقتها بالرضا الوظيفي لدى المشرفين التربويين في محافظات غزة** ، (رسالة ماجستير غير منشورة)، **الجامعة الإسلامية، كلية الدراسات العليا، غزة، فلسطين.**
- حجازي، جمال طاهر.(2002). " إدارة ضغوط العمل لدى الأطباء بالمستشفيات العامة بمحافظة الشرقية"، **مجلة الدراسات والبحوث التجارية**، بنها، جامعة بنها، كلية التجارة، عدد (2)، ص ص 450- 516.
- الزيودي، محمد. (2007). " مصادر الضغوط النفسية والاحتراق النفسي لدى معلمي التربية الخاصة في محافظة الكرك وعلاقتها ببعض المتغيرات " ، **مجلة جامعة دمشق** ، مجلد (23)، عدد (2) ، ص ص219 -189.
- عابدين، إبراهيم عبد. (2010). " علاقة الضغوط الوظيفية بالآثار النفسية والجسدية لدى العاملين في شركة توزيع الكهرباء بمحافظات غزة"، **(رسالة ماجستير غير منشورة)**، جامعة الأزهر، كلية الدراسات العليا، غزة، فلسطين.
- عسكر، سمير أحمد. (1988)." متغيرات ضغوط العمل – دراسة تطبيقية في قطاع المصارف بدولة الأمارات العربية المتحدة"، **مجلة الإدارة العامة**، الرياض، معهد الإدارة العامة، عدد (60)، ص ص 7- 58.
- عقيلى، عمر وصفى. (1996)." **إدارة القوى العاملة**"، عمان : دار زهران للنشر والتوزيع.
- عقيلى، عمر وصفى. (2005)." **إدارة الموارد البشرية المعاصرة – بعد استراتيجي**"، عمان: دار وائل للنشر.

- العميان، محمود سليمان. (2002)." **السلوك التنظيمي في منظمات الأعمال**"، ط1، عمان: دار وائل للنشر.
- عودة، يوسف. (1998)." ظاهرة الاحتراق النفسي وعلاقتها بضغوط العمل لدى معلمي المدارس الثانوية الحكومية في الضفة الغربية " ، (**رسالة ما جستير غير منشورة**)، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، فلسطين.
- الكلابي، سعد؛ ورشيد، مازن. (2001). " الاحتراق الوظيفي : دراسة استكشافية لمقياس ماسلاك على الموظفين بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية" ، **مجلة جامعة الملك سعود** ، مجلد (13) ، العلوم الإدارية (1)، المملكة العربية السعودية، ص ص 113- 150.
- النفيعي، ضيف الله. (2001). "الاحتراق الوظيفي في المنظمات الحكومية الخدمية في محافظة جدة" ، **مجلة جامعة الملك عبد العزيز:الاقتصاد والإدارة**، مجلد (14)، عدد (1)، المملكة العربية السعودية، ص ص 55- 88.
- هيجان، عبد الرحمن أحمد. (1998). " **ضغوط العمل : منهج شامل لدراسة مصادرها ونتائجها وكيفية إدارتها**"، الرياض، معهد الإدارة العامة، مركز البحوث والدراسات الإدارية.

- المراجع الأجنبية:

-Baron & Greenberg.(1990). Behavior in organizations understanding and managing the human side of work .Boston : allyn and bacon, P.226.

-Boyland, L (2011): Job Stress and Coping Strategies of Elementary Principals, **Current Issues in Education**, 14, (3) ,pp 1- 11.

-Cole.(1995)."**Organizational behavior"** , new York mac graw-hill. P.214.

-kahn & Cooper. (1993)." **Stress in the dealing room"** : High performance under pressure. London .Rutledge. P.31.

-Mureau, Anne- Marie. (2002)."Workplace Stress: A Collective Bargaining Issue", **Health and Safety at Work: A trade Union Priority**, Labor Education, 1(126): P. 79.

-Peterson, T. (2004). "**Iowa School Superintendents And Secondary School Principals Perceived Stress In The Work Place**" ,Ed,D, university of south Dakota.

-Quick. J &Quick. (1984). **"Organizational stress and preventive management"**. New York .mc grew hill. Inc.P.19.

-Robbins, S. and T. Judge. (2009). **"Organizational Behavior"** . Prentice Hall, 13ed.

-Schuler, M. & M. Van sell. (1981). **"Managing Job stress"** (Boston: Little Brown). P.26.

استبانة للرأي

السيد رئيس/ة القسم المحترم/ة.

تحية طيبة وبعد،

يقوم الباحث بإجراء دراسة ميدانية بعنوان "أسباب ضغوط العمل لدى رؤساء الأقسام في مديريات التربية والتعليم في جنوب الضفة الغربية وطرق علاجها"، لذا يرجى تعبئة الاستبانة بعناية ودقة، علماً بأن البيانات سوف تستخدم لأغراض البحث العلمي، شاكراً حسن تعاونكم.

الباحث: د. سمير سليمان الجمل.

القسم الأول: معلومات عامة:

يرجى وضع إشارة (x) في المكان المخصص وفق الحالة التي تنطبق عليك.

الجنس : ( ) ذكر ( ) أنثى

المؤهل العلمي :( ) دبلوم ( ) بكالوريوس ( ) ماجستير فأعلى.

العمر: ( ) أقل من 30 عام ( ) من 30- أقل من 40 عام.

( ) من 40- أقل من 50 عام ( ) من 50 عام فأكثر.

المديرية: ( ) بيت لحم ( ) شمال الخليل. ( )

وسط الخليل ( ) جنوب الخليل ( ) يطا

معدل الدخل الشهري: ( ) من 3000- 3500 شيكل.

( ) من 3501- 4000 شيكل.

( ) من 4001- 4500 شيكل.

( ) من 4501- 5000 شيكل.

( ) أكثر من 5000 شيكل.

مجلة المصدر The Source

القسم الثاني:

ويتكون من (54) فقرة، يرجى منك وضع إشارة (x) في المكان الذي توافق عليه.

الرقم	الفقرة	أوافق بشدة	أوافق	غير متأكد	لا أوافق	لا أوافق بشدة
المجال الأول: العوامل التنظيمية						
1	معايير تقييم العمل في المديرية غير واضحة					
2	اعتقد غياب الشفافية داخل المديرية التي اعمل بها في طريقة منح المكأفأت					
3	أتصور بأن أساليب العمل داخل المديرية تنطوي على تعقيدات غير ضرورية					
4	أرى أن تخصصي الأكاديمي بعيد عن طبيعة العمل الذي أقوم به					
5	اشعر بالارتباك في عملي نتيجة تضارب تعليمات رؤسائي					
6	تتم الترقيات في المديرية اعتمادا على العلاقات الشخصية					
7	اعجز عن فهم الهدف من وراء الكثير من تعليمات رؤسائي					
8	أرى أن رؤسائي يتجاهلوا أرائي في سير العمل					
9	**اعتقد أن الهيكل التنظيمي للمديرية جامد ومتحيز**					
10	**أرى أن رؤسائي لا يلتزمون بالتعليمات والقوانين مما يعيق عملي**					
11	**أعتقد أن سير العمل لا يتم بطريقة تسلسلية**					
12	**لا يتم توزيع المكافآت بعدالة بيني وبين زملائي.**					

مجلة المصدر The Source

الرقم	الفقرة	أوافق بشدة	أوافق	غير متأكد	لا أوافق	لا أوافق بشدة
المجال الثاني: طبيعة العمل.						
1	اشعر بحمل زائد في عملي					
2	لدي أحساس بالملل ناتج عن عملي لفترات طويلة دون جدوى					
3	متطلبات عملي كثيرة لدرجة أنها تسبب لي الشعور بالإجهاد والتعب					
4	اعتقد أن عملي تنقصه العديد من الأدوات والأجهزة الحديثة المساندة					
5	ينتابني إحساس بأن عملي مليء بالروتين غير الضروري					
6	اعجز عن تنظيم وقتي داخل العمل لكثرة الأعمال الروتينية					
7	أرى أن مهام وظيفتي كثيرة لدرجة اشعر فيها بالضيق					
8	أشعر أن متطلبات عملي متكررة مما يجعلني أشعر بالملل.					
9	**أعبائي الوظيفية كثيرة مما يجعلني متعباً في عملي باستمرار.**					
المجال الثالث: الظروف الفيزيقية.						
1	لا تهتم المديرية بدرجة حرارة الجو صيفا وشتاءا					
2	اشعر بضيق نتيجة لسوء التهوية في مكان عملي					
3	أحس بالاختناق داخل عملي نتيجة لضيق المكان					

الرقم	الفقرة	أوافق بشدة	أوافق	غير متأكد	لا أوافق	لا أوافق بشدة
4	أعاني من ضعف الإضاءة داخل المؤسسة التي اعمل بها					
5	اشعر بالتوتر نتيجة للضوضاء المستمرة داخل عملي					
6	في مكان عملي كثيرا ما يزدحم المكان بالجمهور					
7	اشعر بعدم الارتياح نتيجة قلة النظافة في مكان عملي					
المجال الرابع: العلاقة بالزملاء والرؤساء						
1	لا يوجد تعاون بيني وبين زملائي في العمل					
2	في مكان عملي يختفي التسامح بيني وبين زملائي لفترات كثيرة					
3	في مكان عملي لا يهتم المدير بتشجيع العاملين					
4	لا يوجد تنافس شريف بين الزملاء في المنظمة التي اعمل بها					
5	كثيرا ما أعاني من الصراعات مع زملائي في العمل					
6	في مكان عملي لا يحترم المدير أرائي					
7	في مكان عملي لا يعدل المدير بيني وبين زملائي في الواجبات الوظيفية					
8	رئيسي في العمل يتمسك برأيه رغم خطاه					
المجال الخامس: غموض الدور						
1	ليس لدى وضوح كافي عن كيفية أداء الأعمال التي أكلف بها					
2	لا اعرف كثيرا ما هو المطلوب منى في وظيفتي					

الرقم	الفقرة	أوافق بشدة	أوافق	غير متأكد	لا أوافق	لا أوافق بشدة
3	لا تتناسب السلطات الخاصة بعملي مع المسئوليات التي أكلف بها					
4	كثيرا ما احتاج للاستفسار بشأن كيفية أداء وظيفتي					
5	لا تتوفر المعلومات الكافية لانجاز الأعمال المطلوبة منى					
6	المسئوليات والواجبات الخاصة بي في العمل غير واضحة					
7	كثيرا ما تنطوي تعليمات انجاز العمل على نقص في المعلومات					
8	ليس لدي وصف وظيفي واضح يحدد مهامي الوظيفية					
المجال السادس: الرضا الوظيفي						
1	أنا غير راضي عن عملي بشكل عام					
2	تراودني من حين لأخر الرغبة في ترك العمل					
3	ما أقوم به من عمل ليس ما كنت أتمناه					
4	العمل الذي أقوم به لا يحقق طموحاتي					
5	كثيرا ما أفضل بأن التحق بعمل أخر					
6	الترقية في مكان عملي تعتمد على العلاقات الشخصية					
7	اشعر بالندم لوجودي في هذا العمل					
8	لو عادت بي الأيام إلى الوراء لرفضت هذا العمل					
9	**راتبي الذي أتقاضاه لا يتلائم وحجم العمل الذي أقوم به**					
10	**راتبي الذي أتقاضاه لا يتلائم مع مؤهلاتي وخبراتي**					

شاكرا لكم حسن تعاونكم

مجلة المصدر The Source

أسماء المحكمين:

الرقم	الاسم	المؤهل العلمي	مكان العمل
1	د. مروان سعيد جلعود	دكتوراه علم نفس	جامعة بوليتكنك فلسطين
2	د. تيسير أبو ساكور	دكتوراه إدارة تربوية	جامعة القدس المفتوحة
3	د. سمير أبو ازنيد	دكتوراه إدارة أعمال	جامعة الخليل
4	د. شاكر الشلالفة	دكتوراه تجارة	وزارة التربية والتعليم
5	د.ياسر شاهين	دكتوراة تخطيط موارد بشرية	الجامعة الأهلية/فلسطين